د.مها سامي

الهانم

DIVORCED

فريق متميزون
E-BOOK

الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الهانم divorced

د. مها سامي

عن الكتاب..

- إلا قوليلي، انتي فسختي الخطوبة؟

- ما اسمهاش كدا، اسمها فركشت!

- وخطيبك عامل ايه دلوقت، ومين هون عليه الوقت؟

- اسمه الإكس، وبعدين خلاص، هو دمرني وعاش حياته!

- وانتي يا اللي هناك مطلقة؟

- اسمهاdivorced! كلمة مطلقة شكلها ست واقعة من فوق السطوح، أمهاتي في نفسها كدا، إنما divorced تديكي إحساس بال- strong independent woman!

-والمدام؟ جوزك سافر وسابلك العيال، ولا متوفي، ولا عايش معاكي بس كبر دماغه وشيلك الشيلة؟

- أولاً انفصلت، ثانيًا اسمها single mom! ثالثًا أنا شكلي لبست في حيطة!

- طيب طيب خلاص، المهم إن كلنا مشتركين في إننا بقينا سناجل، بغض النظر عن المسميات اللي بتتقال علينا وبتضايقنا.. لكن احنا اللي هنحط لكل مسمى معنى مختلف تمامًا عن اللي الناس مقتنعة به بقالهم سنين، وكمان هنقنعهم به.. وهنخليهم كمان يحسدونا إننا حصلتلنا أزمة في وقت ما.. هنكتشف سوا ازاي نخرج من سجن الماضي ونظبط الحاضر ونخطط صح للمستقبل.. كووول دا واحنا على وضعنا.. مفاجأة مش كدا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداءٌ ..

هذا الكتاب إهداء لأمي، اللي لولاها ماكنتش خطيت خطوة واحدة في اتجاه أحلامي.. فهي مِن مِنَنِ ربنا وأهم عطاياه لمساندتي في رحلتي بعد الطلاق..

إهداء لوالدي، اللي أغلب الكلمات التي ذكرتها في كتابي هي كلماته، والقيم والمبادئ اللي زرعها فينا لسنين..

إهداء لأخويا أحمد، اللي كان ومازال الدعم والسند والكلمات الإيجابية والتشجيع الدائم..

إهداء لأخويا مصطفي، اللي زهقته في عيشته عشان يراجع كل كام سطر أكتبهم، لما كان هيهرب ويسيب البلد..

وأكتر حد باهديله نجاحي كله، مش كتابي بس، هو خالي أحمد، اللي اتعلمت منه أشوف الأحلام وأصدقها وأحققها..

وأخيرًا باهديه لاخواتي البنات، اللي سمحولي أنقل تجاربهم وقصصهم الواقعية في كتابي، وكل اخواتنا البنات في كل الوطن العربي، سواء كانوا مطلقات أو أرامل.. متزوجات أو لاء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقديم..

الهانم مها سامي..

بعتتلي بروفة الكتاب ده قبل ما تطبعه، وقالتلي اللـه يكرمك يا بوب؛ اكتبلي كلمتين حلوين كده أحطهم مقدمة، وبالمرة قول إن الكتاب حلو وتحفة وكده يعني..

أنا طبعًا الكلام استفزني وقلت ايه التهريج ده!! ازاي حد يملي عليا أقول ايه وما أقولش ايه؟! طب الكتاب مش حلو من قبل ما أقراه، واللي يزعل يزعل!

لكن سبحان اللـه.. لسه بقلب في الصفحات أقوم ألاقي ايه؟ ظرف فيه ٥٠٠ جنيه! أيوة بقى، واللـه محتاجين النوع ده من الكتب، كتاب حلو ورائع وتحفة كمان، كفاية قوي إن صاحبته بتقدّر الناس كده!

ده طبعًا كان موقفي قبل ما اقرا الكتاب، والكلمتين التهريج المعتادين بتوعي.

لكن الحقيقة اللي بتمليها عليا أمانتي ككاتب بحترم الجمهور؛ إن الكتاب تجربة إنسانية أكثر من رائعة، ماكانش ينفع يقدمها غير مها سامي، البنوتة الزوجة المطلقة اللايف كوتش الدكتورة.. إنسانة عاشت في سنين بسيطة كل التجارب الإنسانية بحلوها ومرها.

الهانم ديفورسد..

كتاب بيعلمنا ازاي نبتدي حياتنا من جديد، مهما كانت التجربة المريرة اللي عشناها.. ازاي نتخلص من آثارها جوانا ونحوّل الهزيمة لنصر، ازاي نتحدى أحزاننا ونبتسم فى وشها بمنتهى السخرية والثقة..

بجد لازم تقروه، علشان تستمتعوا بعمق المعلومة وبساطة الصياغة وخفة دم الكاتبة الفقر دي..

إيهاب معوض

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقدمة

في مجتمعنا.. كلنا محطوطين جوة صندوق، الصندوق هو صندوق «العاهات» والتقاليد البالية، اللي بغض النظر عن مخالفتها للدين فهي لازم تتطبق لأنها ببساطة بتوافق العرف..

أي واحدة ست بلا زوج لازم تعيش حياة تعيسة في مجتمع بيرفض الاختلاف، وبيطاردها كل يوم في تقييد حريتها المشروعة، ودا لأن عادات وتقاليد المجتمع اللي سبحان اللـه إحنا اللي فرضناها على نفسنا بتحطنا جوة نفس القالب، القالب ببساطة مجموعة مراحل لازم كلنا نعدي عليها، وهي مراحل تطور الإنسان المصري وفقا لعاداتنا وتقاليدنا حتى الآن وهو العام ٢٠١٨.

(معلش لازم أوثق المخطوطة بتاعتي عشان لو انقرضنا ولا حاجة ولقوها ناس من المستقبل)

المراحل:

1. طفل رضيع تخين لازم يخس ولو رفيع لازم يتخن.

2. ولد أو بنت شطورة في المدرسة، ولازمَن وحتما ولابد ولا مفر يطلع الأول.

3. مراهق في الثانوية العامة ولازم يحصل على مجموع يؤهله لكليتين بس، الطب أو الهندسة، وما دونهما غير مقري وغير معترف بيه إلا عند قلة من المثقفين.

4. هنا بنفترق بقى، بعد ما بنتخرج، الولد عن البنت.

• الولد لازم يشتغل ويقبض مرتب معتبر عشان وهو بيتجوز يقدر يجيب النيش والذي منه.

• البنت لازم تشقط أي عريس وتنسى التفكير في أي حاجة، وإلا تبقى غريبة، وبالنسبة لهم أي نجاح في شغل أو أي مجال غير الجواز، مهما كان، غير مقري.

الحمد للـه شقطنا العريس واتجوزنا والولد جاب النيش والشبكة..

5. لازم نخلف طبعا، هي دي محتاجة فقاقة؟ ولو اتأخرنا هتبقى مشكلة..

إيييه، مفيش حاجة جاية في السكة؟ خلفنا بنت؟ إيه، مش هتجيبوا الولد اللي يشيل اسم أبوه؟

6. العيال لازم يمشوا على نفس الخطى، وكله تحت بند واحد ألا وهو: هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه بإرادته أو بغير إرادته أن يشذ عن هذه القاعدة، لأننا ببساطة لازم نكون نسخ من بعض.

هنا في الكتاب هناقش قضية ناس شذوا عن قاعدة من القواعد، بإرادتهم أو غصب عنهم، وهي إن البنت تكون من غير زوج، اللي بتتعرض لجميع الضغوط المنطقية واللا منطقية، لأنها ببساطة، من غير راجل، وضل الراجل ولا ضل الحيطة، ونظرا لأنها يا ولداه جوة الصندوق فبتفضل تفكر وفكرها يدور في نفس الحلقة المفرغة، وهي:

إن الزوج هو الحل للخروج من الأزمة أو الصندوق مش فارقة، للـهروب من الضغوط حواليها، وبالرغم من إن - حسب الإحصائيات الأخيرة - عدد المطلقات بس وصل تقريبا ٣ مليون مطلقة، ومصر أصبحت الأولى عالميا في ارتفاع معدلات الطلاق بعد ما زادت النسبة في الخمسين سنة الأخيرة من ٧٪ وصلت ٤٠٪، إلا إن لسة ماحدش وصل إزاي نحل الأزمة عشان نقلل النسبة ولا حتى إزاي أي ست من غير زوج تتعايش بشكل طبيعي.

السؤال هنا:

يا ترى كام واحدة قررت تخرج برة الصندوق بجد، وقررت تعيد صياغة حياتها بالتفكير بشكل مختلف، برة فكرة إن الزوج هو الحل، ويا ترى كام واحدة نجحت، وكام واحدة صبرت لحد ما عرفت تغير نفسها عشان الدنيا تتغير حواليها؟ «إن اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وكام واحدة عرفت تجاوب على السؤالين اللي بييجوا في بال أي واحدة مطلقة أو اتأخرت في الزواج؟ (مابحبش كلمة عانس) أو حتى فقدت الزوج بالوفاة (الأرملة).

السؤالين هما:

السؤال الأول:

أنا ماليش زوج ليه؟ هو أنا وحشة ولا إيه؟

والسؤال التاني:

أنا هعمل إيه؟ أنا ضعت ولا إيه؟

لو كنتي لقيتي إجابة على السؤالين دول فبرافو عليكي، إنتي من الناس اللي عرفوا يخرجوا برة الصندوق، ولو كنتي مالقتيش، يبقى خشي في حضن أختك.. وأنا هقولك.

في الكتاب هنا، هنعيش مع شخصيات احتمال تلاقي نفسك في واحدة منهم.. هنجاوب على أسئلتهم اللي أكيد هتكون زي أسئلتك، وهنسألهم أسئلة هتجاوبي عليها زيهم، أنا واثقة ومتأكدة إن هيكون فيه حاجات مشتركة كتير بينك وبينهم، هنشوف مين دول وخرجوا من مشاكلهم إزاي.

الكتاب في شكل قصصي، بس في الحقيقة هو زي دليل لكل واحدة اتعرضت لأزمة عدم وجود الزوج في مجتمعنا، يلا.. كوباية نسكافية وورقة وقلم وماركر وتعالي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البـدايـة

بس يا ستي

وراحت قايلالي وهي بتزعق: نظام شغلك وتأخيرك لحد الساعة تسعة بالليل دا ماينفعنيش، لازم تفهمي إنك مطلقة، وأم إسماعيل البوابة وجوزها عمو البواب وطنت جولفدان جارتنا وأونكل طلعت اللي في الدور الرابع وطنط كايداهم اللي في آخر الشارع، وجيران الجيران، والقارة المجاورة، وسكان المريخ والمجرة، قاعدين باصين عليكي وعلى تصرفاتك، الست المطلقة لازم تعرف حدودها عشان ماحدش يتكلم عليها نص كلمة.

بيني وبينك يا ريهام، أنا زهقت خالص من العيشة دي، والموال الحمضان اللي قايمة نايمة فيه، والمصيبة إني كل ما أقابل واحدة من صاحباتي المطلقات، أو حتى اللي أتأخرت شوية في الجواز ولا جوزها مات، ألاقيها بتعاني الأمرّين..

هزت رأسها في أسى:

معلش يا مها هتعملي إيه بس.. ماهي مامتك برضه.. آدي اللـه وآدي حكمته.. إنتي يعني هتقدري تغيري الواقع؟ دا أنا بابا لحد دلوقت بيطاردني باهتمامه الزايد، خُديه على إنه حب واهتمام وحاولي تنتزعي حريتك بالطريقة.

لمعت عيناي ونظرت لريهام بإعجاب:

- هو دا.. هغير الواقع.

- وهتغيريه إزاي يا فالحة؟

قلت بحماس:

- هعمل جمعية نسائية بتضم كل الستات اللي نفسهم يغيروا الواقع، ونفرض على المجتمع كله إننا نمشي بالدين بدل العرف.

وبعد هذه الجملة تحديدا انفجرت ريهام في الضحك، وقالت وهي تحاول أن تتمالك نفسها:

جمعية إيه بس يا بنتي، دي حاجة قديمة قوي يعني، ماتزعليش مني، دي آخر جمعية سمعت عنها الرابطة الزراعية لحل مشاكل البطاطس والملوخية، والكلام دا كان في التمانينات باين، يا ماما دلوقت الدنيا اتغيرت، وجروبات الفيس والواتس مالية الدنيا.

شربت آخر رشفة من فنجان القهوة، وقلت وأنا أهم بالانصراف:

- بصي، النهارده إنتي قلتي درر، الواقع، وإن الزمن اتغير، أنا لازم أمشي.

قالت لي وهي تمسك يدي بقوة:لا، ما أنا لازم أفهم.

- هقولك بعدين، سلام دلوقتي.

ضربت ريهام كفا بكف، وهزت رأسها وهي بتعمل «مسم» بشفايفها (بتمصمص شفايفها): يا عيني عليكي يا مها، البت اتجننت باين.

يوه، نسيت أعرفكم بنفسي:

أنا مها سامي، مصرية عندي ٣٣ سنة، اتطلقت من سبع سنين، وطبعا لو لم أكن مصرية لوددت أن أكون أمريكانية، عشان لما أتطلق آخد نص ثروته وأخرب بيته، وربنا يقدرنا على فعل الخير.

اتربيت تربية مغلقة جدا، وكنت من البيت للمدرسة ومن المدرسة للبيت، أيام الدراسة كنت كأي بنت دحيحة، أو الغالب.. بقمط الحجاب وبلبس نضارة كعب كوباية.. بحب المذاكرة حب الحرامي للفلوس، ودا مش عشان المذاكرة في حد ذاتها، ولكن لأني طول عمري عنيدة وبعشق التحديات.. وماما ما شاء اللـه عليها كانت دايما تخلقلي تحديات من نوع خاص.. زي إوعي تجيبي مجموع أقل من ابن طنط نحمده.. ولا بنت طنط رسمية.. وفي خضم التحديات الرهيبة دي ماكانش عندي وقت أتعامل نهائيا مع الجنس الآخر، ولا كان عندي أصلا الرغبة في دا..

كان دايما عندي هدف أجيب ٩٩.٩٩٩٩٩ في المِية، وخصوصا في الثانوية العامة.. ولو كنت قابلتني ساعتها وسألتني عن السبب! كنت هقولك بمنتهى الاعتزاز: عشان أنتصر على بنت طنط رسمية..

إنت بتسأل أسئلة غير منطقية الصراحة، من إمتى وإحنا بنسأل الأسئلة دي، هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا، إن الناس لازم تخش كليات العِمة، قصدي القمة..

عشان....

عشان.....

هو السؤال دا إجباري؟!

هاهاها.. بهزر طبعا، عشان من تقاليد المجتمع إن الدنيا بس مهندس ودكتور، مبدأ إن كل واحد يعمل اللي بيحبه وينجح فيه مش موجود أصلا.

القصد..

جبت ال- ٩٩.٩٩٩٩٩٩ ودخلت كلية الصيدلة، وبعد ما وصلت للـهدفين، غظت طنط رسمية

وبقيت «ضاكتورة» قد الدنيا، قلت أما ألحق أحقق الهدف اللي بعده، وهو هدف الارتباط..

كل ما كنت أقعد في جروب مع صاحباتي كنت أقول.. هيييييح عاوزة أرتبط، لدرجة أطلقوا عليّا في الكلية لقب ما زلت أعتز به حتى الآن، وهو وسام على صدري...

اللقب:

«مها عايزة أرتبط».

ولو برضه كنت قابلتني ساعتها وسألتني إنتي عاوزة ترتبطي ليه، زي سؤال ال- ٩٩.٩٩٩٩٩

كنت هقولك برضه أنا ماعرفش الإجابة، لكن هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا، إني لازم أرتبط قبل ما أعنس، وإني عاوزة أحب واتحب زي شادية وكمال الشناوي، وألاقي واحد يجري ورايا في الجنينة، أو على شط البحر، والإيشارب بتاعي يرفرف من السعادة وأنا بجري وبقول:

عشماااااااووووووي

مهاااااااااااا

إحم، معلش الجلالة خدتني..

المهم

الحمد للـه حققت رغباتي، أقصد رغبات المجتمع، واتجوزت أخو زميلتي في الكلية، ولو جيت تعملّي بتاع تنمية بشرية وتقولّي أسس الاختيار، هزعل منك قوي، أصل عقبال أملتك ماكانش فيه أسس اختيار، هتعرف لوحدك من أحداث الكتاب!

قصره!

اتطلقت بعد سبع سنين، بعد صولات وجولات.

سامعاكي يا اللي هناك وره هتموتي وتعرفي أسباب الطلاق، إحنا مصريين لو الفضول ماموّتناش نتحرق، أنا عمري ما هقول الأسباب، وأنا بتكلم عن

نفسي، لكن هديكو نبذة مختصرة خلال الكتاب عن شوية أحداث بسيطة قبل وبعد الطلاق.

طبعا كان نتاج الجواز دا ٣ أولاد، وأنا شلت مسؤوليتهم، واللي هيسألني طب ليه جبتي ٣ أولاد طالما كنتي حاسة إنها علاقه فاشلة، هقولّه عيب بقى متحرجنيش أكتر من كدا، الإجابة معروفة: هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا. أصل جبت بنت قالولي عقبال ما تجيبي الولد، ولما جبت الولد قالولي.. لأ مقالوش الصراحة، التالت جه غلطة!

ولو سألتني ليه قعدتي معاه كل السنين دي؟!

الإجابة ببساطة إني كنت جوة الصندوق، وهنا يحضرني مشهد محمود المليجي في فيلم الأرض، لما كان بيتسحل في سبيل هدف سامي وهو التمسك بالأرض، أنا بقى كنت بتسحل خوف من المجتمع ومن الطلاق رغم انهيار العلاقة على كل المستويات، وفي يوم من ذات الأيام قررت أقوم من على الأرض، وقطعت التربون بتاع محمود المليجي (كان وشه فقر عليه)، وأخدت قرار الطلاق.

وبعد الطلاق أخدت تاني قرار صح في حياتي، وهو أني أعمل كارير شيفت، وأعمل الحاجة اللي بحبها، مجال التجميل، فتحت بيوتي سنتر، والحمد للـه نجحت جدا.

أوعدكم إني هكون بطلة قصة من القصص اللي في الكتاب، وهسيب مجال لخيال القارئ يخمن أنا مين.. أو يمكن ماتخمنوش لأنها للأسف قصة بتتكرر كل يوم وكل ساعة.

الآنسة اللي هناك بتسأل سؤال حلو أوي.. هو إنتي فعلا هتعملي جمعية بجد؟!

ممكن هعمل، وممكن لأ، ممكن يبقى واقع واحتمال يكون خيال، بس مش دا المهم، المهم الهدف اللي عاوزين نوصلّه، وهو التغيير.

تغيير نفسنا

تغيير مجتمعنا

تغيير عاداتنا وتقاليدنا اللي كتير منها مغلوط

وأولها إننا نتقبل الاختلاف...

مها سامي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الأول: وشوشة أم أحمد

الخوف يجعل الناس أكثر حذرا.. وأكثر طاعة.. وأكثر عبودية.

سقراط

خرجت من عند صديقتي ريهام وكان يدور ببالي الآتي:

هل يا ترى تغيير المجتمع أشبه برابع المستحيلات؟ يا ترى ممكن أغير مسار المجتمع كله في جزئية عدم وجود الزوج في حياة المرأة المصرية وتقبلها هي شخصيا لهذا الأمر، وتقبل المجتمع للطرفين أيا كانوا راجل أو امرأة، في حالة عدم استمرار الزواج، ومن غير إلقاء اللوم على أي من الطرفين، أو تحميله سبب عدم نجاح العلاقة؟

وأفقت من شرودي فجأة على صوت الموبايل، ندى مساعدتي في السنتر:

- ألو.

- أيوه يا دكتور، شفتي أم احمد مرات دسوقي بواب العمارة؟ ضربها وطلع عينها والناس اتلمت وكان حوار، هو حضرتك جاية إمتى؟

- حالا يا ندى، خمس دقايق وهكون عندك.

وصلت السنتر، ورميت نفسي على كرسي المكتب، كنت في قمة الاكتئاب، جلست أفكر في دسوقي وزوجته، يا ترى مين فيهم غلطان؟ أكيد كل طرف منهم عليه جزء من الخطأ، والفضول جعلني أقرر أن أستمع للمشكلة لمعرفة من المخطئ.

طلبت من ندى أن تخبر أم أحمد أني أود مقابلتها.

دخلت المكتب وأنا واقفة أنظر إليها في ذهول، حاولت أن أسلم عليها ولكن لم أجد للأسف في وجهها مكانا واحدا خاليا من آثار معركتها الدامية مع زوجها، كان مغطى تماما بالكدمات كلوحة رسمها أحد الفنانين التشكيليين، إذ تظهر البراعة في اختيار أماكن كل تفصيلة، مع الحفاظ على الأبعاد.

ابتسمت في محاولة مني لتخفيف وطأة الموقف، وقلت لها:

- خير، إيه اللي حصل؟

ضحكت بأسى:

- الضرب للجدعان يا ضاكتورة، والست مننا مالهاش غير بيتها وجوزها، ودسوقي غلبان واللـه، هو بس عصبي حبتين.

- إمممم.. شكلك بتحبيه.

قالت بعدما احتل الحزن كل ملامحها:

- أومال، مش جوزي وأبو عيالي!

اقتربت مني وقالت بصوت أقرب للوشوشة:

- أهو ضل راجل ولا ضل حيطة، يعني هتطلق وأروح فين بكوم اللحم اللي عندي؟ ماحدش بيشيل حد، أهو بيصرف علينا، وعدم اللامؤاخذة جزمة الراجل قدام باب البيت بتعمل للست وللبيت ألف حساب.

- نظرت إلى عينيها مباشرة:

هنفترض إننا وفرنا الفلوس، وقطعنا لسان الناس عنك، دا مجرد افتراض.

سرحت:

- أكيد هحتاج راجل أنام في حضنه بالليل يا ضاكتورة.

قمت لأسلم عليها:

- معلش عطلتك كنت عاوزة اتطمن عليكي.. عاوزة مني أي حاجة؟

- سألت عليكي العافية يا ضاكتورة، عاوزة بس طلب واحد، خصيمك النبي ماتجيبيش سيرة لدسوقي إني حكيت معاكي.

- ماتخافيش، مش هجيبله سيرة خالص.

ناديت على مساعدتي وطلبت منها كوبا من القهوة، أحضرت القهوة وجلست أمامي، كنت أنظر إلى السقف وحل الصمت على المكان، حتى كسرت هي حاجز الصمت قائلة:

- شفتي أم أحمد؟ هو أنا اتعقدت من الجواز من شوية! كل الستات متبهدلين.

- كلهم؟!

- آه كلهم.

وصاحباتي، اللي اتجوزت ومش مرتاحة، واللي اتطلقت، واللي اتعقدت بسبب الاتنين.

- إنتي لسة صغيرة يا ندى ماتديش حكم عام، اتعلمي ماتديش أحكام عامة بسبب شوية تجارب شفتيها من خلال خريطتك الذهنية.

قوليلي يا نودي، إيه رأيك لو عملنا جمعية نسائية، ونشوف تجارب أكبر عدد ممكن من الستات عن قرب.

- ابتسمت ولمعت عيناها:

فكرة تحفة، بس هنعملها إزاي وليه؟

- بصي:

هنعملها ليه؟عشان نساعد أي ست عايشة في مجتمعنا من غير زوج إنها تعيش حياة عادية.. ونساعد المطلقات ونفهم سبب مشاكلهم ونعالجها من جدرها، ونعدل فكرة المجتمع تجاه إنه يتم تقييم الست كإنسان أيا كان وضعها الاجتماعي.

- إزاي؟

- اسمعيني كويس.

وفي اليوم التالي..

المشهد كالآتي:

ندى تقف في طابور في جريدة الوسيط، تمسك في يدها قصاصة ورق مكتوب فيها الإعلان الذي سيتم نشره، كانت تتصبب عرقا وتحاول إخفاء الارتباك الذي بدا ظاهرا وبشدة، وتقدم رِجلاً وتؤخر الأخرى، ولسان حالها يقول:

اللـه يخربيت اليوم اللي اشتغلت فيه مع دكتور مها.

تقدمت للموظف بخطوات حاولت أن تبدو واثقة.

- من فضلك عاوزة أنزّل الإعلان دا في جريدة يوم الجمعة والجريدة الإلكترونية، وعاوزاه واضح وبخط عريض.

نظر الرجل للورقة بتركيز، فقد كان محتواها:

*** نبحث عن متطوعات ومتطوعين لجمعية.. الغرض منها تغيير نظرة المجتمع للمرأة عموما، وكل امرأة بلا زوج خصوصا، للاستعلام برجاء الاتصال برقم (.....)

انفجر الموظف في الضحك بعدما انتهى من قراءة الإعلان، وما كان منه غير أن أذعن لطلبها وأعطاها الوصل.

وفي هذه الأثناء..

أنا وريهام كنا في جولة شوبنج في المول، وحكيت لها ما حدث مع مرات دسوقي البواب، بعدما أنصتت للقصة باهتمام، سكتت برهة ثم قالت:

- إنتي حللتي كلام الست دي؟

- آه طبعا حللت كلامها، الست دي بكلامها البسيط العفوي لخصت سبب تمسك ستات كتير بمنظومة البيت مهما كانت فاشلة، ودا بسبب إنها الخاسر الأكبر بعد الطلاق أو فقدان الزوج ومنظومة الجواز عموما.

- صح.

- اسمعي:

الست لما قالت أهو أبو عيالي، المعنى الخفي للكلمة دي عاطفة الأمومة وخوفها على ولادها من المجهول.

ولما قالت أهو بيصرف علينا: تقصد إنه محققلها الدعم المادي، أما كلمة أصل الناس بتعمل للبيت اللي فيه راجل ألف حساب فهنا تقصد المجتمع وخوفها من نظرة المجتمع، ولما قلتلها ولو كل دا ما بقاش منه خوف، قالت من دون تردد أنا محتاجة حضن جوزي، وهنا دا احتياج الست الفطري للعاطفة، أما بقى كلمة ضل راجل ولا ضل حيطة، فدا الأمان.. يبقي لو لخصنا احتياجات الست من الراجل هنلاقيهم:

1. العاطفة والأمان
2. الدعم المادي
3. المجتمع
4. احتياجها ليه كأب وخوفها على ولادها.

نظرت إليّ بإعجاب ثم أردفت قائلة:

- كلامك فعلا سليم يا مها، بس أكيد مش كل الستات زي أم أحمد.

- أكيد نسب الاحتياجات هتختلف من واحدة للتانية حسب وضعها الاجتماعي وحاجات تانية كتير، بس في اعتقادي دي الاحتياجات الرئيسية.

- عارفة إحنا محتاجين إيه عشان نتأكد؟!نعرف عدد أكبر من مشاكل ستات تانية.

ضحكت بخبث:

- عيب عليك يا باشا، الإعلان عن الجمعية اللي قلتلك عليها زمانه نزل في الوسيط وهنولعها.

- آه يا مجنونة لما بتحطي حاجة في دماغك، احكيلي التفاصيل وقوليلي المقر هيكون فين يا فالحة.

- عندي في سنتر التجميل بتاعي، ما انتي عارفة المكان كبير وعندي أماكن كتير فاضية، وهقولّك التفاصيل حالا بس بعد ما تعزميني على آيس كريم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني: المشكله الأولى: المجتمع

(أنا والمجتمع وهواك)

«إذا كنت لا تخاف مما سوف يقوله الناس فأنت قد اجتزت الخطوة الأولى للنجاح»

باولو كويلو.

دخلت ندى المكتب وقد تهللت أساريرها، وقالت بصوت تملؤه الحماسة:

- مش ممكن يا دكتور، مش ملاحقين على الاتصالات، ناس كتير حاسين إن الفكرة مجنونة، وحب الاستطلاع مخليهم حابين ييجوا يتعرفوا على فكر الجمعية عن قرب وبأسرع وقت.

ارتسمت على وجهي علامات الارتياح:

- الحمد للـه، أنا كنت متوقعة، قوليلي بقى الاتصالات من ستات ولا من رجالة؟

- يووووه، من الاتنين وأنا سجلت كل الأرقام وقلتلهم هنرتب مواعيد قريب.

هنا تدخلت ملك مساعدتي الثانية في الحوار قائلة:

- طب وأنا إيه دوري في الحوار دا؟

- دورك تسجيل أسماء كل الناس اللي هنقابلهم، وهنفلتر منهم فريق الجمعية والعضوات.

قالت ملك بتشكك:

- مش عارفة الجمعية دي هتنفع ولا لأ، خاصة بعد حوار جروبات الفيس والواتساب اللي مالية الدنيا.

ردت ندى:

- لا طبعا، الحاجات دي على أرض الواقع بتكون أنجح بكتير، وبعدين أدينا هنجرب مش هنخسر حاجة، ومش هننسى السوشيال ميديا طبعا وإحنا شغالين، أنا حطيت إعلان على الفيس بوك كمان.

رن الموبايل فحل الصمت في المكان، ردت ندى وبدا على وجهها الاهتمام:

- تمام يا فندم.

.....

- حاضر هسجل اسم حضرتك.

.....

- نعم؟ موعد النهارده ضروري؟! طيب لحظة من فضلك.

نظرت لي وشاورت لي باستفهام وقالت بصوت منخفض:

- واحدة اسمها مدام سالي.. مصممة تيجي تقابلك النهارده.

- استغربت الإصرار الشديد، ودون تردد:

- خليها تتفضل طبعا.

- اتفضلي يا فندم، نورينا النهارده الساعة ٢ الضهر إن شاء اللـه، العنوان: «.....».

أنهت ندى المكالمة ونظرت إلينا بتشكك قائلة:

- غريبة أوي الست دي، إيه سر الاستعجال؟

ردت ملك:

- يا خبر النهارده بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

وفي تمام الثانية ظهرا..

وقف ثلاثتنا في شرفة السنتر المطل على الشارع من باب الفضول، وقفت سيارة فارهة أمام باب العمارة مباشرة، ونزلت منها سيدة آية في الجمال، حين رأيتها تذكرت وصف نبيل فاروق لسونيا جراهام في سلسلة رجل المستحيل.

«المزة» كما يجب أن تكون، تتمتع بقوام ممشوق وخصر نحيل وينسدل شعرها الذهبي الناعم على كتفيها، كانت تمشي بخيلاء كما يمشي الطاووس، وبينما كنا نطالع المشهد وفتحت كل واحدة منا فاها ببلاهة، رن جرس الباب، دخلت مسرعة إلى مكتبي حفاظا على بريستيجي، ولم أنس بالطبع غلق فمي المفتوح.

وما هي إلا لحظات حتى طرقت ندى باب المكتب ونظرت إليّ ببلاهة، ويبدو أنها نسيت أن تغلق فمها من فرط الانبهار، وقالت بتلعثم:

- مدام سالي اللي اتصلت وطلبت تقابل حضرتك بسرعة، ومعادها دلوقتي.

دخلت السيدة الجميلة الغرفة على مهل، فوقفت وانحنيت لها انحناءة خفيفة للترحيب بها، وابتسمت بثقة، وأشرت إلى كرسي المكتب أمامي:

- اتفضلي يا فندم.

قالت ندى:

- تحبي تشربي إيه؟

أجابت برقة:

- لو ممكن شاي مظبوط.

خيم الصمت على المكان، وبينما كنت أنظر إليها نظرات متفحصة، قالت بعدما فتحت حقيبتها وأعطتني الكارت الشخصي:

- أعرفك بنفسي، أنا سالي عبد الواحد، أرملة من ٨ سنين.

- أهلا مدام سالي، أقدر أساعد حضرتك بإيه؟ ويا ريت أعرف سر رغبتك الملحة في إنك تقابليني بسرعة.

اكتست ملامحها بالحزن، وقالت بصوت يملؤه الأسى:

- عاوزة أكون من مؤسسي الجمعية مع حضرتك، وأي طلبات مادية أو غير مادية أنا في أتم الاستعداد ليها.

فقدت سيطرتي هذه المرة على انطباعاتي من شدة الدهشة:

- مش غريبة إن حضرتك...

قاطعتني بأدب قائلة:

- فاهمة كل اللي حضرتك عاوزة تقوليه، ولكن تقدري تقولي إني زي الغريق اللي بيتعلق في قشة، لما قريت الإعلان في الجرنال جالي شعور قوي إن احتمال دا يكون آخر أمل هينجدني من اللي أنا فيه، ونقدر نعمل تغيير حقيقي في المجتمع، اسمحيلي آخد من وقتك شوية وأحكيلك قصتي.

هنا تحديدا طرقت ندى الباب ووضعت الشاي أمام مدام سالي.

تأملت ملامحها وشعرت أنها تأخذ لقب «الجمال الحزين» بجدارة.

وبدأت في سرد قصتها.

أنا يا دكتورة زوجي توفي من ٨ سنين، كنت ساعتها في نهاية العشرينات، من اليوم الأول للوفاة حسيت حرفيا إن نظرة الناس اتغيرت بشكل رهيب، هتكلم الأول بالنسبة للرجالة:

كنت بحس إني «لَقيّة» لأي راجل مريض تسول له نفسه إن الطريق مفتوح أمامه لأي حاجة مش تمام...

- زي مين؟

- خدي عندك:

البواب

أخو البواب

أونكل الفكهاني

صاحب كشك السجاير اللي على ناصية الشارع

السايس بتاع الجراج

مدير مدرسة ولادي

زمايلي في الشغل

عم حمدان الفراش اللي عرض عليّ الجواز؛ بعد ما قلتله ميرسي على الشاي اللي جابهولي وفكرني بألاغيه...

وانهارت في البكاء.

قلت بحزن:

- تحبي نكمل وقت تاني؟!

تنهدت بحرارة وأكملت كلامها:

- بالعكس عاوزة أفضفض، هكمل، بالنسبة بقى للستات، لو كلمتك عن جيراني في العمارة اللي قاطعوني كلهم ومابخلصش من نظراتهم في الطالعة والنازلة، وهمساتهم مع مرات البواب،

ولو واحدة منهم حظها العاثر خلاها تركب الأسانسير معايا هي وجوزها ألاقيها بتحلق عليه، وهاين عليها تخبيه ورا ضهرها زي ما يكون هخطفه وأجري، وأنا ببقى سامعاهم وهما ضاربين بعض بالليل.

أما بقى أعز صديقاتي قاطعوني وبطلوا يدخلوني بيتهم وبيتهربوا مني، حتى خالتي خافت على جوزها أونكل رأفت الشماشيري، وطنط عنايات صاحبة ماما اللي قاطعتها بعد ما عمو شوكت جوزها عبر عن إعجابه بيّا.

هزيت راسي وضربت كف على كف:

- حمدان وشماشيري وشوكت، الوضع فعلا لا يحتمل.

أكملت كلامها قائلة:

- أما بقى أهل جوزي عيّنوا أخوه عشان يراقبني، وهددوني لو فكرت أتجوز هياخدو مني ولادي وكل حاجة جوزي اللي يرحمه سابهالنا، ولما جيت أترمي في حضن أهلي لقيتهم ما أنيل من ستي إلا سيدي، بيتعاملوا معايا على إني عار ولازم أتدارى في بيتي لأني مطمع، وعلاقتي ساءت بيهم جدا بعد ما اتقدملي زميلي في الشغل، راجل محترم بجد، زوجته اتوفت من سنتين، والدتي لما سمعت انهارت وقالتلي: إنتي عاوزة الناس تاكل وشنا إنك اتجوزتي بعد المرحوم جوزك؟ اعقلي وربي ولادك، إنتي خلاص أخدتي نصيبك.. عيشي واسكتي.

وفي أثناء كلام سالي تذكرت أن في الهند عادة يتبعها الهندوس، أنهم بعد وفاة الزوج يقومون بحرق جثته ويحرقون زوجته معه وهي حية.. قلت في سري: على الأقل أرحم، بيولعوا فيها ويخلصوا بدل ما تعيش في الهم دا.. وبعدها فكرت في كلمة (الناس تاكل وشنا) وحادثت نفسي قائلة:

مين اللي اخترع الكلمة دي بجد، ويا ترى مين اللي بيطلع ياكل وش اللي بناتهم بيتجوزوا بعد الطلاق أو وفاة الزوج؟ آه لو يدلوني عليه والمصحف أأكّله كل يوم كنتاكي على حسابي.. وأتصدى لعمليات أكل الوِش غير المبررة من مثل هذا الشخص.. شعرت بنار في صدري وحاولت أن أتحلى بالهدوء لأن الموقف لا يحتمل، وبادرتها بسؤال:

- عندك اولاد؟

- الحمد للـه ولد وبنت.

وفجأة أمسكت يدي بقوة وقالت لي بعد أن نظرت إلى عيني مباشرة:

- متأكدة إن كل دا فعلا ممكن يتغير؟ ممكن فعلا يجي اليوم اللي يتم تقييم الست في مجتمعنا تقييم آدمي بعيد عن الحالة الاجتماعية؟

- أكيد إن شاء اللـه، بس... لازم إحنا الأول نتغير.

- إزاي؟

أعطيتها ورقة تعريف بأهداف الجمعية، قرأتها باهتمام وقالت بحماسة:

- أنا معاكي.

شكرتني على حسن استماعي، وبينما كانت تهم بالانصراف ناديت عليها:

- مدام سالي، إن اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

- هنغير ونتغير إن شاء اللـه.

وبعد ما أغلقت الباب، جريت نحو التليفون، فلا بد من أن أحدث صديقتي الغالية، ريهام.

سمعت القصة باهتمام، وبعدما انتهيت قالت:

- مش هينفع الكلام في التليفون، هاتي بعضك وتعالي هعمل كوبايتين شاي على ما تيجي.

استقبلتني بوجهها البشوش، دخلنا لنجلس في غرفة الليڤنج.. وظلت كل واحدة منا شاردة الذهن لوقت لا بأس به.

وبعد تفكير عميق، قطعت الصمت وقلت لها:

- بصي.. خلاصة القصة بتاعة مدام سالي هي نقطة المجتمع اللي سبق ولمّحت ليها أم أحمد البوابة، وأنا قلتلك ساعتها إن الخَمَس مشاكل اللي قالتهم البوابة هم اللي بيقابلوا أي حد، لكن بنِسب، قصة سالي هي المجتمع بعاهاته وتقاليده ونظرته، بصي، الأول هنمسك نقطة نظرة المجتمع، ودا لأي ست بلا زوج بالمناسبة مش سالي بس، الستات حواليها بيتعاملوا معاها كخطافة رجالة لأنها صغيرة وجميلة وأرملة، فإيه المانع ترضى بوضع زوج تانية ولا حتى رابعة ولا يمكن عرفي، خوفا من الوحدة ولتلبية احتياجاتها المعنوية، وغيرها، فاهماني طبعا.

قالت بنفاد صبر:

- كملي.

- أما بقى الرجالة حواليها فنظرتهم حدث ولا حرج، هي ببساطة صيدة سهلة، وخاصة الفكرة اللي صدرها الإعلام من زمان عن إن أي أرملة أو مطلقة، بتكون قاعدة ليل نهار لابسة الكومبليزون الشفتشي.

ولن ننسى تألق النجمة هياتم والنجمة ناهد شريف في هذه الأدوار، والدور العالمي للأستاذ حمدي الوزير في فيلم «المغتصبون»، وقدرته على تجسيد الحيوان اللي جوة أي راجل للمشاهدين، الراجل نظرته للست بتكون غريزية، وبيتخيل من خلال خريطته الذهنية إن الست هتفكر بنفس الأسلوب، وهو انتظار أي فرصة مهما كانت لتلبية احتياجاتها، بغض النظر عن اعتبارات الدين والعرف، ومانكرش طبعا إن فيه ناس محترمين، لكن أنا بعلّق على فكر الرجالة اللي قابْلتهم سالي، حلو؟

- لأ مش حلو.

- ليه؟

- إيه العرف يا مها؟

قلت من دون تردد:

- إننا مجتمع شرقي طبعا مابنقبلش الغلط، ومابنقبلش الجواز برضه زي أم مدام سالي، عشان الناس ماتاكلش وشنا.

العرف إن الست تتربى طول عمرها، إن حياتها مستحيلة من غير راجل، وهوب دَبِل كيك لما جوزها يموت أو تفقد الزوج ماتتجوزش عشان الناس هتاكل وشنا، ولو فضلت من غير زوج برضه هياكلوا وشنا وتعيش تتعاقب! وبكدا نكون عملنا عادات وتقاليد ميكس، كل حاجة والعكس، خدنا جزء من الدين وهو إن الغلط ممنوع، اللي أصلا في مقابله أحلّ الزواج للأرملة والمطلقة، بس إحنا حرّمنا الجزء التاني وأخدنا الأول فقط، وأخدنا الباقي من العرف والمجتمع اللي بيقول «أخدت نصيبها تعيش تربي ولادها وتسكت»، ويا ريتنا هنسيبها في حالها.

- حاجة تخنق فعلا.

- اصبري جيّالك في الكلام، حل مشكلة مدام سالي هينقسم لشقين، الشق الأول: هي نفسها عليها جزء من المسؤولية:

* أولا: تحط حدود لكل راجل بمنتهى القوة والحزم، ولازم تقوي شخصيتها شوية.

* ثانيا: تطالب بحقها طالما في نطاق شرع اللـه ومابتعملش حاجة غلط، الحقوق لازم تنتزع ياريهام ، ومايهمهاش كلام الناس.

* ثالثا: لازم تنجح في أي مجال، أولا عشان تلاقي نفسها، وثانيا عشان تنشغل.

ولو واحدة مطلقة عشان تشيل الصورة الذهنية المترسخة في دماغ الناس إن المطلقة فاشلة، نجاحها هيدعم ثقتها بنفسها وهيديها قوة غير عادية واحترام للذات بشكل غير عادي، ودا كمان هيعوض الحتة المنتقصة عندها.

أما بقى الشق التاني: هو المجتمع..

عارفة مين محتاج يتغير؟

الستات!

- يا سلام! إذا كان هم اللي بيعانوا أصلا.

أشرت بإصبعي ناحيتها وقلت فجأة:

- بالظبط.. الموضوع منهم وإليهم..

* أولا: كل ست تربي ابنها صح بداية من احترام إخواته البنات لاحترام بنات الجيران وبنات العيلة، راجل بمعنى الكلمة بيراقب اللـه في كل تصرفاته ويقدر يشيل المسؤولية، ويعتبر أي بنت كأنها أخته أو أمه.

سكتُ لبرهة وقلت بحزن:

* ثانيا: نحس ببعض يا ريهام، نحط نفسنا مكان بعض ونبطل نصدر أحكام على الناس ونحشر مناخيرنا في شؤونهم، وكل واحدة تحط نفسها مكان أختها.

الحماة تحط نفسها مكان مرات ابنها من أول وهي بتربيه، ومرات الابن تحت نفسها مكان حماتها، وأخت الزوج تحط نفسها مكان مرات أخوها والعكس، والمتجوزة تحط نفسها مكان اللي من غير زوج، ودايما نحط في دماغنا إننا ممكن نكون مكان أي حد، ماحدش ضامن حاجة ولا حد عارف بكرة فيه إيه.

لازم مبادئنا ماتتجزأش وتكون قناعاتنا واحدة أيا كان موقفنا إيه، أقولّك المفاجأة: فيه ناس آراءها بتتغير تماما تبعا للناحية اللي هي واقفة فيها، يعني لو واحدة من جارات سالي مكانها هتلعن كل اللي بيعملوا فيها نفس التصرفات اللي هي بتعملها دلوقتي مع سالي.

- حاجة غريبة جدا، فكرتيني بواحدة جارتي! تصدقي فعلا عندك حق، هوريكي دلوقتي نموذج تقريبا بيوضح اللي حكيتيه...

أمسكت ريهام هاتفها المحمول:

- هندهلك مدام وسيلة جارتي في الشارع اللي ورانا، واسمعي منها برضه.

- مين دي؟

- أرمله تونسية بقالها في مصر كام شهر، واتعرفت عليها في صلاة التراويح في رمضان.

عزمت ريهام مدام وسيلة لتأتي وتأخذ الشاي معنا.

وبعد ساعة، دخلت علينا سيدة في العقد الرابع من العمر، بشوش، ولكن يكمن في عينيها حزن دفين، أشارت ريهام ناحيتي وابتسمت قائلة:

- هعرفك بالدكتورة مها صاحبتي، عاوزة تتعرف عليكي لأنها بتعمل بحث وعاوزة تحط فيه قصص للمطلقات والأرامل.

تنهدت وبدأت في سرد قصتها، وبعد محاولات جاهدة مني لفهم كلامها، حكت لي أنها جاءت إلى مصر بعدما تعرضت لأزمة وفاة زوجها من بضعة أشهر.

قالت إن زوجها توفي بعد أن شاركت في المظاهرات المؤيدة لقانون تجريم الزواج الثاني في تونس، وذلك لإيمانها الكامل في ذلك الوقت بأنه ليس من حق أي رجل الزواج بأخرى، وليس من حق أي امرأة مهما كانت ظروفها أن تبني سعادتها على حساب أخرى.

قاطعتها بأدب:

- أنا ضد تجريم التعدد والوقوف أمام ما أحل اللـه، ولكن شايفة إن العدل الشرط الوحيد اللي ربنا حطه للتعدد شرط صعب التحقيق جدا، خاصة في ظل الظروف الاقتصادية اللي الناس عايشين فيها، وبالتالي إحنا ممكن نلجأ ليه في بعض الحالات النادرة، اللي يكون الراجل مؤهل لدا وقادر على تعويض زوجته الأولى ماديا ومعنويا، وعدم ظلم أي واحدة فيهم، أو لو عنده ظروف قهرية خلته يضطر يعمل كدا.

قالت وصوتها يقطر ألما:

- دا رأيك دلوقتي؟! وخاصة بعد ما خضتي تجربة الطلاق؟!

- آه طبعا.. ودا رأيي وأنا متزوجة وأنا مطلقة.

انهارت في البكاء:

- بعد وفاة زوجي حسيت بآلام إخواتي المطلقات والأرامل، وأنا دلوقتي بنادي بالتعدد ومقتنعة بيه جدا..

أكملت كلامها قائلة:

- نفسي ربنا يغفرلي، وحاسة وبشدة إن ربنا حطني في الموقف دا عشان أتعلم درس عمري.

ثم قالت وهي تهم بالانصراف:

- يا ريت تحكي حكايتي للناس ويستفيدوا منها، لو فعلا عاوزة تعملي حاجة يا ريت الناس يوصلّهم مبدأ حب لأخيك ما تحب لنفسك، واللي مانرضاهوش على نفسنا وعلى ولادنا مانرضاهوش على حد.

- ماتجلديش نفسك.

تنهدت بحرقة:

- أسال اللـه أن يوفقك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عدت لمنزلي في الساعة التاسعة ونصف مساء، وأنا في أتم الاستعداد لخناقة كل يوم المعهودة، الخاصة بطنط جولفدان ونظراتها وأونكل طلعت ومراته، وبالطبع لم ننس طنط كايداهم، وبعدما سمعت الطريحة، ألقيت نفسي على الفراش، وأخذ يجول بخاطري ما حدث خلال اليوم، وتذكرت الأحداث الأليمة التي مررت بها كمطلقة، فوضع المطلقة في المجتمع للأسف أسوأ بكثير من وضع الأرملة.

الأرملة ما حدث لها لم يكن بإرادتها، أما المطلقة فهي موصومة بالفشل، إضافة إلى كل ما تعاني منه الأرملة مثل سالي.

وجلست أحدث نفسي قائلة:

نظرة المجتمع للمطلقة، خاصة وأي ست من غير زوج عموما بتخلي الست تجري ناحية أي جوازة مهما كانت، أو ترضى بأي عيشة والسلام، بسبب خوفها من المجتمع، ودي من الحاجات اللي بتخلي بعض الرجالة في مركز قوة بسبب معرفته بظلم المجتمع، اللي بيتم استغلاله كنقطة للوي دراع الست عشان تستحمل، أسهل من تصليح عيوبه، أو إيجاد حل جذري لمشاكلهم، وافتكرت على طول في بداية طلاقي لما كنت مخبية الموضوع، وكانت طنط جولفدان جارتنا بتبصلي بنظرات متفحصة وهي بتسأل:

- إنتي قاعدة عند ماما ليه؟ وفين جوزك مابنشفهوش ليه؟

وكنت أتهرب ببعض الكلمات المتلعثمة زي: «أصل جوزي مسافر... مات... هرسه قطر... خرج ولم يعد... راح يجيب ورقة بوسطة وزمانه جاي»... وتعقبها نظرة شريرة مع شعور بزهو الانتصار من طنط جولفدان إن تخمينها كان صح، وإن المفاجأة إني... إني...

مش قادرة أقولها... اتطلقت.

بس كنت بحب شعور النعامة اللي دافنة راسها في الرمل، وإن الناس عارفة بس أنا مش عارفة إنهم عارفين.

والحقيقة إني ماكنتش فاهمة إيه اللي يدعو للخجل، وبعد ما درست الكوتشنج فهمت إن اللي يدعو للخجل إني كنت ماشية طول عمري بالمسطرة على قانون ورغبات المجتمع، بس المرة دي مش بإرادتي، الظروف خلتني أخرج برة الإطار واتطلق، ودا كان تفسيره في عقلي الواعي واللاواعي إني فشلت... مها سامي فشلت أجدعان... مرسي الزناتي اتضرب يا رجالة، وللأسف لأننا محاطين بالأغبياء مع انعدام ثقتي في نفسي وفي قراري، وصل الشعور دا للناس اللي حواليا، لدرجة إن البوابة جتلي في يوم وقالتلي:

- بجولك يا ضاكتورة.. رئيس مجلس إدارة العمارة كان عاوز يزود الصيانة عليكو.. جولتلّه دي بنتهم مُطلجة وبتچري على عيالها.

لن أنسى منظرها مع رذاذ فمها المتطاير الذي جعلني أشعر بقذارة المجتمع... (بحب الفصحى قوي لوصف المواقف الجوهرية دي).

وحقيقة الأمر إن زيادة فلوس الصيانة مش معضلة بالنسبة لنا ولا حاجة، لكن هي كانت عاوزة تحط كلمة مطلقة في جملة مفيدة، نظام «قفشتك يا خلبوصة».

وأول شغل طبعا اضطريت إني أنزله كان شغل في صيدلية، وفضلت لابسة دبلتي عشان ماحدش يضايقني، أما المضايقات اللي اتعرضتلها من أهل والدتي كانت مصمصة الشفايف، ويا «حبيبتشي» ربنا يجعل عوضك في ولادك، وصاحباتي كانوا خايفين مني لاحسدهم، وماكانوش يتصلوا بيا إلا عشان يسمعوني سيل من الشكاوى والخناقات والصراعات الدامية بينهم وبين أزواجهم.

في الفترة دي، قررت أشد الفيشة، وهي فيشة مشاعري، عشان أعرف أعيش، كانت مشاعري متعادلة، أو بالأحرى مافيش مشاعر، مشاعري وأنا قاعدة في عزاء جدتي اللـه يرحمها كانت لا تختلف أبدا عن مشاعري وأنا في الجونة بقضي وقت لطيف مع ولادي، نفس الانطباعات من برة، ونفس الفصلان من جوة، ولما درست كوتشنج فهمت إني كدا فعلا انفصلت عن الواقع كنوع من أنواع الهروب، ودا كان أكبر غلط، لأن الطبيعي جدا إن الواحد يحزن ويعيط ويتضايق ويغضب بس لازم يتعامل مع المشاعر صح، إنه يتقبلها وبعدين يفهم هل المشاعر دي فعلا تستاهل تكون حقيقية وموجودة ولا لأ.

لو ضربتلكم مثال لشعور كان مسيطر عليّ، الشعور بالحزن الشديد..

الحزن ليه؟

عشان أنا فاشلة...

وإيه يا مها اللي محسسك بكدا؟

إني اتطلقت...

طيب وهل إنتي قصرتي؟

يمين عظيم أبدا ماقصرتش...

طيب ما نبدل الكلمة ونخليها بدل فشل... تجربة عدت عليّ واستفدت منها...

الفكرة هنا إن مشاعرنا مش هي إحنا، أو بمعني تاني مش بتعكس الحقيقة والواقع، وعشان تفهمي الكلام دا لازم تفهمي المشاعر بتتولد إزاي، الأول إنتي بتشوفي حدث، والحدث دا بتشوفيه من خلال خريطتك الذهنية، الحدث بيولد فكرة، والفكرة بتولد شعور، طيب يعني إيه بتشوفي الحدث خلال الخريطة الذهنيه؟ يعني من خلال تربيتك وقناعاتك وخبراتك السابقة في الحياة اللي وارد جدا تكون صح ووارد جدا تكون غلط، وبالتالي المشاعر المتولدة ممكن تكون صح وممكن تكون غلط، بمعني تاني إن مشاعرك ما هي إلا انعكاس لطريقة تفكيرك، خلينا نضرب مثال...

وأنا في الثانوية العامة أمل جارتنا في الدور الرابع جابت ٧٠٪، لما سمعت المجموع حسيت جوايا يا عيني أمل فاشلة أوي، مجموع أمل هو الحدث، الحدث ولد فكرة وهي أمل فاشلة، الفكرة ولدت شعور وهو شعور بالشفقة تجاه أمل، هل أنا حكمي أصلا صح؟ لأ مش صح، لأن حكمي مبني على تربية ماما، إن لازم نخش طب وصيدلة وما دونهما فشل، بالمناسبة، أمل بقى كانت فرحانة جدا بالنتيجة، لأنها كانت باصة للموضوع من خلال خريطة ذهنية تانية خالص، وعلى فكرة، اتخرجت من كلية التجارة وماسكة دلوقتي إدارة بنك من أشهر البنوك في مصر، وأسرتها ربنا يبارك أسرة سعيدة جدا.

يبقي لازم تفهمي إن مش دايما مشاعرك بتكون صح، وقيسي على كدا مشاعر الخوف والخجل غير المبرر من الطلاق ونظرة المجتمع، وغيرها من المشاعر، لما بيجيلك الشعور دا الأول تَقبّليه، وبعدين اسألي نفسك سؤال واحد: هل الشعور دا مفيد بالنسبة لي؟ وابتدي اسألي نفسك إيه المعاني اللي ورا الشعور دا...

إيه السبب فيها...

واشتغلي عليها وغيريها...

شوفتوني وأنا كوتش.. ألاقيش حد يكتشفني؟

هاتي تمن الكتاب بقى...

إحم معلش... ما علينا...

طيب الكلام اللي فات بيلخص إزاي أحسّن نظرتي لنفسي...

طب إزاي أحسّن نظرة المجتمع ليّ؟

بصي يا بنتي، إنتي مش مجبرة تحسّني نظرة الناس ليكي نهائيا، لأن كل واحد هيحكم عليكي من خلال خريطته الذهنية المبنية على قناعاته وتفكيره، بدليل حكم طنط جولفدان جارتنا عليّ إني مثلا فاشلة معروف أسبابه، لكن لو سألنا

جون، شاب أمريكي متحرر، عن نظرته ليّا بعد ما أخدت قرار الطلاق هيقول: واو فنتاستيك... سترونج إندبندنت وومن... وطالما اللي حصل ان بابليك ومفيش فيلنجس سوو وات؟ لأنه حكم من خلال قناعاته وتربيته وخبراته السابقة، يبقي لازم تقتنعي إن نظرة الناس ليكي مش لازم تكون صح، وإوعي تغلطي الغلطة الشنعاء إنك تقيّمي نفسك من نظرة الناس ليكي.

هحكيلكو حكاية كدا هتفهموا منها وجهة نظر..

وإحنا صغيرين كان بيلعب معانا ولد جارنا، كان شخصية لزجة للغاية، عنده شر دفين إنه يقدر يخلي أي طفل مننا...

يعيط

يضحك

ينهار

كان أكبر مننا في السن وكان منمر عليّ (معجب ولهان) فماكانش بيضايقني كتير...

وفي يوم من ذات الأيام اعترفلي إنه في غاية السعادة لأن ريموت كل العيال في إيده، وبيقدر يتحكم فيهم عن بعد... لما درست الكوتشنج فهمت مباشرة إن الغلط ماكانش عند الولد دا وأمثاله من الأشخاص في المجتمع، زي البوابة وطنط جولفدان وغيرهم...

تتخيلوا؟!

الغلط كان عندي أنا إني سمحت لحد إنه يتحكم في مشاعري ويكون هو المهيمن عليها، تخيلي إنك تكوني مش مسيطرة على مشاعرك! ومِدّية كارت بلانش لكل من هب ودب إنه يضايقك.. ينرفزك.. يفرحك.. يزعلك.. ومشاعرك مابقتش ملكية خاصة ليكي... هار اسوح... شيء يدعو للإزبهلال لما نركز فيه...

لو جيتلك البيت ودخلت من غير إحم ولا دستور... ورحت ناحية الصالون ودلقت عليه عصير، وشويه رحت نازلة بشومة على كرسي من الكراسي، وملمعة الترابيزة..

هتسمحيلي؟!

أكيد طبعا لأ..

طب على فكرة مشاعرك أغلى من الصالون بكتير، ببساطة خدي القرار إنك مش هتسمحي لأي حد مهما كان إنه يكون له هيمنة على مشاعرك

وأحاسيسك، أنا أخدت القرار على فكرة ودشنت (بتعجبني أوي كلمة دشنت دي بالمناسبة، ومبسوطة إن جه اليوم اللي كتبتها فيه، يا ما انت كريم يا رب)

دشنت هاشتاج...

#ريموتي_في_ايدي

لايك وفولو وشير إلهي يستركم.

إحم... القصد...

إيه رأيك في كل اللي فات؟ حلو؟!

ماشي حلو، عرفت يا مها هعمل إيه في مشكلة المجتمع إلى حد ما، ولو إن الصورة مش واضحة أوي، بس ماشي هكمل الكتاب يمكن تِوضَح...

لكن يبقى السؤال المهم اللولبي الجهنمي اللي عشانه اتعمل الكتاب، ألا وهو...

أنا اتطلقت ليه؟!

أو إشمعنى أنا من دون الناس اللي بقيت من غير زوج، سواء خسرته بالموت أو لسة ماقابلتوش؟

تعالي نكمل... هنعرف سوا...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث: المشكلة الثانية: الدعم المادي

طالق يا مدام إنتي وولادك...

«لا نملك المال، لذا فعلينا أن نفكر»

أرنست رذرفورد

كانت ندى تقوم بحصر الأعداد المتقدمة للجمعية باهتمام، بينما كنت أقف في شرفة مكتبي في التاسعة صباحا، أستنشق نسيم الهواء النقي... وشعرت بأن الأمل قريب... أقرب مما أتوقع... أفقت من شرودي على صوت ندى وهي تقول بتذمر:

- العدد كبير بشكل غير طبيعي، استحالة نقابل كل دول... ولا إيه رأيك يا دكتور؟

- للأسف لازم نقابلهم كلهم، عشان نختار مؤسسي الجمعية والأعضاء زي ما اتفقنا.

- طيب ومدام سالي، فعلا حضرتك هتديها دور أساسي في الجمعية؟

- آه، الست متحمسة للفكرة جدا ومؤمنة بيها، وعندها رغبة حقيقية وإرادة للتغيير، والحاجات دي من أهم الأسس في الجمعية.

خبطت ندى على رأسها وقالت:

- كنت هنسى، مدام سالي جاية بعد شوية، كنت إديتها ميعاد امبارح.

مر اليوم بسلام بعدما اتفقت مع مدام سالي على أن تتولى منصب وكيل الجمعية، ومرت بعدها الأيام، وقابلنا العديد من الشخصيات من كل صوب وحدب، وسمعنا قصصا يشيب لها الولدان.. البعض منها كان مكررا والبعض لا.. وبعد شهر كامل من المقابلات وقع اختيارنا على أكثر الشخصيات المميزة لتولي مناصب مهمة في الجمعية، إحدى هذه الشخصيات مدام نجلاء منصور...

كانت تفاصيل لقائنا الأول كالتالي...

من عادتي أن أراقب الحضور وتصرفاتهم من خلف بارافان يفصل بين مكتبي والريسبشن.. لتكوين انطباع مبدئي عنهم... نجلاء منصور سيدة أربعينية.. تنظر لمن حولها بمنتهى الاستغراب والانزعاج.

وحينما أمعنت النظر لاحظت أن انزعاجها مبرر، فالجميع يتحدثون بمنتهى الفوضى، وتتعانق أصواتهم في سماء الريسبشن لتطل علينا أكثر السيمفونيات بشاعة في التاريخ.. فثقافة استماع الآخر وانتظاره ليكمل حديثه مفقودة للأسف في مجتمعنا.

حينما جاء دورها دخلت المكتب وجلست دون أن تنطق بكلمة واحدة، وأخذت تتفقد الغرفة بعينيها ثم قالت فجأة:

- واضح إنك حد ناجح وطموح.

- ممكن أتشرف بيكي.

- مدام نجلاء منصور، خريجة كلية ألسن، مطلقة ومعايا ولدين.

- أهلا وسهلا يا فندم.

- حكايتي باختصار إني اتطلقت بعد خمس سنين من جوازي، كنت متجوزة زميلي في الجامعة بعد قصة حب طويلة، وتنازلت عن حجات كتير، واكتفيت بشبْكة فضّة وشقة عادية جدا..

ورغم رفض أهلي الشديد بسبب فرق المستوى الاجتماعي بيننا، صممت وركبت دماغي.

وبعد الجواز بسنة والدي توفي، وخسرنا كل حاجة حرفيا بسبب قلة ضمير الناس اللي كان مشاركهم في كل مشاريعه، والدي كان راجل أعمال، بعنا اللي ورانا واللي قدامنا، وللأسف والدتي ماتت بعد والدي بسنة، من الحسرة.

بعد وفاة والدي ووالدتي جوزي بدأت معاملته تتغير تماما من سيئ لأسوأ، وكل ما كنت أطلب منه إننا نصلح علاقتنا كان يرد عليّ رد واحد «احمدي ربنا إني بصرف عليكي إنتي وعيالك.. عيشي يا بنت الناس واقصري الشر، لو اتطلقتي هتاخدي من المحكمة متين جنيه ومش هتعرفي تعيشي»، ما اطوّلش عليكي طلبت الطلاق لكنه رفض، مش حبا فيّا إنما عشان ماخُدش أي حقوق مادية منه، بالرغم من إنه رجل أعمال ناجح جدا، فلجأت للقضاء عشان أخلص، للأسف فضل يضغط عليّ ويستعمل أساليب محامين مش بيخافوا من ربنا، وعمل عقد بيع للشقة لأخوه وغيّر العفش بتاعي كله، وخرجت من الجوازة يا مولاي كما خلقتني، وبولادي ربنا يخليهملي عمر وزياد، وتنصل بعدها تماما من مسؤوليات الولاد المادية والمعنوية، وبدأت زياراته للأولاد تتباعد تماما، وسمعت إنه اتجوز من سنة كدا.

سألت باهتمام:

- وانتو عايشين إزاي؟

قالت بمنتهى الرضا:

- الحمد للـه أنا دارسة كذا لغة، وبشتغل مترجمة من البيت، ومن فلوس الترجمة أجّرت شقة في حي شعبي أنا وولادي، وأهي ماشية نحمد ربنا.

- إيه سر اهتمام حضرتك بالجمعية؟

ردت بمنتهى الانكسار:

- عشان أكون صريحة معاكي، لو عندكم فرصة عمل أزود بيها دخلي، وأكيد عشان عجبتني الفكرة ونفسي أكون عضو معاكم، نفسي كل ست طلبت الطلاق لاستحالة العشرة تاخد حقها وحق ولادها زي ما الدين بيقول، لازم أي راجل يفهم إن الطلاق ربنا ماشرعهوش لينا عشان الست تتعاقب بيه، ربنا شرعه كبوابة للخروج من علاقة فاشلة عشان نعمل حياة أفضل للطرفين وللأولاد.

نفسي كل راجل يحس إن ولاده قبل الطلاق هم ولاده بعد الطلاق مهما كانت والدتهم وحشة، مش ذنبهم يتعاقبوا بإن والدتهم تقوم بدور مش دورها، وهو دور إنها تصرف عليهم.

ودا بيخليها تقصر في دورها كأم، وبالتالي بيخلي الأولاد يطلعوا مش أسوياء، زي بالظبط لو منظومة الأسرة اكتملت عشان بس خوف من تهديد زي الفلوس وغيرها، ساعتها بيكون الطرفين الأب والأم عايشين سوا وهم مش في كامل طاقتهم النفسية، لأن الموضوع إجبار ودا بيخلي نفسية الأولاد تتدمر.

نفسي كل أب يعرف إن مش معنى إن علاقته بأم أولاده انتهت، يَعقُبها مباشرة انتهاء علاقته بأولاده وتنصله من كافة أعباؤه المادية والإنسانية، كفى بالمرء إثما أن يضيّع من يعول، صح ولا إيه يا دكتوره؟!

انبهرت بطريقة مدام نجلاء وعرضها للمشكلة بشكل منمق وراق، ولاحظت طوال حديثها أنها كانت تضغط على أصابع يدها بارتباك نظراً لتصريحها برغبتها في فرصة عمل. شعرت بحرج شديد لأجلها، وقلت بسرعة:

- طبعا صح.. تصدقي إنك بنت حلال، كنا بندور على حد ينظم معانا شغل الجمعية، وكمان متحدث رسمي باسم الجمعية، ومش هنلاقي أرقى منك.

نظرت إليّ في خجل وقالت بمنتهى الطفولية:

- بجد؟

- آه واللـه.. يا ريت بقى تجيبي السي ڤي بتاعتك، وتقدري تستلمي الشغل من بكرة.

- أنا اتربيت على النظام، وتأكدي إني هحط أسس وهظبط بإذن اللـه حاجات كتير.

همت بالوقوف وقالت وهي تصافحني وتغمز بعينها:

- بالمناسبة الدنيا برة فوضى جدا.

ضحكت:

- إنتي هتنظميها إن شاء اللـه...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«قال رايح فين يا حظ؟ رايح لعفانتهم.. طب والحلوين يا حظ؟ كفاية عليهم حلاوتهم».

كان هذا تعليق ملك، مساعدتي، على قصة مدام نجلاء...

قالت ندى بتشكك:

- إيش عرفنا إن كلامها صح؟ ما يمكن تكون بتضحك علينا وعاوزة شغل وخلاص.

نظرت لندى بهدوء:

- اللي ماتعرفيهوش إن دا مقرر للأسف عند أي ست بتتطلق، وكل الرجال إلا من رحم ربي بيكونوا مذاكرينه من الجلدة للجلدة، وبينفذوه بحذافيره، بيعتبروا نقطة المادة والفلوس بمثابة كارت ضغط لاستمرار الست في العلاقة، ودا أكيد حل أسهل من إنه يصلّح من نفسه ويدور على حل جذري لمشاكله بينه وبين مراته، والغلطان يعترف بغلطه، ولما الست بتركب دماغها وتتطلق.. فورا بيشهر الكارت دا عشان ترجع لعقلها زي ما بيقولوا.

ولما مابترجعش وتصمم بيبتدي الضغط اللي بعده، وهو الضغط عليها من خلال أولادها وهو التقصير في حقوقهم المعنوية..

نظام: شفتي أضرار الطلاق؟

مش عملتيلي سبع رجالة في بعض وهولاكو في نفسك وطلبتي الطلاق.. اشربي..

بنت مين في مصر انتي عشان تطلبي الطلاق؟! ما تعيشي وترضي زي ما كل الناس عايشين...

ولو سألتي راجل من دول: طب ليه عملت كدا؟ هيقولّك كاس ودايز علي الناس.

هنا يحضرني السؤال اللي هيطير برج من نافوخي.. أليس منكم رجل رشيد؟!

ليه ماتحطتش قوانين واضحة تناسب العصر اللي إحنا فيه، قوانين تردع أمثال الأستاذ عزت جوز مدام نجلاء؟ طالما مابيخافش من ربنا يخاف من قانون، ومايكونش فيه أي تلاعب.. تكون أحكام واضحة وصريحة تناسب ظروف الحياة الصعبة، مش نفقة ٣٠٠ جنيه و٢٠٠ جنيه!

قالت ندى وهي شاردة:

- أنا لازم أروح أقابل الأستاذ عزت دا وأسمع منه.

- بجد؟ عندك استعداد تعملي كدا؟

- آه عندي، بصراحة الفضول هيموتني ولازم أسمع وجهة نظره.

- حيث كدا بقى سيبيني أفكر وأقولّك هنعملها إزاي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبعدها ببضعة أيام..

كانت ندى تقف أمام شركة عزت أفلاطون للاستيراد والتصدير، ترتدي نظارة سوداء، خلعت النظارة، وما إن قرأت الاسم حتى كادت تسقط مغشيا عليها من الضحك، أفلاطون؟ يعني قادم من المدينة الفاضلة، يا مسهل يا رب..

دخلت إلى الشركة بخطى واثقة، حتى وصلت لمكتب سكرتيرة أستاذ عزت.. نظرت للسكرتيرة وقالت بثقة:

- من فضلك أنا معايا معاد مع أستاذ عزت، اتصلت بحضرتك امبارح وحددتيلي معاد النهارده عشان أقابله.

- أتشرف بالاسم يا فندم؟

- ندى بسيوني صحفية في جريدة الحقيقة الكاذبة.

- آه تمام.. أستاذ عزت في انتظارك.

دخلت ندى مكتب الأستاذ عزت..

كان يتحدث في هاتفه المحمول، وانتهزت الفرصة لتتأمل الأستاذ عزت ومكتبه كما يروق لها، ديكور المكتب كان فارها إلى حد كبير..

أما هو فيشبه عادل أدهم وممثلي أدوار الشر...

كان يناقش أحد شركائه بانفعال بخصوص صفقة حصل منها على ربح مليون جنيه، وهذا أقل من سقف توقعاته بمراحل...

أنهى مكالمته وأخذ يطالع الأوراق أمامه، وقال دون أن ينظر لندى...

- أهلا يا آنسة، أي خدمة؟

تلعثمت في الكلام:

- أنا يا فندم ندى بسيوني صحفية في جريدة...

قاطعها قائلا:

- عارف، ادخلي في الموضوع من فضلك.

- أنا بعمل ريبورتاج عن ارتفاع حالات الطلاق في مصر، وقابلت زوجة حضرتك السابقة السيدة نجلاء في محكمة الأسرة... وحكت الموضوع من وجهة نظرها، وقلت أبدا.. لازم أسمع من الطرف التاني اللي ممكن يكون مظلوم، وهو حضرتك طبعا، وطبعا الموضوع هينزل في الجريدة من غير ذكر أي أسماء.

تبدلت ملامح الرجل بعد سماع هذه الكلمة تحديدا من الغضب إلى الارتياح، وقال:

- تشربي إيه؟

- لو ممكن عصير برتقان.

ضغط الرجل على زر أمامه:

- عصير برتقان فريش هنا للآنسة يا نجوان من فضلك بسرعة.

تنهد الرجل بحركة مسرحية، وتابع قائلا:

- إيه، هقولك إيه بس يا آنسه ندى!

أنا زيي زي أي راجل مصري بريء، اتجوزت وكان نفسي أبقى راجل في بيتي، وعادي يعني عندي شوية عيوب بسيطة، الست هانم ماستحملتش وخربت البيت، ونسيت إن أنا الراجل، المسترجلة ماحترمتش رجولتي، ولم تقدرها على الإطلاق، حضرتك سمعتي أغنية الراجل بتاعة رامي صبري؟

- آه طبعا يا فندم.

- المدام كانت بترد الكلمة بعشرة، وماعملتش حساب للعشرة.

- طيب يا فندم طالما ماكنتوش متفقين ليه ما اتطلقتوش بالمعروف؟

- أنا عملت فوق المعروف، صاحبي محسن حسين طلق مراته وبيديلها نفقة سبعين جنيه في الشهر لابنها.

- آه أكيد يا فندم بتركب بيهم تاكسي رايح جاي تروح تسلم على الأستاذ محسن وترجع.

أكمل الرجل حديثه:

- أنا اتعاملت بالمعروف، وقلتلها هديكي ٣٠٠ جنيه للعيل في الشهر، ورفضت.

- ياه يا فندم على كرم أخلاق حضرتك.

أمسك المسبحة وقال وهو يستحضر الروحانيات:

- الحمد للـه، الواحد بيعامل ربنا، مابينتظرش الرد من البشر..

- وحضرتك بقى بتشوف الأولاد؟

قال بحزن مصطنع:

- منها للـه، حرمتني منهم بشكل غير مباشر.

- شكل غير مباشر إزاي يعني؟!

- لما كنت بروح أزور العيال كل سنة مرة بلاقيهم شاربين الكره من ناحيتي، يلا ربنا على الظالم.

- وحضرتك ليه بتزورهم كل سنة مرة؟

- محسن حسين بيزور ابنه كل ٣ سنين، لكن الواحد مابيحبش يعمل كدا، الواحد دايما بيحب يتعامل بالإحسان والمعروف، طب أحكيلك حاجة مش هتصدقيها، من سنة لما قابلتهم كنت لسة متجوز مراتي الجديدة، أخدتهم عندها في البيت اللي كانوا عايشين فيه وعلى نفس عفشهم وحاجة أمهم، عادي بقى ما هيّ اللي سابت الحاجات دي بمزاجها ودمرت بيتها براحتها وطلبت الطلاق.. المهم، قلت للولاد شايفين مرات باباكم كيوت إزاي؟ قولولها بقى يا ماما، ومن ساعتها ماتعرفيش العقربة أمهم قالتلهم إيه، مش عاوزين يشوفوني ولا يقابلوني تاني.

وبعد هذه الكلمة تحديدا شعرت ندى بشعور واحد، ألا وهو: اِهروب يا وِيلد.

عادت ندى من مقابلتها مع أستاذ عزت، وظلت على وجهها علامات الذعر لأيام عديدة، ولم يختف الذعر إلا بعد جهود مضنية من الجميع لتهدئة روعها، حكت لنا ندى تفاصيل المقابلة بعدما هدأت، ويا ليتها ما حكت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تعليقي أنا - وأعوذ باللـه من كلمة أنا-:

بالمناسبة، القصة الأخيرة مش قصة من خيالي، وللأسف فيها حاجات كتير مطابقة للواقع، لما سمعت قصص المطلقات لقيت إن دا عامل مشترك بين الأغلبية، جريت على المصحف وفتحت سورة الطلاق، لفت انتباهي إن ربنا سبحانه وتعالى حطلنا قواعد ثابتة وواضحة للتعامل في الأمور دي، وأخدت بالي إن بعد أوامر ربنا الصريحة في السورة مباشرة جاءت الآية:

«وكأيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا».

ودا تهديد ووعيد واضح من ربنا سبحانه وتعالي بعد ما قال ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُۚ﴾، ما يعني إن مفيش أي اختيارات قدام أي راجل بعد الطلاق إلا الإنفاق، سواء كان مقتدر أو غير مقتدر، طيب والحل يا مها؟

لو ربنا ابتلاني براجل لا يخشى في اللـه إلّاً ولا ذمة هموت أنا والعيال ولا إيه؟

لأ طبعا ماحدش قال كدا، تأكدي إنك مع السعي في طلب الرزق ربنا هيسترها عليكي وهيبعتلك رزق أولادك، ودا مش كلام كتب، دا كلام حقيقي.

وعلى سيرة السعي بلاحظ ستات كتير بتقوللي أنا مفيش في إيدي حاجة أعملها، كلمة السعي بتفكرني فورا بالسيدة هاجر لما كانت في الصحراء مع سيدنا إسماعيل ولوحدهم، ماكانش في إيدها حاجة تعملها، قامت تجري رايح جاي تدور على المياه، ودا بالظبط اللي المفروض تعمليه، إنك تسعي، وتأكدي إن ربنا لازم هيرزقك ويفتحلك أبواب، وفيه كمان حاجة مهمة..

عزيزتي المطلقة والرؤية (رؤية الأولاد لباباهم)، أوقات كتير بنسمع عن أمهات بيمنعوا طليقهم من إنه يشوف الولاد لأسباب كتير، من الأسباب دي:

إنها تكون اتطلقت غدر ومغلولة منه.

إنه يكون ممتنع عن نفقة ولاده.

إنها خايفة إنه يخطفهم.

إنها خايفة ولادها يحبوه أو يملا دماغهم من ناحيتها.

بصي بقى يا ست الناس، هنمسك سبب سبب وهنتناقش فيه:

إنك اتطلقتي غدر ومغلوله منه:

هنا هقولك اسألي نفسك إنتي مغلولة منه ليه

هتقولي دمر حياتي

هقولك حياتك في إيد ربنا بس، وماحدش قادر يعمل حاجة في حياة حد إلا بإذن ربنا ثم...

عارفه ثم إيه؟

ثم بإذنك إنتي...

لو أخدتي القرار إن حياتك ماتدمرتش وقمتي وقفتي على رجليكي تاني وإنتي قادرة على ده، وإنتي مقتنعة إن أي مشكله في حياتي ممكن أخلق منها نجاح، هتلاقي مشكلتك انحلت..

وبعدين؟ نتنقل للنقطة التانية...

إنه مابيصرفش على ولاده وحياخدهم وهو مابيدفعش ولا مليم ودي بقى أنا بحبها أوي،

أجمل إحساس في الكون إنه ييجي يتسول عياله...

وحطي مليون خط تحت يتسول!

عارفة شعور إنك اليد العليا؟ عارفة شعور إنك بتديهومله وإنتي قوية وهو مخزي وعارف قد إيه هو صغير قدام ربنا وقدام نفسه وقدام ولاده؟

ثانيا حطي في دماغك إن ربنا هيحاسبه على النفقة.

وانتي ربنا هيحاسبك على قطيعة الرحم، إحساس رائع إنك تحسيه عمال يغرس في الوحل وإنتي بتضحكي وتشهدي اللـه عليه، وإنتي محتاجة ربنا أوي في حياتك إوعي تغضبيه.

خايفة يخطفهم

ديه تشوفي فيها رأي القانون، ولكن إوعي تمتنعي عن الرؤية اللي بتحددها المحكمة لنفس أسباب رقم اتنين.

خايفة يملا ودان عيالك من ناحيتك

هقولك كلمة واحدة، أنا لما بتخيّله بيملا ودان عيالي بقعد بثقة في جلسة مسرحية على كرسي أنتيك وأرجّع ضهري لورا، وأحط رجل على رجل، وأضحك ضحكات متقطعة تعقبها ابتسامة سخرية، وههمس في ودانك بكلمة واحدة، سيبيهم يعرفوا الحقيقة لوحدهم، إن ماكانوش عارفينها، ودا لأنك لازم

تتأكدي إن الطفل بفطرته السليمة بيعرف يحدد كويس جدا مين اللي بيعمل ومين اللي مابيعملش، ومين الصح ومين الغلط.

إوعي تحرقي دمك لو سمعتي كلمة كدا ولا كدا.. وحاولي دايما تثبتي قدام ولادك عدم صدق الكلام اللي بيسمعوه بأفعالك مش بأقوالك، وعوديهم على قد ما تقدري ماينقلوش الكلام.

بمناسبة الكلام عن الأب مابيصرفش على ولاده، كنت مرة بتناقش أنا وصديقة مطلقة برضه بتقوللي:

- عارفة يا بت يا مها، الفلوس اللي باخدها من الشغل دي لو بصرفها على نفسي كلها، كان زمان عندي خواتم سوليتير مش خاتم واحد.

قلتلها كلمه مانسيِتهاش طول حياتها:

- بالمناسبة الفلوس الكتير اللي بتجيلك دي ببساطة رزق ولادك.

هحكيلكم حاجة واقعية حصلت معايا أنا شخصيا، بعد طلاقي مباشرة والدي رجع من الشغل مستغرب جدا، وندە على ماما وقالها:

- النهارده حصلت حاجة غريبة جدا في الشغل، زودولي المرتب مبلغ محترم، رغم إن ماحدش فيهم يعرف أي شيء عن حياتي الشخصية، دا رزق بنتك وعيالها.

حطي في دماغك حاجة:

أي فلوس بتصرفيها على ولادك مبدئيا هي جتلك عشان رزقهم، وربنا حابب يستخدمك ليهم عشان تصرفي الفلوس اللي رزقك بيها عليهم، وكمان يديكي أجر على كدا، شفتي ربنا رحيم إزاي؟!

واللـه العظيم استحالة ربنا يسيبك وإنتي بتسعي، ورامية حمولك عليه، تابعيني في أحداث الكتاب هتعرفي حجات كتير بخصوص النقطة دي.

طيب برده ماقولتيليش أعمل إيه عشان أصرف على العيال؟!

مفيش حل غير إني أخبط البت مفك جنب عينها وتنزل تشحت في أي إشارة، والواد هتّفقله مع الميكانيكي اللي على أول الشارع، أهم يجيبوا مصاريفهم.

والأهم من دا كله متاخدينيش في دوكة..

أنا اتطلقت ليه؟!

طب أنا ضعت ولا إيه؟!

صبرك عليا وهتعرفي كل حاجة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع: المشكلة التالتة: البحث عن السند والأمان والدعم العاطفي هيييييح

«على خطايانا يجب أن نبكي حقا، وليس علي أي هجر أو أي فراق أو أي مرض أو أي موت، وتلك حال الذين قدروا اللـه حق قدره».

د. مصطفي محمود

في أول زيارة لها دخلت السنتر وجلست على أقرب أريكة لشاشة التليفزيون.. أشارت لندى بأدب:

- ممكن تجيبيلي قناة روتانا كلاسيك من فضلك؟ أصل فيلم نهر الحب زمانه شغال دلوقتي.

حاولت ندى أن تكتم ضحكتها وقالت:

- طبعا يا فندم لحظة واحدة.

وجرت نحو المكتب بعد أن انفجرت في الضحك.. طرقت الباب ودلفت إلى الحجرة دون استئذان:

- إلحقي يا دكتور مها، فيه واحدة ست برة نكتة بجد، أول ما دخلت سألتني على الريموت عاوزة روتانا كلاسيك عشان نهر الحب، هو لسه فيه حد بيتفرج على الأفلام دي أصلا!

استغربت حديث ندى بشدة ولم أصدقها للوهلة الأولى، وخرجت من مكتبي على مهل لأتابع هذه السيدة من وراء البارافان.

سيدة تبدو في أوائل الثلاثينات، ملامحها طفولية إلى حد كبير، كانت تنظر إلى التلفاز بمنتهى الهيام، وتتنهد تنهيدات متقطعة تعبيرا عن انفعالها مع مشهد قبلة عمر الشريف مع فاتن حمامة،

(البوسة اللي كانت بعد ما وقع من على الفرس وراح المستشفى)، جريت نحو المكتب وأغلقت الباب بهدوء وألصقت ظهري به بعد أن جحظت عيناي، وقلت بصرخة مكتومة:

- يادي النيلة! هو إنتي منهم؟ خلاص عرفت يا شابة إيه اللي جرالك...

كانت ندى تقف في الخارج وقد دخلت في نوبة من الضحك الهستيري، طلبت منها أن تتوقف فورا عن الضحك، وتُدخل هذه السيدة الحالمة لنعرف حكايتها.

دخلت إلى المكتب، فتحت حقيبتها وأخرجت وردة حمراء وابتسمت قائله؛ معلش حاجة بسيطة... إن شاء اللـه بالتوفيق..

- تسلميلي، بحب الورد البلدي أوي.

- بتعرفي في لغة الورد يا دكتور؟!

- آه الورد الأحمر تعبير عن الحب.

- فعلا، أنا واللـه حبيتك في اللـه جدا من قبل ما أشوفك، بنت خالتي بقت عضوة هنا معاكم وحكتلي عن حضرتك كتير، بنت خالتي مدام مروة، انضمتلكم الأسبوع اللي فات، هي مهندسة معمارية.

- آه افتكرت، حضرتك أستاذة هيام، مظبوط؟

ابتسمت:

- ياه، مبسوطة جدا إنك افتكرتيني، مروة قالتلي فعلا إنها حكتلك عني، بس للأسف كنت مشغولة، كان عندي معرض الأسبوع اللي فات كله، ودا اللي أخرني.

- آه، حضرتك رسامة، باشمهندسة مروة قالتلي فعلا.

- مش رسامة قوي يعني، بيقولو رسمي حلو.

سكتت لبرهة ثم قالت فجأة:

- هدخل في الموضوع على طول عشان ماضيّعش وقتك.

أنا يا ستي سافرت مع بابا وماما السعودية من وأنا عندي خمس سنين، طبعا كان مقفول علينا جدا ومالناش احتكاك مع حد خالص، وماكناش بنخرج كتير.. حضرتك عارفة العيشة في الغربة صعبة.

كنا بننزل في الأجازات بس، كنت كل أجازة بشتري الأعداد الجديدة من روايات زهور وعبير وكل شرايط الفيديو بتاعة الأفلام الرومانسية.. عشان أسلي نفسي طول السنة، وكمان كنت بحب الرسم قوي.

ولما وصلت للثانوية العامة جبت مجموع مش بطال.. بعد المعادلة لقيت إن المجموع قل أوي... ولما زعلت لأني تعبت جامد ماما قالتلي البنت مالهاش غير بيتها وجوزها يا هيام، خشي أي كلية مش هتفرق، بس الحمد للـه مجموعي دخلني كلية الفنون الجميلة، ونزلت مصر وقعدت عند عمتي، لأن بابا وماما فضلوا في السعودية.

وابتسمت بحزن ثم قالت:

- عمتي عندها ولد وبنت، كانت علاقتي بيهم سطحية جدا، بشوفهم بس في الأجازات، لحد ما نزلت مصر وعشت عندهم.. مش هكدب عليكي مشاعري بدأت تتحرك من ناحية ابن عمتي...

ورغم إني كنت شايفة عيوبه لكن العشرة والأيام خلتني اتعلقت بيه أكتر.. عمتي كان ليها نظام في تربية ابنها... أعتقد انه نظام سائد في بيوت كتير... يعني كانت بتخلينا نعملّه الشاي ونروّقله أوضته، وكان ممكن ساعات يتطاول على بنت عمتي بطرق مختلفة... وطبعا كانت عمتي دايما تقف في صفه مهما كان غلطان، وتيجي على بنتها وتقولها احترمي أخوكي... كان براحته بيخرج وقت ما هو عايز ويرجع وقت ما هو عايز.. ومش شايل أي مسؤوليات...

المهم هو كمان بادلني نفس الشعور، واتفقنا إنه أول ما يتخرج من كلية التجارة يفاتح عمتي وبابا.

عشت أجمل أيام حياتي وأنا مستنية اليوم اللي هنتجوز فيه.. ورغم كل عيوبه الواضحة قدامي إلا إني كنت معمية عنها تماما.. لأني ما صدقت أخيرا لقيت واحد هطلّع معاه كل طاقة الحب اللي جوايا.

بعد الخطوبة بدأت ألاحظ عدم احترامه ليا، ولما كنت بشتكي لماما كانت دايما تقولّلي بكرة يعقل لما يتجوز، ما كل الرجالة كدا، إحنا عايشين أهو ومستحملين.

نظرت إليها بعدما انقبضت لأني توقعت الأحداث التالية..

أكملت حديثها:

- المهم الحمد للـه إتجوزنا، وبعد الجواز ظهرت عيوبه بشكل فج جدا، كنا بنتخانق كتير أوي...

وكنت أقعد أقولّه حرام عليك أنا محتاجالك تقعد تتكلم معايا وتحس بيا، وخاصة بعد ما حملت في بنتي مريم، كان بيسيبني ويخرج وممكن كمان يبات برة وماعرفش عنه أي حاجة، وبعد ولادة مريم الوضع ساء تماما والفجوة زادت جدا، ولقيته في يوم جاي من برة وقاللي: أنا مسافر جتلي فرصة شغل برة مصر، كلها كام شهر هظبط أموري وهبعتلك.

سألتها باهتمام:

- وفعلا سافر؟

وعند هذا السؤال تحديدا انفجرت في البكاء... أخذت تمسح دموعها مثل الأطفال ثم قالت:

- سافر ومارجعش... الكلام دا بقاله ٣ سنين... ماعرفش عنه أي حاجه... قعدت أول سنتين أدور بكل طريقة عنه عشان بس أعرف حي ولا ميت، وفعلا من سنة عرفت إنه بخير واتجوز واحدة أجنبية هناك، مهما أوصفلك الأيام بتعدي عليا إزاي مش هتتخيلي، أنا قبل ما أنام بالليل بفتح كل أنوار الشقة من كتر الرعب أنا ومريم.

دا غير شعوري الدائم بالاحتياج العاطفي، وفقدت خلاص الشعور بالأمان للأبد، لما سمعت من مروة بنت خالتي عن الجمعية بتاعتك قررت آجي انضم ليكم، عشان تسندوني وتساعدوني أطلع من أزمتي.

- إنتي حد مميز جدا بالمناسبة ومش هتكوني مجرد عضوة معانا، أنا هخليكي تمسكي منصب إداري.

قالتلي بحزن:

- اللي تشوفيه، أهم حاجة تشوفيلي حل لشعوري الدائم بالفراغ العاطفي.

- وليه ماطلبتيش الطلاق؟!

- عشان عندي أمل يرجع لبيته وبنته.. زي ما ماما دايما بتقوللي نزوة وهتعدي.

- بس؟

- وعشان بحبه.

- تفتكري؟

- مش عارفة، بس...

دكتورة مها، أنا عاوزة أحب واتحب، ودا الإنسان الوحيد اللي حبيته في حياتي، مش حاسة إني هعرف أحب حد غيره.. ولا هلاقي حد يحبني وأنا مطلقه ومعايا بنت.

وانهارت في البكاء مرة أخرى...

حاولت أن أهدئ من روعها، وقلت لها بحنان:

- بتحبي مريم يا هيام؟!

- آه طبعا.

- متأكدة؟! ماجالكيش أبدا شعور إن مريم موقفة حالك لو في حالة إنك مثلا فكرتي في الانفصال إنك تشوفي حياة جديدة؟

تلعثمت قائلة:

- مريم رزق وأنا بحمد ربنا عليه.

- ماجاوبتيش السؤال.

قالت والدموع محتبسة في عينيها:

- مش هكدب عليكي.. أنا بحب مريم وعاوزة برضه يبقالي زوج، إيه التعارض؟! إنتي ماتعرفيش آخر عيد دا عدى عليا إزاي.

أسندت ظهري على الكرسي وقلت لها بهدوء:

- طيب اسمعيني كويس... هحكيلك قصص بنات وستات معانا في الجمعية، هعرفك عليهم إن شاء اللـه...

قاطعتني بأدب:

- أنا عارفة اللي هتقوليه، بس يا دكتورة مها دي فطرة ربنا، وأنا واحدة جربت يبقالي بيت.. وزوج.. عاوزة أحس إني مع زوجي بخرج وأروح أزور أهله وأروح لأهلي وأبقى سعيدة...

نسهر بالليل نتفرج على فيلم ولا مسرحية... ونقعد نضحك مع العيال ونشتريلهم طلباتهم سوا.

قلت لها:

- اسمعيني من فضلك، العيد اللي فات دا كذا حد جه الجمعية بيشتكي من حاجات مختلفة، مدام إيمان منهم، وحكتلي الموقف التالي:

كانت واقفة في الشباك بتبص على العيال اللي بيلعبوا في الشارع، لابسين لبس العيد اللي باباهم ومامتهم جابوهولهم... بتبص لحالها بأسى... أحمد جوزها راجل محترم وبيحبها أوي ومش مخلي نفسها في حاجة، وعايشة معاه أحلى قصة حب في الدنيا...

لكن للأسف ربنا ماقدرلهاش الإنجاب.. بتبكي بالدموع وبتقول برضه أنا نفسي أحب وأتحب، بس مش زيك من زوج.. لأ.. هي نفسها تحب وتتحب من طفل يقولّها يا ماما، يحضنها حضن بريء مالوش غرض، يقول كلام طفولي تقعد تضحك عليه.. تجيبله لبس وتشوف الفرحة في عينيه باللعبة الجديدة.

إستني لحظة، هنروح دلوقتي لعلا، علا كانت جنب التليفون ليلة العيد بتبكي... أصلها غصب عنها استنت مامتها تتصل تعيد عليها زي كل سنة... بس المرة دي مش هتتصل... أصل مامتها ماتت السنة اللي فاتت، علا ابنها فرحان قوي باللبس الجديد وجوزها جه من برة جايبلها لبس العيد وبيقولها قومي وريني.. كل سنة وإنتي حبيبتي، بص في وشها وقالّها: مالك يا علا؟

قالتله يا مروان أنا نفسي أحب وأتحب، أنا عاوزة حضن ماما يا مروان، اللي مفيش حاجة في الدنيا هتعوضني عنه.

ثواني من فضلك...

أما بقى ياسمين...

ياسمين أخوها مقاطعها بقاله سنتين... وهي طالعة على السلم شافت أخو جارتها طالع عندها وشايلّها كل ما لذ وطاب بمناسبة العيد، ياسمين كانت بتحب أخوها قوي، قعدت تعيط وتقول ياه الأخوة فطرة، وأنا عندي أخ كان نفسي قوي أحب واتحب من أخويا، وأحس إن عندي ضهر وسند.

فهمتي حاجة؟

إننا نحب ونتحب دي فطرة، بس الحب أنواع، تأكدي إن دايما بصرك هيمتد لنوع الحب اللي ناقص عندك، آه صح كل حب وليه طعم ومتعة مختلفة عن التاني، وآه معاكي إن مفيش حب يغني عن حب، لكن عشان تعيشي سعيدة قدامك اختيارين.

ترمي نفسك لأي حد عشان أحب واتحب ودا ماعتقدش حل يناسبك.

تدعي ربنا وتنشغلي بالحب اللي عندك لحد ما ربنا يكرمك بالحب اللي يناسبك.

ولحد ما ييجي تأكدي إن في عالم موازي فيه ناس تتمنى تبدل معاكي، تاخدي الحب اللي عندها وتديها الحب اللي عندك، لأن ماحدش فينا مدرك إن اختيارات ربنا لينا هي الصح، بس نفهم الحكمة.

قالتلي:

- طيب واحتياجي للسند؟

- السند الأول والآخير هو اللـه يا هيام، ثم البشر، وساعتها لازم يكون السند مش حيطة أسند عليها، ولا خوف يبان في مواقف تافهة، ولا صرف فلوس والسلام، السند هو الضهر اللي عمره ما يكشفك أو يخذلك، غير كدا يبقي إنتي بتكدبي كدبة على نفسك وبتصدقيها، فهمتي يا هيام؟!

تنهدت بعدما ارتسمت على وجهها علامات الارتياح إلى حد ما:

- آه، فهمت، الحمد للـه على كل حال.

قلت لها وأنا أغمز بعيني:

- أنا بحبك أوي على فكرة.. والوردة فرحتني بجد.

جلسنا بعدها نتحدث لساعة كاملة، وودعتها بعدما وعدتني أن تتولى منصبا مهما جدا في الجمعية:

- هتحل مشاكل كل الناس اللي عاوزة تحب وتتحب.

تعليقي بما إني الكاتب وبتاع...

هيييييييييح... آه واللـه الكلمة دي ضيعت أجيال وخربت بيوت، عاوزة أحب وأتحب ويعقبها هيييييييح، الروايات والأفلام الرومانسية غير المنطقية ضيعت بنات جيل بحاله، خلتنا نعلي سقف توقعاتنا، قوم بعد الجواز السقف وقع على دماغنا فلقها نصين... أي والنعمة...

أنا كـ«مها» كان عندي طقوس خاصة عند مشاهدة الأفلام وقراءة الكتب اللي من النوعية دي..

كان لازم أخد وضعية لبنى عبد العزيز وهي بتكلم عبحليم في «التشليفون» في فيلم الوسادة الخالية..

(اللي مش عارف الوضع أرجوكم ماتحرجونيش أكتر من كدا)

الحاجات دي كانت بتغسلني من جوة، وكنت بقوم بعد قراءة أي رواية ويكأني عاملة دماغ منقوع البراطيش المعتبر..

كنت بحس خير اللـهم اجعله خير إني كائن منشكح.. الفراشات بتطير فوق شعري والقلوب بتنط من عيني، وكنت بحس الأرض بقت ساحة جليد، وأنا بالرينا بتتزلج بكل خفة ورشاقة.

الكلام اللي فوق دا أدى إلى إني لما اتجوزت دخلت الجوازة وأنا ميح...

وبعد الجواز تمحورت حواليه بشكل غير طبيعي.

ماكانش عندي أي طموح ولا أي هدف ولا أي حاجة في الحياة سوى إن علاقتنا تتحسن عشان...

عشان...

يا دي الكسوف.

عشان ييجي اليوم إننا نضرب بعض بالمخدات الريش، والريش يتنطور على الأرض.. وماعرفش مين كان هيلمّه، ولا كان عندي مخدة ريش أصلا...

ماكنتش عارفة إن الجواز مسؤولية وحاجات كتير جدا، والقصص الوهمية اللي آخرها العريس والعروسة اتجوزوا وعاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات...

ماحدش كملهالنا وقالّنا وهيحدفوا بعض في الآخر ببلح أمهات... طالما ماحطوش أهدافات مشتركات... ومافقتش من الوهم اللي كنت فيه إلا لما اتطلقت...

ساعتها بس فهمت إن الخريطة الذهنية بتاعتي كانت متبرمجة إن معنى كلمة حب هو حب العروسة للعريس والجري للمتاعيس.. وهو كان عنده حاجات تانية خالص في خريطته الذهنية... خلتنا ماتقابلناش أبدا في نقطة... ولما قعدت مع نفسي بعدين فهمت إن فيه أنواع كتير جدا في الدنيا من الحب، أولهم:

حب ربنا

ثم حبي لولادي

حبي لإخواتي

حبي لبابا وماما

حبي لصاحباتي المخلصين والضحكة الحلوة اللي بتطلع معاهم من القلب...

حبي لقرايبي وولاد خالاتي...

حبي لجيراني....

حبي للقطة بتاعتي وهي بتتمسح فيا عشان أأكلها الصبح...

وفيه حب ماكنتش واخدة بالي مني خالص...

عارفين حبي لمين؟

حبي لنفسي...

لما درست الكوتشنج عرفت إن المفروض يكون عندنا حاجة اسمها الـself esteem

ودا تقدير الإنسان لذاته وحبه غير المشروط ليها...

Self esteem: حب الذات

بيرمز إلى إيه هو شعورك تجاه نفسك، يعني من الآخر هو مراية أو انعكاس لحبك الإيجابي لنفسك.

وغالبا بينتج من التجارب والمواقف اللي أدت إلى تشكيل شخصيتك دلوقتي.

كتير مننا بيعتبر إن حب الذات شيء مش صح، وبيعتبره أنانية أو مش من حقه، ودا يخليه يتنقل تدريجيا لمرحلة جلد الذات وتحميلها فوق طاقتها،

وتعريضها دايما للوم غير المبرر والشعور بالذنب على كل صغيرة وكبيرة، وانتظار التقدير من برة، مابيكونش نابع من جوه...

والغريب إننا ممكن نلاقي أشخاص عندهم Self confidence، أو ثقه بالنفس، لكن ماعندهمش حب لذاتهم، ودا لأن الثقه بالنفس هي شعورك تجاه قدراتك اللي ممكن جدا تتغير من موقف للتاني...

لو ضربنا مثال هيام...

هي رسامة ناجحة جدا وعندها ثقة في دا... لكن كونها منفصلة عن زوجها خلاها مش واثقة في نفسها في النقطة دي...

وبناء عليه لو ماعندهاش حب غير مشروط لذاتها، الموقف دا هيخليها تتعب جدا وهتنتظر الدعم من برة...

وهتفضل تدور على الحد اللي هيديها الحتة الناقصة... لأنها للأسف مش جوّاها... وهي حتة التقدير... اللي مرتبطة بحب الذات.

الحل هنا:

- حبي نفسك.

- ركزي على مواطن القوة عندك.

- حبك لذاتك مش هيتأثر حتى لو غِلطتي، أو حياتك مشيت عكس الاتجاه اللي كنتي مخططاه.

- ماترهنيش تقديرك وحبك لذاتك بحب معين، وهو حب راجل يدخل في حياتي ولو مالقيتوش خلاص هفقد حبي وتقديري لذاتي.

واستمتعي بأنواع الحب التانية في حياتك.

- لو مشيتي الخطوات اللي فاتت صح، أؤكدلك إنك لو جتلك فرصة اختيار زوج هتختاري صح، لأنه مش نابع من احتياج عاوزة أسده ولكن نابع عن قناعات.. ولو ماقابلتيش الشخص المناسب مش هتزعلي وهتكملي حياتك.

عارفين المشكلة في إيه؟

المشكلة في التربية بتاعتنا اللي خلتنا كبنات نعلق الآمال كلها على الجواز... في حين الجواز يا جماعة وسيلة مش غاية أقسم باللـه...

بمعنى، إني لا أنكر النوع دا من الحب وهو حب المرأة للرجل، ولكن أنكر تعظيمه في خيال البنت بشكل غير عادي، لدرجة إنه يصبح غاية وعاوزة أحققها.. أنا بتجوز بس عشان أحب وأتحب، وعشان عندي طموحات مؤجلة

هحققها مع زوج المستقبل، فبحضن القَطر وبرمي نفسي في أي حوار عشان الهدف النبيل دا...

ومابشوفش أي حب تاني حواليا..

وفي حين في عالم موازي للأسف بعض الأسر ربّوا ولادهم الشباب على الأنانية وانعدام المسؤولية، وإنه يحب نفسه جدا ويقدر ذاته جدا جدا...

لو عملنا جدول مقارنة، زي بتاع أيام المدرسة، بين تربية أغلبية الولاد والبنات في مجتمعنا...

قبل الجواز:

الولد: ألف بنت تتمناك، إوعى تتنازل عن أيتها حاجة.

البنت: إرضي يا بنتي، البنت مالهاش غير بيتها وجوزها وبكرة يتغير بعد الجواز.. حد لاقي عرسان اليومين دول.. الراجل مايعيبوش غير جيبه.. وأما يتقدم واحد جيبه مخروم... إرضي بقى عشان تلحقي... المهم إرضي وخلاص.

أثناء الجواز:

الولد: إوعى تتنازل يا واد أحسن تمشّي كلمتها عليك، إنت الطرف الأقوى.. طلقها لو قالت بِمّ.

البنت: إنتي خلاص اتجوزتي، إوعي تتطلقي أحسن تفضحينا، الست تعشش والراجل يطفّش.

بعد الطلاق:

الولد: إتجوز طبعا، هو فيه راجل يقدر يعيش من غير ست تخدمه ويقرفها في عيشتها، وعادي بنات بنوت وهيرضوا بيك.. إنت راجل.. هنجوزك ست ستها.

البنت: عيشي بقى ربي ولادك، ربنا يجعل عوضك فيهم... واصرفي عليهم واتهرسي واعملي دور مش دورك أصلا.

طب أنا بنت ومالیش غير بيتي وجوزي؟!

لا معلش إلبسي في حيطة ماتحكيلناش مشاكلك الشخصية... آه... طب... عاوزة أحب زي شادية وكمال الشناوي...

لأ خلاص دبل كيك واقلبي الشريط على الوش التاني...

طب وخريطتي الذهنية؟! أروح بيها فين؟!

اطلعي على برنامج أريد حلا.. ولعي فيها ماتقرفيناش بقى.

السؤال اللي يطرح بلح.. إزاي قادرين نعيش والفجوة رهيبة بين تربية الولد والبنت، وتشكيل الخريطة الذهنية بتاعة كل واحد فيهم بالمنظر دا؟

ولا ننكر طبعا إن فيه شباب فعلا محترمين بجد، داخل الجواز لأهداف جميلة عاوز يحققها، يلاقي يا عين أمه أخطبوط متنكر في شكل واحدة اسمها مراته، مابتعملش أي حاجة في الحياة غير مراقبته، ووضع جهاز تنصت لمعرفة خط سيره..

رحت لأصحابك ليه؟

ماكلمتنيش ليه؟

منك للـه، الاهتمام ما بيتطلبش؟

قوللي يا بيبي خمستلاف مرة!

ما هي من الأول فيه صواميل واقعة في دماغها أصلا، وداخلة بتدور على حاجة واحدة،

كمال الشناوي، أو فاروق الفيشاوي، على حسب طموحها بقى، ونرجع نقول ارتفاع معدلات الطلاق وارتفاع سن الزواج للشباب والبنات...

ماشي، خلصتي؟!

قوليلنا بقى:

أنا اتطلقت ليه؟!

أنا ماليش زوج ليه؟!

أنا ماكنتش معجبة بكمال الشناوي، أنا كان فتى أحلامي أصلا عماد حمدي...

يكونش دا السبب؟

ثواني.. الصبر...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس: المشكلة الرابعة: الأبناء بعد الانفصال...

محمود ابن طنط دولت

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

محمد ^

بينما كنت أتناول قهوتي الصباحية، دخلت ملك إلى المكتب وقالت وهي تقوم بترتيب الأوراق:

- الراجل البواب غلط وحط الجرنال دا قدام باب السنتر عندنا... دخلته خفت يتبهدل لحد ما أسأله دا بتاع مين، خليه عندك في المكتب يا دكتور، وشوية وهروحله أديهوله.

كنت أنظر إليها بعدم اكتراث حتى وضعت الجريدة أمامي مباشرة، ولفت انتباهي خبر مكتوب بالمانشيت العريض «المهندس محمود الأسعد يتقدم بدعوى قضائية ضد والديه رجل الأعمال الشهير حمدي الأسعد والدكتورة دولت الفقي».

«قام المهندس محمود الأسعد بتقديم دعوى قضائية ضد والديه، حيث يطالب مقدم الدعوى بالتعويض عن حرمانه من حنان الأب والأم منذ نعومة أظفاره بسبب انفصالهما... هذا وقد طالب الأسعد بإرساء مبدأ قانوني وقضائي في الحالات المماثلة لتعويض الأبناء عن معاناتهم بسبب انفصال الوالدين، وتقصيرهما تجاه الأبناء الذين يدفعون ضريبة اختيارات الوالدين الخاطئة في الحياة، وقد حددت دائرة التعويضات بمحكمة جنوب القاهرة الجلسة التي تقرر انعقادها في الحادي عشر من الشهر المقبل».

نظرت إلى الجريدة.. وأخذت أقرأ الخبر مرات عديدة، غير مصدقة لما أراه، لاحظت ملك انفعالي فقالت بصوت يشوبه القلق:

- فيه حاجة يا دكتور مها؟!

- ناوليني موبايلي يا ملك بسرعة.

قمت بالاتصال بصديقتي الصحفية رانيا سعد الدين.

- ألو.. إزيك يا روني عاملة إيه؟

- أهلا يا موها.. الناس الوحشة اللي ناسيانا.

- أنا؟ لا واللـه دا إنتي على طول على بالي.

- فينك يا بنتي رحتي وقولتي عِدّولي.

- معلش حقك عليا، كنت مشغولة شوية اليومين اللي فاتوا، بقالي كتير ماكلمتكيش.. عندي أخبار جديدة كتير جدا.

- إيه فرحيني.

- لأ مش اللي في بالك... عملت جمعية... هقابلك أحكيلك على كل حاجة، بس المهم بقولك إيه.. قريت النهارده خبر في الجرنان إن محمود الأسعد رافع قضية على والده ووالدته وكلام كبير كدا..

- آه يا بنتي دا الموضوع دا بقاله شهر في المحاكم.

- طيب بقولك يا رانيا، أنا عاوزة أقابل الباشمهندس محمود دا ضروري جدا.. عشان خاطري.

- إمممم.. ماشي إديني فرصة كدا وعلى بالليل هكون وصلت لرقمه، هبعتهولك على الواتس.

- مانحرمش يا رانيا.. وإنتي كمان لازم أقابلك ضروري نقعد وأحكيلك على الجمعية النسائية بتاعتي.

- آه الجمعية النسائية لحل مشاكل الستات النكدية.. هههههه.

- هههههههه ماشي اتريقي... اصبري واللـه هتبقى خبطة صحفية جامدة جدا ليكي.. هتعجبك الفكرة قوي.. بس أنا لسه في مرحلة تأسيس الجمعية... هظبط الدنيا وهكلمك على طول.

- ماشي يا مها.. زي ما اتفقنا بقى هبعتلك الرقم بالليل إن شاء اللـه.

وفي تمام الساعة التاسعة مساء، أرسلت لي رانيا هاتف الباشمهندس محمود... استجمعت قواي وطلبت الرقم..

- ألو.

- أيوه، مساء الخير باشمهندس محمود..

- مساء النور.. مين حضرتك؟

- انا الدكتوره مها سامي.. من غير مقدمات، أنا بأسس جمعية لمناقشة مشاكل اجتماعية بتتعرض ليها المرأة عموما والمطلقات والأرامل خصوصا، ويهمني جدا أقابلك أسمع منك حاجات كتير.

ضحك ثم قال:

- دا بجد ولا صحفية؟!

ضحكت بدوري:

- آه واللـه بجد، ولما نتقابل هعرّف حضرتك تفاصيل أكتر.

- مفيش مانع... إيه الميعاد اللي يناسبك؟

- لو ممكن تنورني في الجمعية عشان تتأكد بنفسك ماعنديش مشكلة.

- تمام يناسبك بكرة الساعة كام؟!

- ١١ صباحا كويس؟!

- كويس جدا، هستأذنك أعرف العنوان.

- آه طبعا، العنوان «.....».

في انتظارك ونتقابل على خير إن شاء اللـه.

أغلقت الهاتف وجلست أعد الساعات، فلقد كاد الفضول يقتلني لمعرفة سبب قيام هذا الشاب بهذه الدعوى الفريدة من نوعها.

وفي صباح اليوم التالي في تمام الحادية عشرة صباحا، رن جرس الباب...

فتحت ندى الباب... حينما سمعت جرس الباب وقفت كعادتي خلف البارافان أراقب الموقف، فإذا بشاب طويل ذي جسم رياضي أسمر البشرة، يبدو أنه على مشارف الثلاثين من العمر...

قال بأدب:

- محمود الأسعد، وعندي معاد مع الدكتورة مها سامي.

أشارت ندى نحو الداخل، وقالت بصوت ولهان:

- اتفضل ارتاح لحظة هبلغ الدكتور.

خطت مسرعة نحو مكتبي، وأغلقت الباب، وإذا بها تفتح باب المكتب وقد بدت السعادة على ملامحها، وقالت ببلاهة:

- يا لهوي يا دكتورة مها، اللي شفته برة لا يتكتب ولا يتقري، واحد برة خير اللـهم اجعله خير مزّ بعضلات عريض المنكعين شلولخ كدا في نفسه... هيييييح... خصيمك النبي ماترديله طلب.

ضحكت بشدة:

- أردله إيه دا أنا اللي محتاجاله.. روحي شوفيه هيشرب إيه ودخليه بسرعة.

جلست أتحدث معه، وأخبرته عن فكرة الجمعية، وحكيت له كل شيء من البداية، طوال حديثي كان ينصت إلي جيدا ولم ينطق بكلمة واحدة...

وبعدما انتهيت سألني بأدب:

- إيه المطلوب مني تحديدا أقدر أساعد حضرتك بيه؟!

- بص أنا هكون صريحة معاك، أنا عاوزة أسمع قصتك لأنها هتفيدني جدا في إني أنصح السيدات اللي في الجمعية، أو حتى الرجالة اللي معانا، إزاي نتعامل مع نفسية الأولاد بعد الانفصال أو فقدان الأب أو الأم.

(ماقدرتش أقولّه: إنت رفعت قضية على باباك ومامتك ليه؟)

تنهد بحزن وقال:

- أنا والدي ووالدتي منفصلين من وأنا عندي ست سنين.. أنا فاهم كويس جدا إن في بعض الأحيان بيكون انفصال الأب والأم رحمة وأحسن لصحة الأبناء النفسية، أكتر من الاستمرار في جو فيه أسرة مفككة الأب والأم مابيحترموش فيه بعض...

ولكن دا بشرط واحد إن يتم إدارته بشكل مظبوط بين الطرفين والأولاد... غير كدا الحلين زي بعض.

المشاعر اللي حسيت بيها بعد انفصال والدي ووالدتي دايما بفتكرها زي ما تكون امبارح...

كنت دايما حاسس بالخوف والقلق، وأوقات كنت بحس بالذنب لأني كنت مفكر إن أنا السبب، كنت بحلم بكوابيس بصفة مستمرة.. دا غير شعوري الدائم بالوحدة والضعف والعجز...

بعد الانفصال طبعا والدتي أخدتني ورحنا عشنا مع جدتي ربنا يرحمها... كنت دايما بحس بمشاعر العداء المتبادلة بينهم، وكان كل واحد فيهم بيحملني رسايل أوصلها للطرف التاني...

ولما كنت بروح أزور والدي كنت بلاحظ إنه بيتكلم مع عماتي عن ماما بشكل كان بيزعجني...

وبعدها بفترة بسيطة اتجوز.. وربنا منّ عليه بأولاد تانيين كنت بحسه إنه بيحب إخواتي أكتر مني...

دا غير إنه كان بيتهرب أوقات كتير من الوفاء بالتزاماتي المادية... وكذلك والدتي كانت دايما تتكلم عن والدي مع جدتي واخوالي بشكل كان بيحرجني جدا... كنت بكره نفسي لما كان خالي عماد يقوللي:

- أبوك مش بيحبك يا محمود.

ويقعد يحكيلي في مواقف كتير تثبت قد إيه إن والدي كان سيئ... وبعدها بفترة والدتي كمان اتجوزت وسابتني لجدتي اللـه يرحمها...

ودا أصابني بالحزن والاكتئاب فترة طويلة..

وكل دا أدى إلى إن مستوايا الدراسي كان منخفض بشكل كبير...

كانوا بيشوفوني كل فترة كزيارات، وكل واحد فيهم شاف حياته...

وعدت عليا فترة كنت ضايع حرفيا... لحد الثانوية العامة لما قابلت أستاذي الفاضل أستاذ أسامة... قربني منه بعد ما عرف ظروفي، واتعلمت منه حاجات كتير جدا، وكان له الفضل بعد ربنا في تغيير مسار حياتي... والحمد للـه جبت مجموع كبير ودخلت كلية الهندسة واتخرجت بتقدير جيد جدا... لما كبرت فهمت إن والدي ووالدتي كان اختيارهم لبعض من البداية اختيار خاطئ.. والانفصال حق طبيعي جدا من حقوقهم في حالة استحالة العشرة...

لكن اللي ماكانش من حقهم إنهم يضيعوني..

كان لازم كل واحد فيهم يظهر احترام للطرف التاني بشكل أفضل من كدا...

كان ممكن جدا يبقى طلاقهم حضاري...

ومايظلمونيش بينهم في النص، وفي الوقت دا بس كان هيبقي الاختيار دا أفضل من الاستمرار في حياة أسرية غير مريحة.

امتلأت عيناي بالدموع التي حاولت إخفاءها.. فلقد تذكرت أبنائي ورجوت من اللـه أن يكون سندي في تربيتهم...

أفقت من شرودي على صوت محمود:

- طول عمري بفكر إنهم لازم يفهموا إن اللي عملوه معايا كان غلط... لأنهم بيرفضوا النقاش معايا... ومالقتش قدامي غير إني ألجأ للقانون، ورفعت الدعوى القضائية اللي الناس كلها مستغرباها، وأكيد حضرتك سمعتي عنها، ودا سبب اتصالك بيا.

قلت له في خجل:

- فعلا مش هكدب عليك دا سبب اتصالي بيك في البداية.. لكن أنا فعلا نفسي تنضم معانا للجمعية.. وتساعدنا في إنك توجّهنا إزاي نحقق الدعم النفسي للأولاد في حالة فقدان الأب أو الأم تحت أي ظرف.

قال دون تردد:

- أنا مستعد جدا لأني أعجبت بكلام حضرتك في البداية... وكمان فيه حاجات تانية كتير هقدر أفيدكم بيها في الجمعية...

بس هبقى أقولك عليها في وقتها.

وابتسم ابتسامة يملؤها الغموض.

- هتنورنا يا باشمهندس محمود، وشرف لينا بجد إنك هتكون معانا، بس ممكن أسألك سؤال؟

إنت زعلان إن والدتك اتجوزت؟

أجاب دون تردد:

- إطلاقا.. مش دي مشكلتي.. أنا استحالة أفكر تفكير جاهل إني أمنعها حق من حقوقها في الحياة، لكن اللي كان دايما بيزعجني إنها قصرت جدا من ناحيتي هي ووالدي من أول يوم في الطلاق، وهما الاتنين حملوني تمن الغلطة كلها، في حين إني ماكانش ليا أي ذنب في أي حاجة.

نظر في ساعته وقال بعد أن هم بالوقوف:

- سعيد إني قابلتك، لكن لازم أمشي عشان ورايا ميعاد.

قلت له بتردد:

- ممكن أطلب منك طلب؟

نظر إليّ مستفهما، فأكملت قائلة:

- عاوزة أقابل والدتك، ينفع؟!

أخرج قلما وورقة من جيبه، وكتب الرقم ووضعه على المكتب، وقال:

- إن شاء اللـه أحدد موعد تاني ونشوف إزاي أقدر أساعد حضرتك في الجمعية.

انصرف محمود، وشعرت أن قلبي كاد ينفطر من الحزن... ونظرت إلى هاتفي المحمول بعد أن تذكرت ريهام... فلقد سافرت مع زوجها الفترة الماضية، ولكني شعرت باحتياج شديد إلى التحدث معها.

قمت بالاتصال بها لمعرفة هل عادت من السفر أم لا.

- ياه، إنتي في مصر.. رجعتي إمتى؟

- لسه راجعة النهارده.. معلش ماكنتش عارفة أكلمك خالص طول ما انا برة مصر، كنت مشغولة جدا... طمنيني على الجمعية، وصلتي لفين؟

- لأ أنا لازم أشوفك بكرة، عاوزاكي ضروري جدا.

- طيب ماشي، خلاص تعاليلي النادي الساعة واحدة الضهر كدا.. ماشي؟

- خلاص ماشي.

كنت منتظرة ريهام في النادي، وجلست أطالع كل الأطفال ولسان حالي يقول:

- من منكم يحمل هما أكبر من عمره فوق كتفيه الصغيرتين؟

جاءت ريهام وتعانقنا بشدة، وحكيت لها كل ما حدث طوال فترة غيابها، وحتى حكاية محمود الأسعد.

- إيه رأيك، أتصل بوالدته؟

- إمممم، مش عارفة، إنتي عاوزة تكلميها ليه؟

- بصراحة عاوزة أعرف إيه الأبعاد النفسية اللي تخلي أم تعمل كدا مع ابنها، وبيني وبينك يمكن أعرف أصلح العلاقة بينهم.

- ماشي اللي تشوفيه، بس أنا شايفة إن فيه حاجة أهم المفروض نعملها، نروح لحد مختص نفهم منه إيه الأبعاد النفسية للأطفال في الوضع دا، وإزاي نتغلب عليها، عشان تقدري بجد تساعدي الستات اللي في الجمعية.. وإنتي كمان لازم تعرفي تتعاملي مع ولادك إزاي.

- تعرفي حد؟

- آه، صاحبتي دكتورة نهى الطنب... دكتورة نفسية وشخصية ممتازة.

- فورا خُديلي معاها ميعاد... وأنا هتصل بدكتورة دولت والدة محمود، لازم أقابلها وأسمع منها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبعدها ببضعة أيام...

- أهلا وسهلا يا دكتورة دولت، أنا سعيدة جدا إن حضرتك وافقتي تقابليني.

تنهدت بحزن:

- أهلا بيكي يا حبيبتي.. الحقيقة أنا قررت أقابلك بعد ما حكيتيلي اللي حصل بينك وبين محمود.

- أنا سمعت منه، ولو وقت حضرتك يسمح تحكيلي من وجهة نظرك.

- أنا زيي زي أي واحدة بتتطلق بيكون قدامها اختيارين، يا إما تضحي بحياتها وتعيش لولادها.. يا إما تيجي شويه علي ولادها في سبيل سعادتها..

أنا عارفة إني غلطت في حق محمود لما اتجوزت.. كان لازم أعيش عشانه، لكن دا كان أكبر من طاقتي واحتمالي فعلا ساعتها، خاصة إني فعلا ماشفتش يوم عدل مع باباه...

وسكتت بعدما أخرجت منديلا من حقيبتها لتمسح دموعها، ثم أكملت:

- ماكانش عندي حل بعد جوازي غير إني أهرب.. لأني كل ما كنت بشوف محمود كنت بفتكر الماضي، وكان زي مراية بتفكرني إني إنسان سيئة وظلمته...

- للأسف دي مشكلة أي واحدة بتنفصل أو زوجها يموت وهي معاها أولاد...

وماحدش بيتناول الأزمة بشكل مظبوط..

لازم نلجأ للمختصين عشان نتعامل مع نفسية الطفل بشكل سليم.. لأن وهو صغير بتكون مشاعره سهلة الكسر لأبعد الحدود...

ولكن دا لا يعني إن حضرتك غلطتي إنك اتجوزتي...

اسمحيلي أقول لحضرتك إنك ربما جانبك الصواب في هندلة الطلاق ومن بعده جواز حضرتك،

وبالمناسبة الاختيار التاني إنك كنتي تعيشي من غير جواز عشان محمود، كان هينعكس عليه برضه بالسلب!

- إزاي؟!

- لأن طالما كان عندك رغبة ملحة في إنك تتجوزي تاني وحاسة إن وجود محمود حائل دون تنفيذ رغبتك دي، ماكنتيش هتتعاملي معاه بكامل طاقتك النفسية.

- واضح إنك فاهمة حاجات كتير.

- لأ مش الفكرة، ولكن من خلال تعاملاتي مع ستات كتير شايفة إن مفيش قانون ثابت، بمعنى اللي عاوزة تتجوز تتجوز طبعا، لكن تدير الموضوع مظبوط، بداية من تهيئة الأولاد نفسيا، ونهاية باختيار زوج مناسب يصلح إنه

يكون في يوم من الأيام أب للأولاد دول، واللي مش عاوزة تتجوز لازم برضه تكون قادرة على إدارة الأمور بشكل إنها ماتحسش إن ولادها السبب، وفي نفس الوقت تكون قد قرارها واختيارها وعندها طاقة نفسية إنها تستمر كدا من غير ما تقصر في حقهم، وفي الآخر ماينفعش نحط قوالب جامدة، ونقول إن اللي بتتجوز ظلمت ولادها، واللي مابتتجوزش هي اللي بطلة وتمام.

ثم سألتها:

- حضرتك سعيدة في حياتك؟!

قالت بأسى:

- كلنا بنفضل عايشين في الدنيا بنجري ورا وهم السعادة، ولكن في نهاية العمر بنكتشف إن السعادة في الدنيا مجرد سراب.. لكن فعلا زي ما انتي بتقولي، أنا أسأت إدارة الموضوع، فعشت بتأنيب الضمير تجاه محمود طول حياتي...

وانهمرت دموعها وقالت:

- وبالمناسبة مش لايمة عليه في اللي هو عمله.

- حضرتك تزعلي مني لو اتدخلت وحاولت إني أقرب وجهات النظر بينك وبين باشمهندس محمود؟

قالت بصوت يملؤه الحزن:

- للأسف مفيش فايدة.. ناس كتير حاولوا وهو شايل مني بشكل رهيب.

- إديني فرصة.. يمكن.

- مفيش مانع يا حبيبتي.

اتصلت بي ريهام وأخبرتني أن لدينا موعدا مع الدكتورة نهى الطنب، في تمام الساعة السادسة مساء...

وبعدما سمعت الدكتورة نهى مني القصة باهتمام قالت:

- للأسف يا دكتورة مها ماعندناش أبدا ثقافة التعامل مع الأطفال بعد حدث زي الطلاق، عقولهم الصغيرة مابتقدرش تستوعبه، ويا ريتنا بنلجأ للمختصين عشان يساعدونا، لكن للأسف بنمشي على مبدأ اسأل مجرب ولا تسأل طبيب.

بصي، أكيد حالة كل طفل بتختلف عن التاني لكن في شوية حاجات مشتركة هقولك عليها...

الطفل محتاج للطرفين، الأب والأم، وبيكون بيفكر في إنه عاوزهم هما الاتنين يشاركوه حياته، لأن لما مش بيشاركوه بيحس إنه مش مهم.

لازم الاب والام يكون فيه بينهم اتفاق على المسائل المتعلقة بيه، لأن لما بتحصل بينهم المشاكل على حاجة تخصه بيحس بالذنب.

الطفل بيكون حاسس إنه عاوز يحب الأب والأم، مش لازم يكره حد على حساب حد وينضغط عليه بسبب كدا... وبيكون عاوز يستمتع بالوقت اللي هيقضيه مع الاتنين.

الطفل بيكون عاوز الاتصال يكون بين الوالدين بشكل مباشر ومايشيلش فوق طاقته، ويعملوه وسيلة لنقل الرسايل ما بينهم.

مفيش داعي إنهم يتكلموا عن بعض بشكل وحش قدام الطفل، لأن دا بيحسسه إن فيه معركة ولازم يكون في صف واحد فيهم ضد التاني.

بل بالعكس الطفل في الوقت دا لما بيسمع مدح أبوه أو أمه للطرف الآخر بيعلي عنده التقدير للذات، والأهم من دا كله الطفل بيكون عاوز يحس بالحب والطمأنينة والدعم، ونديله الفرصة إنه يعبر عن مشاعره، كل دي حاجات بتحققله التوازن النفسي...

ومانناساش طبعا التقارب الجسدي، زي الحضن والطبطبة على الكتف اللي بتكون وسيلة قوية لتطمين الطفل وإعطاؤه رسالة مضمونها الحب والأمان.

مفيش داعي للدلع الزايد.

وهكررلك تاني، لازم نقرا كتب ونرجع للمتخصصين عشان نعدي الفترة دي بأمان، ويكون فيه إدارة جيدة للموضوع...

وعاوزة أقولك حاجة بالمناسبة...

فيه أمهات كتير بيجيبوا ولادهم بيعانوا من انهيارات نفسية، بسبب استمرار الأم في علاقتها مع الأب، ولكن الطفل بجد بيكون في حالة ضياع نفسي..

يعني الأمر مش مقتصر على الأولاد اللي والدهم ووالدتهم منفصلين...

وبالتالي لازم الطفل يحس بالاحترام المتبادل بين الوالدين سواء كانوا متجوزين أو منفصلين...

ولازم يفهم إن الطلاق بداية لحياة جديدة أحلى مش نهاية الدنيا...

عودة لطنط جولفدان.. وتعليقي:

من موقعي هذا بحب أشكر طنط جولفدان القوية، وطلتها البهية وهي فاتحة باب الشقة عشان تشوف اللي طالع واللي نازل...

والحقيقة هي كان ليها الفضل وحققت نجاح ساحق في تشكيل الخريطة الذهنية بتاعة كل بنات العمارة والعمايرالمجاورة..

نجحت ببساطة إنها تخلينا بقينا عايشين بندور في الفلك بتاعها، وعاوزين نحققلها رغباتها عشان ماتشمتش فينا ونسمع صوت «مسم» اللي كان بيجيب لآخر الشارع... لما كنا نخترق القانون اللي رسمه المجتمع...

الحقيقة طنت جولفدان هي المجتمع بذاته، اللي بيخلينا نتجاهل رغباتنا الحقيقية ونعيش حياة رسموها ناس غيرنا، لمجرد إننا خايفين نمشي ضد الحياة اللي رسموها.

وحتى لو قررنا نخالف اختياراتهم فإحنا بنستخبى منهم وبنعيش بعقدة الذنب غير المبررة،

كان يجب أن يقتلوا جولفدان قبل أن تتكاثر.

مفيش حاجة ثابتة في إن اللي بتتجوز بتظلم ولادها واللي مابتتجوزش مابتظلمهمش.

هديكي شوية اختيارات وتقوليلي رأيك.

واحدة عايشة مع أبو عيالها وبيتخانقوا كل يوم، مش قادرة تتمالك أعصابها ولا تربي ولادها مظبوط في جو نفسي سليم، وواحدة اتطلقت من أبو عيالها وهتموت عشان هي مطلقة ومش قادرة تتمالك أعصابها ولا تربي ولادها بشكل سليم..

واحدة اتطلقت وعايشة لوحدها مش عاوزة تتجوز، وبتربي عيالها بس سعيدة وعارفة تربي ولادها في جو نفسي سليم.

وواحدة اتطلقت واتجوزت واحد تاني ومبسوطة وبتربي عيالها في جو نفسي سليم.

وواحدة اتطلقت واتجوزت واحد تاني وحزينة مش بتربي ولادها في جو نفسي سليم.

تفتكروا مين فيهم صح ومين فيهم غلط؟

أنا رأيي اللي هتكون سعيدة اللي فهمت احتياجاتها وكانت صريحة مع نفسها، بغض النظر عن المجتمع، ثم أحسنت إدارة الأمور.

أنا شفت كتير مابيتجوزوش، وبتظلم وبتعامل ولادها مش بكامل طاقتها النفسية، لأنها ماشية ضد تيار احتياجاتها خوفا من كلام الناس، ومفيش حاجة اسمها إن العيل لما بيتربى مع أبوه بيطلع كويس واللي مابيترباش بيطلع ضايع..

ممكن يتربى مع أبوه ويطلع بايظ، ويتربى من غيره ويطلع كويس.

الفكرة كلها في إدارة الأمور بشكل صحيح.

هلاقي واحدة بتقوللي يعني أجيب لولادي جوز أم؟!

إنتي ماسمعتيش عن الواد حناطة اللي أمه جابت جوز أم؛ وكان بيخلع للواد ضوافرة وطلعت قصتهم في جرنان دموع الندم؟!

بصيلي هنا وأنا بكلمك..

ولا البت فكهات اللي جوز أمها... أستغفر اللـه العظيم.. عندنا ولايا.

هرد عليكي معلش، هو المشكلة إن أم حناطة وأم فكهات اتجوزوا؟!

ولا مشكلتهم إنهم اختاروا غلط؟! مش فاهمة يعني.

ثانيا بلاش التعميم.. ما فيه نماذج كويسة...

وبعدين هو الفكرة إنه أبوهم ولا مش أبوهم ولا من غير أب خالص؟!

ولا الفكرة إني...

أختار صح..

وأدير الأمور بشكل سليم يوصلني لأحسن نتيجة إلى حد كبير، تكون مرضية لكل الأطراف؟!

على فكرة، ممكن يكون أبو ولادك ويسيء معاملتهم جدا.

ساعتها تستمري معاه عشان هو أبو العيال؟

كوني صريحة مع نفسك!

ولا عشان دا الشكل اللي المجتمع عاوزنا نكون عليه؟ أب وأم وولاد وبس!

وعشان هو أبو العيال براحته يموتك ويموت العيال.

طب بنت نفسيا سوية، بس باباها ومامتها منفصلين... لأ أصل مامتها مطلقة.

طب بنت معقدة نفسيا بس باباها ومامتها مع بعض... آه عادي المهم مامتها مش مطلقة.

طب أم اختارت تربي ولادها في جو نفسي سليم لوحدها..

لأ دول تربية ستات!

كل دي ردود واختيارات المجتمع اللي غالبا اختياراته ماتناسبنيش، لأننا مش زي بعض وماينفعش كلنا نعيش بنفس الأسلوب...

ونلاقي بعض الستات تتقمص دور أمينة رزق في أكثر أفلامها نكدا، وتقول بصوتها:

«أنا هَوهِب نفسي للأولاد»

لأ ماتعمليش كدا أرجوكي، لو عندك رغبة وظهر قدامك حد كويس بس بترفضي لمجرد إنك خايفة من الناس.. أو خايفة من الفشل... وتقولي هوهب نفسي للأولاد.

أي اختيار هتختاريه.. تكون دي قناعاتك بجد مش عشان المجتمع عاوز كدا والناس هتقول إيه...

حل مشكلة الأبناء بتتلخص في كلمتين...

خليكي صريحة مع نفسك...

إنتي عاوزة تعملي إيه...

وإيه الاتجاه اللي هتدي فيه أكتر ناحية نفسك وولادك...

ومايكونش مخالف لدينك..

سواء مع باباهم

مع زوج تاني

لوحدك

ولتذهب جولفدان إلى الجحيم!

طب هنسألك سؤال...

إحنا مالناش زوج ليه؟

طب بصي... طنط دولت اتطلقت ليه؟!

هتعرفي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل السادس: ياما في الجمعية مظاليم

«ما يعتقده الآخرون عنك ليس من شأنك، ولكن ما تعتقده عن نفسك هو شأنك مدى الحياة»

باولو كويلو

سمعت صوته وهو يقول بانفعال:

- أنا لازم أقابلها حالا من فضلك.

ندى:

- لو سمحت يا أستاذ مش كدا، حضرتك مش واخد معاد مسبق.

- أرجوكي لازم أقابلها حالا، لأن فيه حاجات كتير لازم تعرفها.

- ممكن يا فندم حضرتك تهدى ثواني على ما أبلغها؟!

كنت أجلس في غرفة المكتب، وقد انتابني الرعب.. دخلت مساعدتي وأغلقت خلفها الباب بهدوء وقالت بصوت منخفض:

- فيه راجل برة عمال يزعق، عاوز يقابلك حالا، والمشكلة فيه ناس برة معاهم مواعيد..

راجل غريب مع إن شكله محترم جدا ولبسه شيك أوي.

- عاوزني في إيه ومنفعل أوي كدا ليه؟! بصي يا ندى.. معلش اعتذري للناس اللي برة ودخليه نشوف حكايته.

دخل الرجل إلى مكتبي بسرعة من فرط انفعاله، كما لو كان سجينا وأحدهم أطلق سراحه.

صافحني بأدب وقال:

- آسف جدا على الطريقة اللي دخلت بيها، أنا كنت جاي أقابلك بعد ما سمعت عنك وعن الجمعية اللي بتعمليها... بس استُفزيت جدا من طريقة الستات اللي قاعدين برة...

كانو بيتناقشوا عن ظلم المجتمع للستات، ولما قلت فيه رجاله بتتظلم اتكلموا بسخرية بشكل أزعجني..

أنا جاركم هنا في العمارة، ودسوقي البواب حكالي عنكم، أنا مطلق زوجتي بقالي سنتين و...

قاطعته قائلة:

- تشرب إيه؟

بعدما لاحظت انفعاله، فقد كان يتحدث كما لو كان أحدهم يلاحقه...

قال بعد أن هدأ نسبيا:

- لا لا متشكر جدا.

أكمل حديثه قائلا:

- أنا لسة عارف من دسوقي التفاصيل النهارده.. كنت عارف إن فيه حد بيعمل جمعية في العمارة، والحقيقة ماكنتش مهتم إني أعرف التفاصيل...

ومن شوية وأنا نازل وقفت أدردش معاه، وقاللي إن الجمعية دي لمساندة المطلقات والأرامل وأي واحدة مالهاش زوج.

قلت بابتسامة:

- مظبوط.

قال بصوت يقطر مرارة:

- دا على اعتبار إن الستات مظلومين أصلا؟!

قلت بعد أن حاولت أن أحافظ على ثباتي الانفعالي:

- لأ طبعا يا فندم مفيش قانون ثابت، ولا حاجة ينفع فيها التعميم..

إن الستات كلهم مظلومين

أو الرجالة كلهم ظالمين

والعكس...

ماينفعش أبدا نعمم.

قال بعد أن ارتاح إلى حد كبير:

- أعرفك بنفسي.. أنا شادي الدمنهوري.. دكتور أسنان...

ثم أردف بخجل:

- بكرر أسفي لو كنت دخلت بشكل غير لائق..

أصل بصراحه بحس إن الرجالة دايما محصورين في أدوار الشر.. هههههه... وكل ما أقابل حد ويعرف إني مطلق بيتعامل معايا بمبدأ إني إنسان الغاب طويل الناب.

ضحكت:

- فعلا، بس مش الكل واللـه... أنا فاهمة دا كويس...

ومتحمسة أسمع حكاية حضرتك.

تنهد ثم أردف قائلا:

- أنا أستاذ مساعد في كلية طب الأسنان جامعة عين شمس... طليقتي كانت طالبة عندي في الكلية..

أعجبت بيها جدا...

وحاولت ألفت انتباهها بكل الطرق لحد ما فعلا ارتبطنا وفاتحتها إني عاوز أتقدملها...

من أول يوم دخلت فيه بيتهم لاحظت إن والدتها هي الآمر الناهي في البيت...

والدها راجل طيب ووالدتها شخصية قوية ومسيطرة...

طلبوا مني طلبات فوق قدراتي بشكل رهيب، ورغم كدا نفذت كل رغباتهم، لأني فعلا كنت بحب سارة أوي وعاوز الموضوع يتم...

وطبعا كنت متغاضي عن حجات كتير جدا...

سارة للأسف كانت شخصيتها ملغية تماما قدام والدتها...

وأثناء فترة الخطوبة كانت والدتها بتتعمد تحسسني إن الكلمة كلمتها...

وكان عندي شعور دائم إني داخل حرب طروادة، بحارب طواحين الهواء، ولو سألتيني: عشان إيه؟ هقولك واللـه ما أعرف...

كانت كل حاجة تقول لأ لمجرد اللأ... ماشية معايا بمبدأ خالف تعرف...

كنت بحمد ربنا إن والدتي متوفية، وإلا كانت قامت بينهم الحرب العالمية التالتة...

وماتقوليليش وإيه اللي جبرك لأني ببساطة كنت وما زلت بحب سارة...

المهم...

تدخلت في كل حاجة حتي في اختيارنا للعفش وألوان الدهانات...

كان أملي بعد الجواز مراتي تتغير بعد ما تبعد عن والدتها...

لكن الموضوع زاد عن حده جدا...

سامحني يا رب..

كنت كل يوم أصحى الصبح مستني يجيلي خبر سعيد، وافتح الجرنان ألاقي صورتها في صفحة الوفيات.

وعند هذه الكلمة تحديدا انفجرت في الضحك...

ضحك بدوره وأكمل حديثه:

- صدقيني أنا مش ظالمها واللـه ولا بكرهها لمجرد الكره...

حاولت أتعامل معاها كإبنها، تزيد فيها وأحس إنها عاوزة تحطني في ضمن قايمة الضحايا..

كنت بحس وأنا قاعد قدامها أوقات كتير إنها هربانه من فيلم عاد لينتقم، وهتشيل القناع وتقوم قايلة...

أنا حسن الهلالي..

وهيطلع في الآخر فيه تار بايت بينها وبين جدي الكبير، وهي جت من الماضي عشان ترجّع الحق لأصحابه...

وقعدت أيام كتير منتظر لحظة خلع القناع وبفكر هيكون ردي إيه ساعتها...

عمري ما لقيت سبب منطقي ولا مبرر لنظراتها، غير إني للأسف رفضت الإذعان والتسليم...

ضحكت بشدة وقلت:

- إذعان وتسليم لإيه؟

قال بأسى:

- إنها تتحكم فيّا زي كل اللي حواليها، حتى لو كان كلامها غلط..

وأقدم فروض الولاء والطاعة...

وأسيبها تحقق معايا سكور زي ما حققت مع اللي قبلي، وأنضم للقايمة

وتقول next...

- طب وسارة كان إيه موقفها؟!

- سارة للأسف كانت شخصيتها ضعيفة جدا، وكانت دايما عاوزة تريح نفسها، فتسمع كلام والدتها في أي حاجه حتى لو كانت غير منطقية...

ولما كنت أعمل معاها مشكلة كانت تقوللي إوعى تجيب سيرة ماما لو سمحت..

وكانت دايما تحاول تقنعني إن الموضوع برّ والدين، في حين إني كنت فاهم وبشدة إنه خوف وضعف شخصية..

المهم ربنا رزقنا بـ«يس» ابني...

وبعد ما زوجتي جابت ولد، حماتي توحشت حرفيا

لأن كان ليها حسابات تانية خالص...

جتلها الفرصة الحقيقية إنها تكسرني وتنتقم..

قعدت تفتعل معايا المشاكل وبالتالي الوضع تأزم بيني وبين سارة جدا..

لحد ما وصلنا للطلاق...

سبت البيت ومشيت عشان الدنيا تهدى، رجعت لقيتهم مغيرين الكالون...

وخدت كل العفش اللي في الشقة

ورفعوا عليا قضية تبديد منقولات...

أنا قعدت فترة حرفيا كنت عامل زي اللي مخبوط على دماغه، مش عارف أتصرف ولا عارف أعمل إيه...

لجأت لطارق صاحبي عشان أشوره، قاللي ماقدامكش غير إنك الأول تحل الموضوع ودي...

وافقت، وبعت طارق عشان يتوسط إن الأمور تهدى، ولو فعلا عاوزين ينهوا الموضوع ننهيه بالمعروف...

لكن للأسف مفيش فايدة...

بعتّلها رسالة قلتلها يا سارة أرجوكي تنازلي عن المحضر، مايصحش تسجنيني وأنا أبو إبنك، وأنا هسيبلك كدا كدا كل حاجة لأنك حاضنة، وأنا عارف الكلام دا كويس...

ومفيش أي رد...

طارق صاحبي رشّحلي محامي، ودخلت سكة المحاكم طواعية لأني كنت هتسجن بسبب القايمة...

وعلى ما جبنا شهود إنها هي اللي أخدت العفش هي وأهلها كانت مواويل...

حاولت أتواصل مع والدها عشان أشوف ابني، يقوللي روح شوفه بالقانون...

وداخل في سنة ماشفتش الولد ومش عارف أعمل إيه بجد.

قاطعته بأدب:

- وإنت إزاي لسه بتحبها؟!

تنهد بحرقة وأتبع قائلا:

- هي بجد بتصعب عليا، أنا شايفها ضحية مش جاني.

حاولت أن أهون عليه فقلت بابتسامة:

- على رأي ماما.. خد الهبلة بنت العاقلة ومتاخدش العاقلة بنت الهبلة.

ضحك بشدة، ثم قال:

- أنا بصراحة صممت أقابلك بس عشان تعرفي إن فيه رجالة فعلا بتتظلم بجد واللـه...

أنا كنت عاوز أرتاح بجد ماكنتش عاوز أي مشاكل...

كنت بقيم بيت وأسرة عشان اتفرغ لشغلي، وأنا ومراتي نحط إيدينا في إيد بعض...

- أنا فاهمه جدا يا دكتور شادي واللـه إن زي ما فيه ستات مظلومين فيه رجالة كمان مظلومين، وسبحان اللـه لما كنت بشوفك واقف مع دسوقي البواب وأنا طالعه ونازله من العمارة كذا مرة، عمري ما تخيلت إن عندك كل المشاكل دي، لأنك شخص بشوش وبتحب الضحك والهزار...

لكن الفكرة اللي عند الناس بسبب إن النسبة الأكتر ستات فعلا متبهدلين.

تنهد قائلا بحزن:

- واللـه مش أنا بس، تلاتة من أصدقائي نفس الحوارات باختلاف القصص.

تحدثنا بعدها لساعة، وحكيت له عن معاناة الكثير من سيدات الجمعية، وحاولت إقناعه أن ينضم إلينا...

قال وهو يهم بالانصراف:

- بإذن اللـه هرد عليكي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كلهم؟

آه كلهم!

مشكلة التعميم...

الكلمة دي مابحبهاش خالص، كلمة (كلهم بيعملوا كذا)...

(كل) الرجالة مايتعاشروش...

(كل) الستات دماغهم ضاربة....

(كل) واحدة اتطلقت لازم تمشي مشي وحش...

دا بنسميه في الكوتشنج: «التعميم»...

وهو إن أي حد يدي حكم مطلق لمجرد إنه مر بتجربة سيئة أو اتنين أو تلاتة... أو حتى كتير...

(كلهم) في مجتمعنا بتتقسم لحاجتين؛

1. (تعميم على مجموعة من الناس)

إن (كل) الستات والرجالة المطلقين أو المتأخرين في الجواز فشلة...

ولو كان فيه خير ماكانش رماه الطير!

السؤال هنا بقى: إنتم شوفتوهم (كلهم)؟

أكيد لأ... يبقي ماينفعش ندي حكم عام ولا نحط كل الناس باختلاف قصصهم وشخصياتهم في سلة واحدة.

2. ومن ضمن التعميم (التعميم على نفسي)

اللي بنشوفه في حياة ناس كتير إنه لما يفشل في حاجه يقول:

أنا طول عمري بختي مايل...

أنا مانجحتش في ولا حاجة وعمري ما هنجح...

ماحدش منهم (كلهم) بيتمنالي الخير..

(كلهم) ماحدش بيحبني...

الناس (كلهم) حاطّيني في دماغهم...

الناس (كلهم) بيتكلموا عني وحش.

خلاص بقى مفيش فايدة زي ما سعد زغلول قال...

ويستمر في حياته كلها بنفس الكونسبت وينسى تماما: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

لازم يا جماعة نفهم إن التعميم المطلق من أكبر أخطاء التفكير، وبيكون بسبب عجز معظم الناس على إصدار حكم تفصيلي مبني على رؤية واضحة... فيقوم قايل كلهم ويخلص.. ماتقرفوناش بقى..

طب إيه علاقة اللي فوق دا بموضوعنا؟

علاقته إنه للأسف بسبب (كلهم)...

* فيه ناس بتتحط تحت عنوان ما، بيشمل الجروب كله بغض النظر عن التفاصيل..

* وممكن واحد يدمر حياته لمجرد إنه فشل في موقف في حياته..

فيدّي حكم مُطلَق إن حياته كلها فاشلة...

طب والحل؟!

الحل الأول:

إن عشان نخلص من موضوع (كلهم) لازم إحنا الأول نتغير في طريقة نظرتنا لنفسنا في حياتنا...

الخطوة الأولى:

إن مش معنى إني وقعت مرة واتنين وعشرة حتى، يبقي أعمم الحكم دا علي نفسي وعلى حياتي...

يعني مثلا:

مش معنى إن واحدة دخلت تجربة واتنين وإن شاللـه تلاتة وفشلت يبقى معناها هي فاشلة أو (كل) الرجالة وحشين، اللي بستغربله إن أيام الرسول عليه الصلاة والسلام، الصحابة والصحابيات اتجوزوا مرة واتنين وتلاتة واتطلقوا... وماحدش كان بيقول كلهم ولا كلها ولا كلهن حتى...

ودا فايدته بالنسبة لنا إننا نكمل اليومين على خير ومايجيلناش المرض...

ونحط في دماغنا إن ممكن أنا، أو حد قريب مني، في يوم من الأيام أكون واحدة من الناس دول.. وساعتها أكيد مش هحب التعميم الظالم دا...

الخطوة التانية:

لو اتعلمت أعمل الخطوة الأولانية كدا بالتدريج، هتتسع نظرتي في الحياة... وبالتالي هبطل التعميم على الناس...

وهبطل أقول (كلهم) على مجموعة من الناس لمجرد إنهم تحت عنوان واحد..

ويمكن ألغي الكلمة أصلا من قاموسي...

مطلقين..

مش كلهم مظلومين ولا كلهم ظالمين ولا كلهم فشلة.

متأخرين في الجواز..

مش كلهم معقدين نفسيا ولا كلهم متعمدين دا، ولا كلهم بيتنططوا ومش عاجبهم حاجة.

الحل التاني ودا الأسهل:

إحنا هنجري اختبارات علينا كلنا... ونتحط تحت ضغوط فظيعة واختبارات، وبعد التأكد إن فيه اتنين مننا مابيقولوش (كلهم)

نسفرهم للخارج...

نلم الباقيين (كلهم) ونقف (كلنا) في ميدان عام، وحدّ يرمي علينا قنبلة نووية، بشرط تنزل على راس طنط جولفدان مباشرة...

ونرجّع التانيين للداخل تاني يتجوزوا ويجيبوا ولاد يربوهم على نضافة...

ويطلع جيل كامل ماعندوش (كلهم)

حاجة هَمّ أقسم باللـه..

ماحدش مننا (كلنا) مابيقولش (كلهم)...

ممكن طيب سؤال؟!

هما ليه اتطلقوا (كلهم)؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل السابع: بداية الحلول العملية في الجمعية

«إن اللذة التي تجعل للحياة قيمة، ليست حيازة المال ولا شرف النسب ولا علو المنصب، وإنما هي أن يكون الإنسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم».

قاسم أمين

شعرت بإرهاق شديد بعدما انتهيت من إعداد وتجهيز كل شيء لافتتاح الجمعية...

قمنا بدعوة جميع الأعضاء والعضوات ومجلس إدارة الجمعية...

ولم أنس الدكتورة دولت والدة المهندس محمود؛ حتى أنتهز الفرصة لإصلاح ذات بينهما...

وقبيل موعد افتتاح الجمعية بيوم، كنت أشعر بأرق شديد...

ففي الغد أكون أو لا أكون...

دعوت اللـه أن يوفقني ويحلل عقدة من لساني...

فلا شك أن الانطباعات الأولى تدوم...

وبعد جهود مضنية غفوت.. ورأيت في منامي أني قابلت قاسم أمين وسألته عن كل ما يجول بخاطري.. كيف استطاع أن يغير مجتمعا بأكمله؟

هل من الممكن أن أغير حتى لا يعاني أبنائي مما عانينا منه لعقود؟

صحوت من نومي وأنا أفكر في هذا الرجل، فهو رائد حركة تحرير المرأة، وكان له دور فعال في تغيير المسار الفكري لمجتمع شديد الانغلاق...

هوجمت حركته في بدايتها، ثم ما لبثت أن حققت نجاحا كبيرا، ولاقت صدى كبيرا جدا في العديد من الدول العربية وليس مصر فقط...

ورغم صعوبة الأمر آنذاك، نجح في غايته...

وفي اليوم التالي...

انتظرت بمكتبي حتى حضر الجميع، ما عدا الباشمهندس محمود الأسعد، الذي جاء متأخرا... وما إن دخل القاعة ولمح والدته، حتى قطب جبينه وجلس في نهايتها...

ورأيت صديقتي الحنون ريهام تجلس في المقدمة، تنظر إليّ بنظرات يملؤها التشجيع، ولسان حالها يقول أنت لها...

بدأت كلامي...

بسم اللـه الرحمن الرحيم...

بداية، أحب أن أشكركم كلكم على الاهتمام والحضور... ولولا اللـه ثم أنتم ماكنتش أبدا هنجح في تأسيس الجمعية...

اسمحولي أدخل في الموضوع على طول...

من خلال لقاءاتي معاكم عموما، ومع سيدات الجمعية خصوصا، لاحظت إن فيه سؤال بيشغل بالكم كلكم، ألا وهو...

أنا اتطلقت ليه؟ أو أنا اتحرمت من نعمة الزوج ليه؟

كلكم عارفين إني مطلقة من سبع سنين تقريبا، والحقيقة إني من اليوم الأول في الطلاق وأنا بسأل نفسي نفس السؤال...

عدت علي أيام كتير كنت بفكر إني كنت ست فيري إنتّريستنج، عملت كل اللي مايتعملش واستحملت اللي مايستحملوش حد، وقاتلت بشرف للنهاية عشان علاقتنا تستمر...

وقعد السؤال دا يؤرقني تلات سنين بلياليهم...

كنت بتصل بصاحباتي المقربين، نعمل اجتماع قمة للبحث عن إجابة السؤال اللي حير الملايين...

مها سامي اتطلقت ليه؟!

والحقيقة إني كنت بتنقل بينهم لأني كنت ببُخ طاقة سلبية مفيش إنسان يقدر يستحملها...

حيث كانت المكالمات في خلفيتها أغاني شجن، وتصاحبها أمطار غزيرة من الدموع التي تسقط على ضفاف نهر النكد، اللي طالع من المعموع الجواني...

وفشل الجميع في إيجاد إجابه للسؤال... ومالقتش بد من إني أنزل لمعترك الحياة.. وإجابة السؤال والحكمة هعرفها مع الزمن بعدين...

وفي يوم من ذات الأيام رجعت بالزمن لورا، وقررت أسأل نفسي سؤال...

هو أنا اتجوزت ليه؟!

لقيت إن الإجابة زي إجابة كتير منكم...

1. عشان أحب وأتحب.

2. عشان عاوزة السند والأمان.

3. عشان عاوزة أخلف عيال وأربيهم... آه وبعدين يا مها؟ آه ويكبروا..

أيوه عشان إيه؟!

ماتوجعوش دماغي بقى، عشان يكبروا زي ما الناس بتكبر.

4. عشان ألاقي واحد أضحك عليه وأخلص فلوسه.

5. هلاقي واحد يشخلعني ويدلعني ويهنيني.

رحت سألت نفسي سؤال أهم بقى؟!

هو الجواز بالنسبة لي كان وسيلة ولا غاية؟!

لقيت إنه كان غاية.. أنا عاوزة أتجوز زي ما الناس كلها بتتجوز، ونعيش فرحانين ونلف حوالين الشجرة...

طبعا بعد الأهداف السامية البامية دي كان لازم أتطلق...

** وبالتالي عرفت أول سبب أنا اتطلقت ليه... لأني ببساطة ماكنتش عارفة أصلا أنا بتجوز ليه.

لما الأهداف اللي قلتها دي مش أهداف منطقية للجواز، أومال إيه الأهداف المنطقية من وجهة نظري؟!

الهدف الأسمى اللي اتخلقنا عشانه، وهو إننا نعمر الأرض...

إحنا جينا هنا عشان نسيب بصمة قبل ما نمشي...

بصمة تنفع الناس في دنيتهم... وتنفعنا في الآخرة...

طب والزوج؟!

مش الرسول قال: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير اللـه لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»؟...

صح مش معترضة...

طاعة الزوج ووجوده في حياتي من ضمن الطاعات اللي ممكن أدخل بيها الجنة..

زي لو صليت... لو صمت... لو ساعدت ناس محتاجين..

بس؟!

لأ مش بس، ومتعة من متع الحياة... زي لو خرجت مع صاحباتي..

زي لو سافرت تركيا... أو حد منكم عزمني على العشاء في باريس...

لكن الجواز مش الغاية العليا اللي أنا عاوزة أوصلّها...

أتولد أعيش أتجوز أخلف أموت...

إحنا استحاله نكون اتخلقنا عشان كدا...

الجواز هو إنك تلاقي واحد يصاحبك في الرحلة للوصول لهدفك الأسمى، وهو البصمة اللي عاوزة تسيبيها قبل ما تمشي...

والدليل على كدا...

حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

1. صدقة جارية.

2. علم ينتفع به.

3. ولد صالح يدعو له».

في الحديث دا الرسول إدالنا أمثلة لبصمات ممكن نسيبها قبل ما نمشي...

ومن هنا عرفت السبب الأول من أسباب إني اتطلقت...

وهو إني أصلا ماكنتش عارفة أنا بتجوز ليه، والجواز كان غاية مش وسيلة...

ودا خلاني فهمت مباشرة:

** السبب التاني من أسباب أنا اتطلقت ليه...

وهو إني بما إني ماكنتش عارفة أنا بتجوز ليه... فماختارتش صح...

السبب التاني إني ماختارتش بناء على أسس الشريك المناسب...

الشريك اللي هيساعدني في تنفيذ خطتي لإعمار الأرض...

ولما سألت منكم كتير أسس اختياركم للشريك كانت إيه؟ وإيه الأهداف المشتركة؟

كانت من ضمن الإجابات:

بنحب إحنا الاتنين دقية البامية باللحمة الضاني.

بنتخانق كل يوم إني آخد كيس الزبالة وأنا نازل.

بنحب نروح مصيف بلطيم وأحيانا جمصة.. ما تيجي معانا.

بعيد عنك بموت في إني أنكد عليه، هرمونات النكد مبهدلاني، وهو بيحب يزعقلي، الحوار دا بيغسلنا من جوة.

ربينا الواد محمدي أحسن تربية، عقبال أملتك اتخرج من معهد سنجر وبقى معاه شهادة سلاح في إيده... احتمال يغز الواد حمو بالسلاح دا.

وبعد ما سمعت الإجابات الجميلة دي لقيت إن للأسف كتير مننا ماكانش عنده أسس اختيار..

فماعرفناش أبدا نتقابل في نقطة ولا نلاقي أهداف مشتركة، ودا السبب التاني من أسباب الطلاق.

** وكان مترتب عليه السبب التالت، وهو أهم سبب عرفته من خلال رحلتي بعد الطلاق...

عاوزة تعرفي إيه هو؟!

إنك من المميزين يا علي...

قصدي الأحرار...

معلش الجلالة خدتني...

إنك من المميزين!

لأن ربنا إداكي الفرصة تصححي المسار وترجعي للطريق الصح في الوقت المناسب، بس اللي يفهم...

وليه كان لازم أتجوز وأتطلق؟!

ليه يجرالي كدا؟!

لأنك عمرك ما هتتعملي إلا لما تجربي...

مين فينا فاكر سورة الكهف، والأحداث اللي حصلت بين سيدنا موسي والرجل الصالح؟

الأحداث تبدو قدامنا مالهاش أي تفسير وشرح واضح... لكن في باطنها رحمات كتير جدا...

أما بقى لو بصينا في قصص معظم مشاهير العالم، هنلاقي إنهم اتعرضو لأزمة شديدة جدا غيرت مسار حياتهم...

ولو ذكرنا منهم أمثلة...

واحد اسمه والاس جونسون، كان بيشتغل نجار في مصنع خشب من وهو عنده ٢٠ سنة...

الراجل دا كان بيحب شغله جدا، ومتقن فيه بشكل غير عادي...

واستمر في الشغل لمدة عشرين سنة!

وفجأة وبدون مقدمات.. الراجل صاحب الشغل استغنى عنه وطرده من غير أي سبب...

الراجل بمقاييس البني آدمين حياته اتدمرت.. إزاي هيبتدي حياته وهو عنده أربعين سنة؟

خلاص بعد ما شاب ودوه الكتاب!

مفيش أمل غير إنه يشحت...

الراجل قعد يفكر إيه الإمكانيات اللي حواليه ممكن يستغلها عشان يخرج من المأزق دا بأي طريقة...

لقى إن عنده ٣ حجات....

الصحة

والعقل

والبيت اللي قاعد فيه

قرر يشغل مخه، وراح راهن البيت اللي كانوا عايشين فيه...

وبالفلوس اللي رهن بيها البيت راح باني بيت بتصميم مختلف..

يعني نقدر نقول اشتغل في مجال المقاولات....

الناس أعجبت جدا بتصميم البيت اللي بناه

وفي فترة قصيرة جدا بنى ٢٠ بيت!

وشوية بشوية بالإصرار والنحت في الصخر... عارفين وصل لإيه؟

الراجل دا بقى صاحب فنادق «هولیداي إن» المنتشرة على مستوى العالم...

الراجل دا لما صاحب الشغل طرده، كان قدامه أربع طرق:

الأول: يفضل باصص تحت رجليه ويفكر بغباء ويتحايل على صاحب الشغل يرجعه، وكان زمانه عاش ومات وهو نجار، وعاش وهو ماعندوش كرامة.

التاني: يضيع عمره في إنه يسأل نفسه أنا اترفدت ليه؟!

التالت: إنه يشتري كرامته بس يفضل يبكي على اللبن المسكوب ويحس إن حياته انتهت، ويخش في سلسلة من الانهيارات والأمراض النفسية، ويضيع ولاده وأسرته..

الرابع: إنه يفكر برة الصندوق ويفهم الحكمة ويغير مسار تفكيره، ويفحت في الصخر ويبقى صاحب سلسلة فنادق «هوليداي إن».

كام واحدة فينا حصلّها مشكلة... فقدت حاجة هي بتحبها، وفضلت تفكر جوة الصندوق إن الحل الوحيد في الحاجة دي ومالهاش بدايل؟

وكام واحدة فينا حست إن حياتها انتهت، وإنها مش هتقدر لمجرد إن مسار حياتها اتغير، من غير ما تحاول توسع مخها وتفهم الحكمة، ويمكن يكون اللي متشال شيء مايخطرش على بالي؟ أوصل يا مها للي متشال إزاي؟!

بحاجتين..

الرضا

والسعي

ربنا بيقول: ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللـهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:]

تعرفي إن كل واحدة فينا جواها بطلة محتاجة تخرج، وعشان تخرج عاوزة شوية مجهود وإرادة صغيرين خالص..

من ضمن الناس اللي نجحوا بعد أزمة، المؤلفة بتاعة سلسلة قصص «هاري بوتر»... هناخد الشاهد من قصة حياة الست دي...

الست دي ببساطة اتطلقت تقريبا سنة ١٩٩٥، وكانت عايشة هي وبنتها على معاش أهبل كده من الدولة...

قبل ما تتطلق بحاجة بسيطة كانت راكبة قطر، ونظرا لأن خيالها واسع نسجت في دماغها أبطال هاري بوتر، واستوحت الموضوع من محطة القطر وبدأت تحط أحداث...

اتلهت في حياتها وماكتبتش القصة اللي جت في بالها، وبعد طلاقها افتكرت حلمها القديم واشتغلت على موهبتها، وبدأت تكتب أول قصة من قصص هاري بوتر...

قدمت الرواية الأولى في ١٣ دار نشر، وقعدت تترفض وماحدش موافق على اللي مكتوب، بالإضافة إلى إنها كاتبة مغمورة ماحدش عارفها، لحد ما دار نشر قبلت بيها، بس اشترطوا عليها شرط ماتكتبش إسمها وتكتب اختصار، ووافقت، ونزلت الرواية، ويوم حفل التوقيع ماحدش أصلاً جه غير الناس بتوع دار النشر اللي كانوا أصلا موجودين، وصعبت عليهم والتفوا حواليها عشان يشدوا من أزرها...

عام ٢٠٠٤ بقت مليارديرة، وأشهر كاتبة للقصص الخيالية اللي من النوع ده.

خدتوا بالكم من حاجة؟

أنا أخدت

الحاجة الأولانية:

ماذا لو الست دي ماكانتش اتطلقت؟

كان زمانها ست عادية قاعدة في بيتها بتشكر ربنا.

الحاجة التانية:

الترتيب المنطقي للنجاح في أغلب قصص مشاهير العالم...

1. أزمة شديدة.
2. رحلة البحث عن الذات واكتشاف المواهب.
3. تنمية الموهبة وخلق الهدف والحلم.
4. الإصرار والعزيمة.
5. كوباية شاي بالنعناع وورقة وقلم.

إوعي تقولي خلاص الوقت فات... وإوعي تقولي إن ماعادش عندي طاقة وكبرت...

الرسول عليه الصلاة والسلام حياته الحقيقية بدأت بعد الأربعين...

وماكانش طريقه للدعوة إلى اللـه مفروش بالورود ولا حاجة...

طيب أتعب نفسي وأنجح ليه؟! وأنجح إزاي؟!

من التساؤلات اللي بتيجي في بالنا لما نكون في قمة الإحباط والنكد من موقف حصل غيّر مسار حياتي...

بغض النظر عن المعاني الكتيرة للنجاح زي:

أحقق كياني وأثبت نفسي.

أدي اللي راهنوا علي كسرتي في وشهم.

إني أخلق أحلام جديدة وأهداف جديدة.

الشعور بطعم النجاح حلو أوي.

وغيرها وغيرها...

فيه معني مهم أوي حسيت بيه في الطريق وأنا ماشية، المعنى ده أنا ماكنتش حاسباله أوي، لكن اتفاجئت بيه فعلا...

وهو طريقة تعاملات الناس معاكي قبل النجاح وبعده...

كنت بلاحظ نظرات الناس تتراوح ما بين الطبطبة والتصعب ومصمصة الشفايف، وفي بعض الأحيان الخوف منك من الحسد، بلَس الكلمات الرائعة زي: ربنا يجعل عوضك في ولادك...

يعني أنا أموت؟

كنت دايما بحس إن...

نظرة الناس للإنسان الناجح بتختلف تماما، ودا مش وحاشة منهم ولا حاجة، ولكن لأن

الإنسان الناجح ببساطة مش عبء.

الإنسان الناجح دعم.

طاقة إيجابية.

مصدر قوة.

انجحي!

أقسملك باللـه هتلاقي كل حد بعد زمان جاي يقرب ويتمنى بس يتكلم معاكي، لأنك بقيتي مبهرة..

والمفاجأة إنك مش هيكون عندك وقت ليهم أصلا، هتلاقي إن نجاحك غطى على أي حاجة تانية الناس كانت شايفاها ناقصة عندك...

ولما تنجحي هتقدري تحققي الدعم المادي لولادك إن شاء اللـه...

والأهم من دا كله إنك تسيبي بصمتك في إعمار الأرض قبل ما تمشي زي ما اتفقنا...

وماشية في طريقك لحد ما تقابلي نصك التاني... ولو ماقابلتيهوش إنتي ماشية في سكتك، وهي رسالتك في الحياة، تجاه نفسك، ثم تجاه أولادك...

وبكدا يبقى إنتي عرفتي تتجاوزي أغلب المشاكل اللي بتواجه أي ست مننا من غير راجل، في مجتمع زي مجتمعنا...

طيب أنجح إزاي؟!

1. تستعيني بربنا وتتعلقي ببابه.
2. تاخدي القرار إنك هتتخطي الأزمة وتغيري حياتك.
3. يبقى عندك الإرادة إنك تقعي مرة واتنين وعشرة وتقومي تاني.
4. تحطي الخطة والهدف.
5. تبصي على الإمكانيات حواليكي اللي هتقدري تستفيدي منها.
6. يبقى عندك الصبر إنك تكملي المشوار اللي هيكون صعب ومليان تحديات.

طيب إيه الإمكانيات اللي ممكن تكون عندي؟!

الإمكانيات حاجتين...

أولا: الإمكانيات حواليكي:

زي إيه؟!

- شغلك.
- ولادك.
- أهلك.
- صحاب مخلصين يدعموكي ويسندوكي وقت الشدة.
- جيران طيبين.
- فلوس كنتي شايلاها على جنب.

ثانيا:

إنتي..

لأ مش عاوزة حد من الزُمَلا يفهمني غلط.. أكيد مش هيكون اقتراحي إنك تنزلي تتشقطي عند شارع جامعة الدول العربية! بصي يا ستي، إنتي دي معناها..

صحتك.

مخك.

شفتي بقى إنتي غنية إزاي؟! هتعملي إيه بقى بإمكنياتك؟ لو عندك شغل قرري إنك تحطي خطة زمنية معينة لهدف، ولما تحققيه إجري للي بعده... لو إنتي دكتورة قرري إنك بعد مثلا سبع سنين يبقي عندك أكبر مستشفى في الشرق الأوسط، وماتقوليش إزاي؟ مامعيش فلوس!

هقولك كلمة واحدة، إذا صدقتي العزم.. وجدتي السبيل.

وإيه البصمة اللي هسيبها في الأرض بهدف زي دا؟ إنك تعملي قسم لعلاج غير القادرين بالمجان..

طيب لو مابتحبيش شغلك؟!

اعملي كارير شيفت

طب لو ماعنديش شغل أصلا؟!

نقبي عن هواياتك...

ربنا إدى لكل واحد فينا موهبة... دوري عليها واستغليها...

حتى لو كانت كوروشيه...

أكسيسوريز

أي حاجه هاند ميد

رسم

وحطي برضه هدف كبير... إن يبقي عندك براند عالمي...

يا سلام! وإيه الفكرة في البصمة لما يبقي عندي براند عالمي؟!

إنك هتبقي بيزنس وومن عندك ضمير وقلب، هتشغلي الناس اللي محتاجين فعلا، ويمكن تديهم مرتبات أعلى من السوق كمان، لأنك حاسة بظروفهم... وإوعي تقولي ياه دا الموضوع كبير وبعيد أشبه بصعود قمة إيفريست...

هقولك كلمة واحدة...

إنك من خمس سنين أكيد كان عندك حلم... الخمس سنين عدّوا على فكرة وإنتي لسه مكانك... وإوعي إوعي تتخيلي إنك هتسعي وربنا هيخذلك أبدا..

في هذه اللحظة تحديدا صفق كل الحضور، وبعدها مباشرة قالت مدام سالي عبد الواحد:

- الكلام كله رائع يا دكتورة، بس إحنا برضه نفسنا يكون لينا دور وتأثير على المجتمع.. هنعمله إزاي؟!

- لسه كنت جاية في الكلام دا حالا... يوم ما نقرر نغير المجتمع لازم نكون فاهمين القاعدة الإلهية: «إن اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، لازم إحنا الأول نتغير ونغير قناعاتنا ونشتغل على الخريطة الذهنية بتاعتنا، ونبتدي نشتغل على الخريطة الذهنية بتاعة الناس المقربين لينا وحوالينا... بس عشان نقدر نكون مقنعين بالنسبة لهم لازم نعمل كل اللي قلته الأول... وبعدها لما نكون مثال مشرف وناجح وقدوة هنقدر نأثر على أهالينا، لأنهم ببساطة هيثقوا في قراراتنا... وكمان نربي ولادنا صح...

نعلم الولد إنه يطلع راجل بمعنى الكلمة، وإن الهدف من زواجه هو وسيلة لإعمار الأرض، واختيار شريكة مناسبه للـهدف دا.

ونعلم البنات إن ماينفعش أتمحور حوالين فكرة الزواج بس، وإن الأمر وسيلة وليس غاية...

نعلم الأولاد من وهما صغيرين إننا زوار هنا، ولازم تسيب بصمتك..

قربي منهم واعرفي طموحاتهم الصغيرة، وساعديهم في اختيار أهداف قابلة للتغيير كل فترة... خدي قرار إن واحد منهم هيكون إبن ناجح لأم مطلقة... إنك تكوني أول ست مطلقة أو أرملة إبنها أخد جايزة نوبل...

أنا بضرب مثال...

سيبيه هو أو هي يختاروا حياتهم، بس شجعيهم وعلميهم نظرية الهدف الأسمى... والغاية العليا... تعمير الأرض والبصمة...

قالت مدام سالي:

- محتاجين نقرأ أكتر عن ناس قبلينا غيروا المجتمع وأثروا فيه، زي نبوية موسي ورفاعة الطهطاوي وقاسم أمين.

ضحكت مؤيدة لكلامها:

- فعلا مدام سالي... والأحلى لو نعرف نقابلهم.

وفي هذه اللحظة تحديدا قام الباشمهندس محمود الأسعد، وقال بصوت جهوري:

- أنا ممكن أساعدك تقابليهم يا دكتور.

قلت بسخرية:

- إزاي بقى؟

- عن طريق آلة الزمن بتاعتي اللي اخترعتها.

وعند هذه الجملة تحديدا ساد الهرج والمرج في القاعة، بعدما ذهل الجميع.

حاولت أن أسيطر على الموقف دون جدوى، حتى تقدم محمود وأمسك الميكروفون، وتحدث في حزن قائلا:

- من فضلكم اسمعوني...

أنا عملت آلة الزمن دي عشان كنت عاوز أرجع بالزمن أمنع زواج والدي ووالدتي، بسبب اللي شفته في حياتي...

وبعد هذه الكلمة تحديدا، انهارت الدكتورة دولت في بكاء هستيري.

أكمل محمود حديثه قائلا:

- وفعلا كنت انتهيت من آخر جزء فيها قبل ما الدكتورة مها تكلمني بيوم واحد، لما قابلتها لفتت انتباهي إن الأفضل نشتغل لتحسين المستقبل، بدل ما نبكي طول عمرنا على الماضي... وبعد ما روحت بصيت للآلة اكتشفت إني مش عاوز أرجع بالزمن لورا.. لأن ربنا إدالي مميزات كتير جدا ماداهاش لناس تانيين... زي الصحة والذكاء والنجاح، وإني الحمد للـه محبوب من كل الناس، ومؤهلات كتير ربنا عوضني بيها...

ساعتها بس اقتنعت إن الطريق اللي اختاره ربنا كان أسلم طريق بالنسبة لي... وإني ضيعت وقت طويل وأنا ببص على الماضي... في حين إن الأمل دايما في المستقبل... واللي ضاع مني غصب عني... هعوضه في ولادي إن شاء اللـه.

وخيم الصمت على المكان بعدما سقطت الدكتورة دولت مغشيا عليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- طمنّا يا دكتور.. أخبار دكتورة دولت إيه دلوقتي؟

- خير بإذن اللـه، هي عندها ذبحة صدرية وهتفضل تحت الملاحظة في العناية المركزة لحد ما نتطمن عليها.

قلت بحزن:

- ربنا يعدّيها على خير.

كان محمود يجلس شاردا على أحد الكراسي... جلست بجانبه وبدأت حديثي:

- ماتقلقش يا باشمهندس.. إن شاء اللـه ربنا هيقوّمها بالسلامة...

رد بحزن:

- طول عمري حاسس إن وجودها مش فارق من عدمه، لكن لما اتحطيت في موقف إني ممكن أخسرها، حسيت إني ضغطت عليها زيادة عن اللزوم.

- ماتقلقش.

حاولت أن أخفف من وطأة الموقف، فضحكت قائلة:

- إنت عندك آلة زمن بجد؟

- هتروحي تقابلي مين؟

قلت بحماسة وأنا أغمز بعيني:

- قاسم أمين.. هتيجي معايا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن: بين الماضي والحاضر..

«الفشل هو الفرصة التي تتيح لك البدء من جديد ولكن بذكاء أكبر»

هنري فورد

امتلأت الجمعية عن آخرها بالأعضاء... وكنت فقدت سيطرتي تماما على الوضع..

قلت بانفعال:

- أرجوكم يا جماعة، من فضلكم عاوزين نتفاهم بأسلوب غير دا...

بالهدوء نوصل لحل!

قالت هيام بصوت جهوري:

- الحل في إيدك يا دكتورة، سيبينا نغير الماضي من فضلك عشان حياتنا تستقيم.

قلت بعدما حاولت تمالك أعصابي:

- من فضلك يا هيام، لازم أقعد مع كل واحد لوحده اليومين الجايين.. وأوعدكم بعدها هنوصل لأفضل حل إن شاء اللـه.

وبعد يومين كاملين من النقاش مع أفراد الجمعية...

دخلت مكتبي مسرعة، وقلت وأنا أرتب أوراقي استعدادا لوضعها في حقيبتي:

- من فضلك يا ندى، إنتي وملك هتتواصلوا مع كل أفراد الجمعية، تبلغوهم على جروب الواتس الخاص بالجمعية إن فيه اجتماع عاجل بكرة الساعة عشرة صباحا إن شاء اللـه.

وفي تمام الساعة العاشرة دخل جميع أعضاء وعضوات الجمعية إلى القاعة..

كان يبدو القلق ظاهرا على الجميع...

بدأت كلامي:

- بسم اللـه الرحمن الرحيم..

مبدئيا عاوزة أطمنكم إني عمري ما هتدخل في اختيار أي حد فيكم للطريقة اللي عاوز يدير بيها حياته...

اليومين اللي فاتوا سمعتكم، وجه الوقت إنكم تسمعوني، وبعدها خدوا وقتكم في التفكير واتخاذ القرار...

الغالب منكم مُصرّ وبشدة إنه يرجع بالزمن لتغيير الماضي، اعتقادا منه إن دا هيغير الحاضر والمستقبل..

خليني بس أوضحلكم إن دا شعور طبيعي جدا جدا، وأنا حاسة بيكم لأني مريت بنفس الظروف...

اللي لاحظته من خلال كلامي معاكم إن العامل المشترك بيننا بعد التعرض للصدمة، إننا بنمر بأربع مراحل.

1. إنكار الواقع.

ندم وسجن في الماضي.

إساءة استخدام الحاضر.

خوف من المستقبل.

المهم...

خلينا نمسك مرحلة مرحلة...

إنكار الواقع...

لما بنفقد الزوج بتلاقي نفسك في مواجهة مجتمع كامل من الزومبي مشوهي الخرائط الذهنية... اللي إنتي بالمناسبة واحدة منهم...

بيكون الحل الأسلم والأسهل اللي بيوجهك عقلك ليه، إنك تنكري قدام الناس اللي حصل، لأنك مش قادرة تواجهي جولفدان ومثيلاتها..

وبعدين ترفضي تصدقيه مع نفسك، وتبتدي تكدبي كدبة وتصدقي انها مجرد سحابة صيف وهتعدي... عقلك مترجم الوضع إنك لبستي في حيطة، وبالتالي رافضه...

فعايشة كل أملك في الحياة إن المَيّه ترجع لمجاريها، وندلق على بعض زبالة فيها...

وبعدين؟!

وبعدين مفيش حل، والحيطة اللي لبست فيها سد قدامي... مفيش غير إني أدعبس على الماضي...

2. سجن الماضي..

ماليش حل غير إني أبص ورايا تاني، أقلب في الدفاتر القديمة إذ ربما ألاقي أي ثغرة أخرج من الموقف دا... أو أبلبع أي حاجة تفقدني الذاكرة..

طب ما نشوف دفاتر جديدة؟ لأ...

عباس الضو قال لأ لأ

بتدخلي بعدها في رحلة البحث عن الثغرات اللي ممكن توديكي لمرحلة جلد الذات، زي مثلا...

كان بيضربني

وممرمطني

وبخيل

وابن أمه

بس أنا مرة كحيت غصب عني في وشه..

يكونش دا السبب؟!

بس، وجدتها... أنا هرجع وهبطل أكح في وشه...

وهصلح كذا وكذا وكذا...

وناسية حاجة مهمة قوي، إن ربنا قال في القرآن: «إن يريدا إصلاحا يوفق اللـه بينهما»...

يريدا، يعني الطرفين والعيلتين وكله... يعني تكون رغبة مشتركة..

بمعنى، ممكن يكون طرف عنده رغبة حقيقية للإصلاح لكن الطرف التاني ماعندوش نهائيا..

الطرف التاني عاوز يبقي الوضع على ما هو عليه، وإنت أو إنتي ظبط نفسك عليه، ماتوجعوش دماغنا...

وماله.. هرجع وأستحمل الوضع اللي ما هو عليه دا.. حلو!

بالمناسبة، الوضع اللي ما هو عليه دا وإنتي جواه ماستحميلتهوش واتطلقتي... أو طلقت...

أصل ماكنتش متخيلة الحياة من غير زوج صعبة كدا!

هستحمل وأعيش وخلاص...

طيب يا جميلة، روحي ضيعي عمرك الجاي في الدخول في حلقة مفرغة من هرجع وهصلحه، تقومي ماتستحمليش، تقومي تطلقي، تقومي تقولي هرجع وأصلحه...

ولو صلحتيه... ودا مستحيل...

طب وهتعملي إيه في اللي حواليه؟!

بالمناسبة، هو حواليه منظومة متكاملة من الخرايط الذهنية، والده ووالدته وخالته وجده وتيتة وأسرة البرنامج..

من الآخر يا بنتي...

لو عملتي اللي عليكي أثناء فترة الزواج من وجهة نظرك ونظر الحكماء، واللي حواليكي قالولك إن الجوازة فاشلة...

يبقى هقولّك مفاجأة، إن حياتك من غيره أسهل بكتير...

وبالمناسبة مش معنى إنها جوازة مش ناجحة إنك غلط أو هو غلط، ممكن جدا تكوني لون وهو لون...

هو أحمر شفتشي...

وإنتي إسود ومهبب...

ممكن تكوني overqualified.. إمكانياتك كتير عليه، فيه فرق سرعات بينكم...

هو من category مختلف أحسن أو أوحش...

المفاجأة إنك طالما وصلتي للطلاق يبقى إنسي إنك تستحملي أو هو يتغير...

أي والنيعمة...

إلا في حالة واحدة، تكوني فعلا غلطانة غلط حقيقي مايختلفش عليه اتنين، ساعتها ارجعي وصلحي واشتري بيتك فعلا...

طيب ومشاعري وأحاسيسي، مرة وهو بيضربني بالمفك في عيني قاللي يا بيبي...

الذكريات هتقتلني...

في الحالة دي لازم تغيري خريطتك الذهنية تجاه الذكريات...

مش الهدف منها أفتكرها وأحزن...

بالعكس أفرح إن فيه لحظات سعيدة أنا عشتها في حياتي كفُلانة...

شيليه هو من دماغك وخدي القرار إنك تنسيه وتكسري كل حاجة متعلقة بيه...

لو كنتي بتمشي في شارع وإنتي متجوزاه، إمشي فيه مع جروب من أصحاب بتحبيهم، واخلقي ذكرى جديدة..

لو كان مانعك من معرفة صديقة معينة، ارجعي كلميها وتواصلي معاها...

لو منعك عن الفيس بوك ارجعي افتحيه...

لو كان مانعك من زيارة قرايبك روحيلهم كلهم...

كل التصرفات دي هتدي إشارة لعقلك اللاواعي إن الشخص دا انكسر من جوايا وانتهى فعلا...

اعملي كل طموحاتك اللي كانت متأجلة، واخلقي ذكريات جديدة...

وبعدها؟!

عيب عليكي الجزء التاني...

أقولك أنا؟!

ياه.. يا ريت اللي جرى ما كان... يا ريتني ما كنت اتجوزته ولا شفت وشه...

وفي الحالة دي أحب أقولك أنا من موقعي هذا، وفي هذا الكتاب، أحب أشكر طليقي من كل قلبي هو ووالدته بجد...

لولا اللـه ثم إنتم ماكنتش اتعلمت

ماكنتش فهمت

ماكنتش بقيت

كان زماني واقفة قدام الفرن بعمل صينية المكرونة بالبشاميل...

والهدف من كلامي إنك لازم تتشندلي عشان تتغيري، لازم تتخبطي في نافوخك عشان تفهمي إنك ماشية في طريق غلط.

نتنقل للمرحلة اللي بعدها...

3. إساءة استخدام الحاضر:

مرحلة الحاضر اللي للأسف لما بنفتكرها بنستغلها غلط تماما...

في المرحلة دي بنحس إن خلاص الأبواب اتقفلت كلها وgame over

بتكوني سلمتي إنه فعلا فيه مشكلة حصلت وبتتصدمي صدمة عمرك..

ويجيلك فورا السؤال اللي عشانه عملنا الكتاب...

هو أنا ضِعت ولا إيه؟!

في المرحلة دي بتبتدي تدوري وراه.. يا ترى بردان ولا حران؟ زعلان ولا فكسان؟

جلبي جايد نار يا سنوسي..

هو عايش عادي كدا؟!

وتبتدي تدوري على أخباره بطرق مختلفة، عشان تتأكدي إنه مشندل على وشه... اعتقادا منك إن دا هيبرد نارك..

وتبتدي تسألي اللي حواليكي...

يا ترى حاسس اللي أنا حاساه؟ لا بقولكم إيه ما هو لازم يحس!

بالذوق بالعافية يحس..

دا أنا أروح فيكم في داهية، كتفوه وحسسوه...

يا نعيش عيشة فل يا نموت إحنا الكل...

طب معلش ممكن بس لحظة!

عاوزة أسألك سؤال يطرح بلح...

هو لما يحس وإنتي ما زلتي حاسة.. إنتي كدا استفدتي إيه؟ على رأي عمو مرتضى منصور...

ما هو إنتي هتكوني لسة حاسة وزعلانة، هيفرق إيه هو زعلان وحاسس ولا لأ؟ مش فاهمة...

عشان أنتقم...

ماشي اعتبريه حس.. ها؟ إزي الحال؟!

آه تصدقي لسة حاسة ومتضايقة!

عندي حل أسهل بكتير، ما بدل ما يحس وإنتي تحسي ونحس كلنا،

ما بلاش تحسي من الأول أسهل.. وغيري إحساسك بتغيير خريطتك الذهنية تجاه إحساسك دا...

كنت مرة بعمل كوتشنج سيشن مع بنوتة زي السكر، وبعدين حكتلي إن هي اتطلقت من سنتين، وكانت بتتألم جدا، وقعدت تدور على أخبار طليقها لحد ما اتأكدت إن هو كمان متضايق ومخنوق...

بتقوللي المفاجأة إني بعد سنتين من التدوير، ولما وصلت لإني اتأكدت إنه هو كمان متضايق، ماستفدتش أي حاجة غير لمدة ساعة واحدة، وبعدها فقت على الحقيقة المرة، إني ما زلت زي ما انا، وما زلت محلك سر، ووضعه لم يقدم ولم يؤخر في إحساسي ولا وضعي أي شيء...

ومن هنا خليني أقولك حاجة..

خدي بالك.. أي إحساس أو مشاعر عندك ما هي إلا مهارة إنتي طورتيها وبقيتي محترفة فيها،

يعني مثلا الشعور بالفشل أصبح عندك مهارة.. إنك تجمعي كل معاني الفشل قدام عينيكي من ساعة ما كنتي صغيرة، وتبتدي تقتنعي إنك فاشلة، في حين إن مَواطن النجاح أكتر بكتير،

وكمان الشعور بجلد الذات ما هو إلا إنك بتجمعي كل المعاني والأفكار اللي ليها علاقة بتصرفات إنتي غلطتي فيها، وتبتدي تقتنعي إنك مابتعمليش حاجة صح، في حين إن المواقف اللي أحسنتي فيها التصرف أكتر بكتير...

وأهم واحد الشعور بالنكد والحزن.. وبالتالي إنتي تقدري تتحكمي في إنك توقفي إحساسك بالألم، بس لو أخدتي القرار واشتغلتي على نفسك...

المهم نكمل...

وإنتي في مرحلة الحاضر، تبتدي عشان تريحي قلبك تدوّريله على سيناريوهات انتقام..

ووالدتك تقول وهي بتدعي: إلهي لا يكسب ولا يربح.. يِنْشَكّ في معاميعه البعيد..

طب معلش لما ينشك حقك هيرجع إزاي وإنتي لسه مكانك بالمناسبة؟ مفيش أي جديد غير إنه جاله دبوس في معاميعه!

خلاص بلاش ينشك...

يموت محروق

يسقط عليه نيزك

أمه هتموت مشلولة

هيحلبوه مع جاموسة هبلة

هحرمه من العيال...

وبعدين أيام عمرك اللي بتروح هدر دي نظامها إيه؟!

- الإجابة.. بسم اللـه الرحمن الرحيم.. (وإنتي بتميلي على الميكروفون ومبتسمة ببلاهة)

كنت مستنية أنتقم

- آه عشان إيه؟

- عشان هو وحش وظلمني.

- طب حلو.. هو وحش وربنا خلصك منه.

- بس خسرت كتير والمجتمع مش هيقبلني.

- عشان المجتمع عبارة عن ناس عاشت وماتت وهما شايفين اللي قبلهم بيعملوا حاجة، فقلدوهم وعملو زيهم.. خليكي إنتي أول نموذج يكسر الموروث.

- ماعنديش طاقة.

- معلش العربية المصدية لو بديتي تشغليها هيبقى صعب لو اشتغلتي عليها هتِجري، أوعدك.

- وأتعب ليه؟ إديني فرصة أرجع أعدل الماضي.

- عاوزة تغيري الماضي؟! غيري الحاضر.. لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع.

- إنتي مابتفهميش؟! بقولّك الواقع مش عاجبني.

- خلاص غيريه.. غيري نفسك.

- إزاي؟!

- غيري خريطتك الذهنية.. إنك مش قدام حيطة سد، وإن فقدان الزوج مش نهاية العالم ولا الجواز هو الهدف الأسمى...

أجيبلك دليل؟

من كام سنة كنت هموت على عربية لونها سيلفر.. قايمة نايمة بحلم وأنا بفحط بيها في الشوارع.. إوعى..

وبعدين؟

ولا حاجة.. جبتها وزهقت منها…

عارفين المثال دا زي إيه؟

زي الناس اللي بتتجوز وربنا يخلي حياتهم تمام وزي الفل.. عارفين بيحسوا بإيه؟

بيحسوا بملل.. وتلاقيها بتقول كل شوية: أنا مش لاقية نفسي، أنا زهقت من عيشتي.

وإحنا بنتخيل إنهم خايفين من الحسد أو بيأفوروا أو مابيحمدوش ربنا…

أضربلك مثال جميل جدا…

الممثلين الأجانب كتير منهم بيجروا يجروا ويبقى عندهم الشهرة والفلوس ومش ناقصهم حاجة حرفيا، ونلاقيهم فجأة انتحروا…

لأنهم لما بيحققوا كل اللي تخيلوه غاية، مابيلاقوش برضه السعادة وبيزهقوا… فبيفقدوا رغبتهم في الحياة…

ومن أمثلتهم روبن ويليامز…

أما جيم كاري، الممثل الأمريكي الكوميدي المشهور، قال مقولة العالم كله تعجب ليها..

قال إيه بقى؟!

قال:

I hope every body could get rich and famous and will have everything they have ever dreamed of …so they will know that it is not the answer…

ترجمة كلامه:

بيقول أنا بتمني كل واحد يبقى مشهور وغني ويحقق كل حاجة حلم بيها، عشان في الآخر هيعرفوا إن مش دي الإجابة…

لأن guess what..

الهدف اللي سعى له مش هو دا الغاية العليا... زي بالظبط إحنا كدا لما بنسعى للجواز والزوج وهو برضه مش الغاية العليا...

أومال إيه الغاية العليا؟!

قلتلكم قبل كدا نسيب بصمتنا على الأرض...

خليني معاكي إنك أخدتي الفرصة ترجعي واحدة ماتجوّزتش...

هديكي اختيارين...

مطلقة أو أرملة أو متأخرة في الجواز، بس ست ناجحة ومبهرة بمعنى الكلمة...

بنت لم يسبق لها الزواج بس عادية...

مين هيلفت الانتباه أكتر؟!

كام واحدة من صاحباتك حكتلك إن جوزها انبهر بزميلته في الشغل ودايما يقول واو..

مش هي حلوة وقمراية وتمام ومتجوزة أهي، وهو اللي اختارها واتجوزها، وهي ماسبقلهاش الجواز...

بس بيبص على زميلته القوية المبهرة مهما كان وضعها الاجتماعي...

لأن الست القوية جذابة.. اللي بتجمع بين قمة قوة الشخصية وقمة الضعف الأنثوي أمام من يستحق...

أديكي مثال؟

السيدة خديجة رضي اللـه عنها كانت متزوجة مرتين قبل النبي محمد.. وكان منبهر بيها...

ورغم إن فرق السن كبير..

ورغم إنها مش بكر.. إلا أنه عاش ومات مبهور بيها وماتجوزش عليها

وقال: واللـه ما أبدلني اللـه خيرا منها...

لأنها ببساطة... ست... ناجحة ومبهرة.

عاوزة تغيري الماضي، اشتغلي على خريطتك الذهنية إنك فعلا ماخسرتيش..

وقرري تسلكي طريق التميز...

- بس أنا فاقدة ثقتي في نفسي..

- عارفة ليه؟!

لأنك مكسلة ومابتعمليش اللي عليكي، وعارفة من جواكي إيه اللي لازم يتعمل ومابتعمليهوش.. بتدوري على الأسهل..

وبعدين لحظة...

إنتم عارفين أصلا يعني إيه كلمة مطلقة؟

دي فخر وربنا، دي معناها إنك انطلقتي، كنتي محبوسة واتفك سجنك، دا المفروض تزغرطي...

4. طيب والمستقبل؟!

لأ دا سواد السواد بقى...

هو هيتجوز ويعيش حياته، وإنتي ماحدش هيرضى بيكي لأنك مطلقة..

ومش هتعرفي تبتدي مع حد تاني لأنك مش هتلاقي، ولو لقيتي إنتي اتعقدتي...

أقولك الأنقح؟

ولادك هيروحوله بعد ما تتعبي فيهم وتربيهم...

والواد الصغير ناوي يحط السيخ المحمي في صرصور ودنك، وهتموتي لوحدك في الشقة ماحدش هيدرى بيكي...

أقولك من الآخر؟ روحي موتي خميس وجمعة وتعالي...

وحطي على نفسك صبارة ولازم تدخلي بالتتر..

التتر المناسب للموقف دا أغنية أيها الراقدون تحت التراب هههههههه

تعالي هنا بس أما أقولّك...

راجعي الكلام السلبي اللي فوق دا وبصيله بجد من بعيد... باللـه عليكي حاسّاه منطقي؟!

- آه عادي وبيحصل على فكرة...

- آه حصل كل قد إيه؟ وحصل كله كدا مع بعض يعني؟!

وبعدين معلش ثواني...

والدي ربنا يبارك في عمره دايما يقوللي: يا بنتي ربي ولادك بإخلاص، وتأكدي إن الطفل استحالة ينسى اللي رسم معاه تاريخ حياته...

- معلش فيه عيال راحوا لأبوهم...

- حلو.. بركة يا جامع... من الأول كدا إوعي تخليهم الغاية العليا...

وإوعي كلام الناس زي «ربنا يجعل عوضك في ولادك» يأثر فيكي...

ويكأنهم عاوزين يخلّولك محور جديد على مزاجهم...

لأ معلش مفيش أي محور في حياتي غير اللـه ثم هدفي الأسمى...

وولادي تربيتي ليهم طاعة هعملها على أكمل وجه.. وهحب أشوفهم أحسن ناس...

من غير ما أعمل حاجة غصب عني ولا أظلمهم.. وسبق وشرحتلكم النقطة دي في مشكلة الأولاد...

أما موضوع إنه هيتجوز أو بيتجوز... معلش لحظة هضربلكم مثال...

هنفترض إنك اشتريتي فستان.. روحتي البيت جيتي تلبسيه لقيتيه ضيق، أو مخلي شكلك وحش قوي..

كل ما تلبسيه إنتي مش مرتاحة والناس بتعيب عليكي...

قررتي إنك تستغني عنه.. تديه لحد محتاج أو بنت خالتك أو أيا من كان...

ولقيتيها لابساه وشكله حلو عليها...

أو شكله وحش...

هيفرق معاكي؟!

- معلش جوزي مش زي الفستان!

- أنا بحاول أقربلك الصورة عشان تفهمي إنه حاجة غير مناسبة ليكي، حتى لو كانت مناسبة لغيرك أو لأ، لكن اللي يهمني إنها ماتناسبكيش...

الناس اللي بتنهار يوم جواز طليقها...

بتعيطي ليه بجد؟

لو كان ظلمك يبقى عادي يعني مش قصتي، واحد ظلمني وراح يظلم واحدة تانية.

- لأ معلش ما هو دمر حياتي وراح شاف حياته.

- مبدئيا لازم تفهمي إنه لو ظلمك فعلا يبقى استحالة ربنا هيسيبه..

ثانيا مين قالك إنه شاف حياته؟ خلينا نفترض إنه شاف، ما تشوفي إنتي كمان... مش فاهماكي يعني.

- لأ معلش ما أنا ماحدش هيرضى بيا.

- ارحميني، إذا كان إنتي مش راضية بنفسك، عاوزة حد يرضى بيها إزاي وإنتي بالوضع دا؟! هنلف نلف ونرجع لنفس النقطة

الحل طريق واحد... إنك تنجحي

فلما تنجحي وترضي عن نفسك هتلاقي كل مشاكلك اتحلت...

قاطعتني مدام نجلاء منصور قائلة:

- نفهم من كدا إنك مش هتسمحيلنا نرجع بالزمن إلا عشان نستفيد من الأخطاء بس ونستعملها لتحسين الحاضر؟

قلت:

- مش بالظبط يا مدام نجلاء... أنا بس عاوزاكم تفهموا إن...

قاطعتنا هيام فجأة وقالت بعصبية:

- أنا مش مقتنعة.. من فضلك يا دكتورة سيبيني أرجع أغير الماضي، ليه مش عاوزة تديني الفرصة؟

نظرت إليها مباشرة نظرة ذات مغزى، وقلت بعدما اتجهت نحوها:

- براحتك يا مدام هيام...

وأدرت نظري إليهم جميعا:

- حد حابب يروح مع مدام هيام؟

سكت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير...

قلت بابتسامة يملؤها الغموض:

- واضح إنك ماسمعتيش الكلام اللي قلته كويس.. لكن ما علينا... هسمحلك تعملي اللي إنتي عاوزاه... وهنستنى نشوف النتيجة... أتمنى نشوف هيام جديدة...

قالت بصوت طفولي:

- أنا بشكرك بجد.

نظرت إليهم قائلة:

- حد يا جماعة عنده رأي تاني؟!

قوبل سؤالي بالصمت من الجميع...

قلت:

- تمام يبقى هننفذ اللي قلناه....

وبعد رحلة مدام هيام، هنقرر هنعمل زيها ولا أكمل كلامي..

اتفضلوا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خبطت على مكتبي بعصبية وقلت وأنا أنظر لندى:

- مش ممكن، مش عاوزين يتغيروا، أنا تعبت يا ندى بجد.

قالت ندى في محاولة منها أن تهدئ من غضبي:

- معلش، اهدي يا دكتورة مها، بإذن اللـه كل حاجة هتبقى تمام...

- اطلبيلي محمود بسرعة من فضلك.

- صباح الخير يا محمود.. طمني إيه أخبار دكتورة دولت؟

- .....

- ياه، الحمد للـه خرجت واتصالحتم؟ فرحتني واللـه.

- .....

طيب أرجوك عاوزاك في موضوع مهم جدا... لازم تعدي عليا في الجمعية النهارده... هستناك الساعة ٦ مساء كدا.

جاء محمود، وبعد أن تحدثنا وحكيت له كل ما حدث...

قال وهو مقطب لجبينه...

- نبتدي إزاي؟

سألته:

- آلة الزمن فين؟!

- في شقتي في مصر الجديدة...

- طب يزعجك لو ابتدينا؟!

قال بسرعة:

- إطلاقا يا دكتورة.

- طيب تمام، هحدد معاك معاد وهنبتدي بمدام هيام زي ما فهّمتك.

- مفيش مانع.

وبعدها...

حضنتني هيام بقوة ثم قالت:

- مش عاوزاكي تكوني زعلانة مني...

- أبدا يا هيام، أنا يهمني تكوني سعيدة...

قالت:

- مش هنساكي طول عمري.

ابتسمت بخبث:

- أنا متاكدة إنك مش هتنسيني...

لم تفهم معنى ابتسامتي.

دخلت الآله وأغلقنا الباب، وأخذ محمود يضغط على مجموعة من الأزرار...

وفجأة...

اختفت هيام..

والتفت إليّ محمود قائلا:

- تمت العملية بنجاح يا دكتورة...

ابتسمت وأنا أقول:

- إلى لقاء قريب يا هيام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طرقت مدام نجلاء باب المكتب طرقات خفيفة...

قلت:

- اتفضل.

دخلت وقالت وهي تحاول ألا تضع عينيها في عيني:

- وبعدين يا دكتورة مها، هيام مارجعتش بقالها أسبوع...
أنا قلقانه عليها... والناس في الجمعية بدأوا يتكلموا.
قلت وأنا أنظر للأوراق أمامي:
- هترجع يا نجلاء.
قالت بدهشة:
- أنا مستغربة ثقتك دي.
دخلت ملك إلى غرفة المكتب دون استئذان وقالت بأنفاس متلاحقة:
- دكتورة مها، مدام هيام برة..
جحظت عينا نجلاء.. أشرت إليها أن تفسح الطريق، وخطوت بثقة نحو الخارج.
حينما رأيتها دار في رأسي الحوار التالي:
- يا لهوي شكلها عامل زي سلطان في مسرحية العيال كبرت، لما كان راجع ولابس واحدة ست وبيقول مش دا منزل رمضان السكري...
نظرت إليها وأنا أحاول أن أكتم ضحكاتي:
- إزي الحال يا هيام؟
انخرطت في بكاء شديد...
نظرت إلى نجلاء التي كانت تقف بذهول لا تحرك ساكنا وقلت:
- من فضلك يا مدام نجلاء، نظميلنا اجتماع عاجل بكرة.
هزت رأسها دون أن تنطق بكلمة واحدة.
وفي اليوم التالي...
وقفت هيام إلى جواري، وحرص كل أفراد الجمعية على الحضور، والبعض أحضر أقاربه من غير المنضمين لمشاهدة هذا الحدث التاريخي...
بدأت كلامي:
- أنا ماسمعتش هيام، وقلت تحكيلنا اللي حصل كلنا مع بعض...
تنهدت هيام في حزن ثم قالت:
- أنا قررت لما أرجع بالزمن إني ماتجوزش ابن عمتي اللي دمر حياتي...

ولكن لقيت نفسي بختاره تاني لأني بحبه، وقلتله امضيلي على ضمانات عشان أأمّن مستقبلي...

وفعلا مضالي، ولما قرر يسافر هددته إني هقدم الورق اللي معايا للنيابة وهمنعه...

نجلاء باهتمام:

- وبعدين.

هيام بحزن:

- ولا حاجة، هو معايا دلوقت بس سايبني وقاعد على القهوة طول النهار ومابشوفوش، واكتشفت إنه متجوز من ورايا أخت صاحبه الأجنبي في السر.

ربتّ على كتفها بحنان وقلت:

- من فضلك اقعدي يا هيام.

ووجهت كلامي للحاضرين:

- اسمحولي قبل ما أكمل كلامي اللي كنت هقوله المرة اللي فاتت، أعلق على اللي حصل لهيام...

هي ببساطة راحت تغير الماضي بس ماعرفتش، عارفين ليه؟

لأن اختياراتها ماتغيرتش...

ليه؟

عشان شخصيتها وخريطتها الذهنية وأولياتها ماتغيرتش...

وكل اللي حصل إن ممكن تكون أحداث اتغيرت لكن النتيجة واحدة...

الماضي لازم يكون موجود وزي ما هو بالظبط.. لأن المشكلة مش في الماضي، المشكلة فيكي إنتي وفي خريطتك الذهنية اللي لازم تتغير..

عشان اختياراتك تتغير..

وشخصيتك تتغير..

وأولوياتك تتغير..

تقوم الدنيا تتغير، ودا تفسير الآية اللي كل شوية أقولها «إن اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

واللـه ثم واللـه، لو غيرتي الماضي ألف مرة وإنتي لسه بنفس التفكير هتوصلي لنفس النتيجة، ألبرت أينشتاين بيقول:

قمة الغباء أن تكرر نفس الشيء وتتبع نفس الخطوات وتنتظر نتائج مختلفة.

قالت نجلاء فجأة:

- خلاص نغير شخصياتنا وبعدين نرجع نغير الماضي.

- للأسف ماينفعش يا نجلاء، إنتي عاوزة تعكسي أحداث ودا عمره ما هيحصل... يوم ما تقرري تتغيري دا هيكون عشان إنتي فهمتي بعد

ما اتعلمتي، وكان لازم يحصل الماضي عشان إنتي تغيري الحاضر...

تأكدي دايما إن كل قرار غلط أخدتيه في الماضي، هو بداية لقرار صح هتاخديه في المستقبل...

عشان نلخص الكلام اللي قلناه:

سر الخروج من الأزمة إنك تشتغلي بكل طاقتك في الحاضر...

تبصي وراكي بس عشان تستفيدي من أخطائك.. عادي نغلط ونتعلم ونغلط ونتعلم..

ربنا خلقنا عشان كدا...

وبالتالي لما هنظبط حاضرنا ونستفيد من ماضينا، أوعدك إنك هتلاقي مستقبل مشرق إن شاء اللـه... عاوزاكم تعرفوا حاجة مهمة...

في سباق الحياة.... عشان تحسي بالإنجاز لازم تحطي لحياتك هدف محدد وواضح.. وإنتي بتجري ناحية هدفك إوعي تعملي حاجتين.

تبصي وراكي...

إلا في حالة واحدة بس، إنك تتعلمي من اللي فات، وتفتكري إن كل حاجة وحشة عديتي بيها كان ليها الفضل في كل حاجة حلوة وصلتيلها، أو هتوصليلها بعدين...

تبصي جنبك تشوفي اللي حواليكي وصلوا فين..

(زي طليقك وغيره) دايما خليكي في نفسك

لو عملتي الحاجتين دول هتتكعبلي

وعمرك ما هتوصلي

مثال هيام يا جماعة مثال حي لكل واحدة مصممة تبص وراها، ومفكرة الحل في الماضي، وتقعد تحكي في المحكي وتهري في المهري..

واحدة مصممة ترجع لتجربة فاشلة مرة واتنين وتلاتة...

أو واحدة مصممة تمشي بنفس التكنيك وطريقة التفكير اللي كانت ماشية بيه والدنيا باظت...

اللي حابب يركب آلة الزمن يستفيد من أخطاؤه، يبلغ مدام نجلاء وندى عشان نسجل الأسماء ونحدد المواعيد...

شكرا...

قالت وهي تطالع الأوراق التي في يديها بتركيز:

- خلاص كدا تمام يا دكتور مها، كل الأعضاء تقريبا سجلوا أسماءهم معايا، وفي انتظار تحديد المواعيد...

قلت:

- هايل يا ندى.. ابعتي لكل اللي سجلوا أسماءهم على الواتس وقوليلهم إن فيه اجتماع بكرة ولازم يحضروه...

- الساعة كام؟

- خليه الساعة ١٢ الضهر كدا.. أنا مش هطول في الاجتماع لكن عاوزة أوضحلهم شوية أمور عشان رحلتهم تكون بفايدة...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن أبدى الجميع حماسهم للرحلة بدأت كلامي...

قبل أي شيء أحب أحييكم على اتخاذ قرار إنكم تسافروا الماضي عشان تحددوا الأخطاء، ودا الحقيقة مؤشر كويس جدا، لأنه اعتراف ضمني إنكم مقتنعين إن لازم يكون فيه أخطاء من طرفكم...

ودا أكدلي إنكم بدأتم تمسكوا أول الخيط في رغبتكم في تحسين الحاضر وفهمتوا إنه ماينفعش الصعبانيات.. مش بتجيب نتيجة..

الحل إنك تتحملي جزء من مسؤولية اللي حصل، وتشتغلي على نفسك عشان تعملي نسخة جديدة منك يكون عندها حاضر ومستقبل مختلفين عن الماضي..

اسمحولي أوصيكم شوية وصايا تحطوها في بالكم وإنتم في رحلتكم، عشان تقدروا توصلوا لحلول...

أولا:

لازم كل فرد فيكم ينوي قبل الرحلة إنه يكون صريح مع نفسه..

مايكونش عنده أي مكابرة لأن دا مش من مصلحتنا..

كل غلطة عملتيها واعترفتي فعلا بيها هتخليكي تخطي خطوة لقدام ناحية النسخة الجديدة منك..

ثانيا:

لما تعيدوا كل المواقف تاني أرجوكم ماتعيشوهاش بنفس الطريقة، وإلا الرحلة مش هيكون ليها أي لازمة.

قالت مدام سالي عبد الواحد:

- يا ريت توضحي أكتر يا دكتورة.

- اللي أقصده إنك هتعيشي المواقف كإنك بتتفرجي على نفسك من خلال شاشة سينما.. وبالتالي هيكون حكمك على كل المواقف بمنتهى الحيادية.

هفهّمكم أكتر من خلال المثال الجاي دا:

لما بتحصل مشكلة بين اتنين في الشارع، والناس كلها تسمع صوت الزعيق ويطلعوا يبصوا على الموقف من البلكونة..

ساعتها بيكون فيه طرفين المشكلة..

والشخص اللي بيتفرج من بعيد..

الاتنين اللي جوة المشكلة دايما كل واحد فيهم بيحكم من الوضع بتاعه، وانحيازه لموقفه، والزاوية اللي شايف منها وجهة نظره..

الشخص اللي بيتفرج بيكون ماعندوش أي مشاعر ولا تحيز لأي طرف، وبالتالي بيكون قادر على فهم الموقف بشكل أعمق، خاصة لو مالوش علاقة بالطرفين...

أرجوكي اتفرجي على الماضي كأنه فيلم إنتي مش البطلة بتاعته.. حيّدي مشاعرك تماما...

لما بنشوف فيلم ونتعلق بالبطل لازم بنبني أحكام من خلال زاوية البطل، اعتبري إنك بتتفرجي على واحدة تانية إنتي ماتعرفيهاش واحكمي عليها...

قالت مدام مروة (إحدى عضوات الجمعية):

- إحنا المفروض نرجع من أول أنهي مرحلة؟ من وأنا طفلة مثلا؟

قلت:

- سؤال ممتاز يا مدام مروة.. إحنا هنوصل عند الوقت اللي من بدايته أصبح عندي القدرة إني آخد قرارات تخص حياتي، بداية مثلا من موقف دخول الكلية...

قالت مدام هاجر:

- بس أنا حتى الوقت دا ماكنتش عارفة آخد قرار، فيه حاجات كتير أهلي غصبوني عليها...

سألتها:

- ودلوقتي دا اتغير؟!

- للأسف لأ... لسه بيتحكموا في حاجات كتير!

- ممتاز.. يعني دا وضع غلط وما زال قائم وماتغيرش.. وبالمناسبة مش دا الطبيعي، المفروض والطبيعي إنك بتقدري تاخدي قرارات وعندك القناعات الكافية اللي تخليكي تقدري تقنعي بيها اللي حواليكي.. كون إنك ماعرفتيش تعملي ده، وبالتالي معرفتيش تديري حياتك بالشكل المناسب ليكي (بعد أخذ مشورتهم فقط مش أوامرهم) يبقي هنا حصل غلط هتحطيه في سلة الغلطات، ولما ترجعي هندور إيه الأسباب اللي أدت لكدا ونعالجها إن شاء اللـه.

- ماشي، بس الوقت اللي حضرتك بتقولي عليه دا إحنا كنا صغيرين أوي؛ مش عارفين ناخد قرار أو نفرضه على اللي حوالينا...

قلت بابتسامة:

- صغيرة من وجهة نظرك ولا من وجهة نظرهم؟ معلش بتفرق.. لأن الصغير والكبير مش بالسن، بنشوف كتير ناس كبيرة جدا ودماغهم صغيرة جدا جدا...

يبقى مفيش حاجة اسمها صغير وكبير، فيه حاجة اسمها حد اشتغل على نفسه وحد لاء...

كون إنك كنتي فعلا مش شايفة نفسك أهل لاتخاذ قرار، فدا يا إما انعدام ثقة وكان لازم تصلحي قناعاتك تجاه نفسك، يا إما إنتي فعلا مش أهل لدا، وبرضه غلط، لازم تشتغلي على نفسك ولازم تصلحيها.. كون إنك سبتي اللي حواليكي يديروا حياتك في قرارت مصيرية إدارة كاملة، وتعملي حاجات تخالف قناعاتك اللي مع الدين يبقى دا غلط، وهتحطيه في سلة الغلطات.

ثم التفتُّ إلى الحاضرين...

- اسمحولي هكمل الوصايا:

ثالثا:

إوعي وإنتي بتشوفي أخطائك تستخدمي نظرية الشماعات (إلقاء اللوم)

زي مثلا:

هما السبب

هما اللي قالولي

هما اللي جبروني

الظروف كانت أقوى مني

وشوية تشغلي مهرجان أصحاب مريضة.. وعقول عبيطة، وناس كتير بتهيص في الزيطة.. ناس مش سالكة.. مالهمش مَلْكة...

اطلعي من دور العبلة كامل دا... من الآخرالنظرية دي مابتأكّلش عيش خالص.. وهيعملوها شوية ناس في الآخرة لما هيقولوا يا رب كنا بنطيع ساداتنا... وبرضه هيخشوا النار... معلش أصلها مش مبررات.. إوعي تخشي في دور ليه يا زمن ماسبتناش أبريا..

رابعا:

إوعي ترجعيلي من الرحلة وإنتي بتبكي على اللبن المسكوب، وتقولي كلمات زي:

يا ريت

لو

ماتقوليش كدا...

هترجعي وإنتي بتقولي مش هكرر غلطتي تاني إن شاء اللـه، أخدت القرار..

خامسا:

إوعي ترجعي وإنتي بتجلدي ذاتك وتحمليها فوق طاقتها..

إحنا ربنا خلقنا نغلط ونتعلم ونغلط تاني ونتوب...

لو بنبص على غلطاتنا عشان نجلد ذاتنا ونكره نفسنا يبقى إيه لازمتها؟

إحنا راجعين عشان نحب نفسنا أكتر ونحس قد إيه اتعلمنا وفهمنا...

بتمنى التوفيق ليكم جميعا.. كل واحدة لما هترجع من الرحلة هتجيب معاها سلة الغلطات...

من فضلك يا ندى صوّريلنا الورقة دي عشان هنديهالهم قبل رحلتهم للماضي...

** الورقة التي أعطتها مها للعضوات قبل رحلتهم إلى الماضي**

حتى تنجح رحلتك إلى الماضي رجاء قومي بتنفيذ التعليمات التالية:

1. الصراحة مع النفس.

2. حيدي مشاعرك في أثناء مراجعة المواقف، واحكمي بعين المراقب وليس بعين أي من أطراف المشكلة.

3. إياكِ واستخدام نظرية الشماعات (إلقاء اللوم على الآخرين وتحميلهم سبب جميع الأخطاء).

4. لا تعودي من رحلتك بكلمتين ألا وهما لو... ويا ليت... أو ما شابههما.

5. لا تجلدي ذاتك أو تحمّلي نفسك فوق طاقتها.

كانت أول من ستقوم برحلتها إلى الماضي.. مدام نجلاء

وقفت أنا ومدام نجلاء أمام آلة الزمن في شقة الباشمهندس محمود...

وجّه كلامه لنجلاء قائلا:

- حضرتك هتبلغيني بالوقت اللي عاوزة ترجعي عنده، وهتندمجي في الأحداث لحد يومنا الحالي... أو يا إما هتختاري زمن محدد هنقف عنده وترجعي مباشرة بعدها لزماننا الحالي..

طبعا تتابع الأحداث هيكون سريع، لكن إنتي مش هتحسي بدا.

نظرت إليّ نجلاء بقلق:

- مش هتيجي معايا؟

- ماينفعش يا نوجا، دي خصوصياتك وإنتي اللي لازم تحكمي وتفكري، ماينفعش أنا اللي أحكم، ولما ترجعي احكيلنا اللي عاوزة تحكيه...

- تمام يا باشمهندس محمود... أنا عاوزة أرجع للوقت اللي كنت بختار فيه طليقي.. وهرجع للحاضر تاني.. يكفيني الموقف دا.

أشار نحو الآلة:

- اتفضلي... الكلام دا يوم إيه سنة كام؟

وبعدما أجابته نجلاء دخلت الآلة، وضغط على الأزرار، وأغلق الباب، واختفت نجلاء...

وجدت نجلاء نفسها في شقة والديها، كانت والدتها جالسه تبكي بجوارها، أما والدها فكان يسير في الغرفة بتوتر ذهابا وإيابا، ويبدو عليه الانفعال...

- أنا مش مرتاحة للشاب دا نهائيا يا نجلاء يا بنتي، عيوبه واضحة أوي، زي البخل، وتصرفاته وانفعالاته مش مريحاني للجوازة دي.. أرجوكي اسمعي كلامي وامشي ورا إحساس قلب الأم اللي مابيخيبش...

- يا ماما أرجوكي أنا وعزت متفاهمين وبنحب بعض، وهو قاللي إن نرفزته وعصبيته دي بس بسبب التوتر اللي قبل الجواز، وبعدين يا ماما الحركات اللي إنتي مفسراها بخل أنا مش شايفاها كدا خالص، هو إكمنه بس مطحون عشان توضيبات الجواز... وبعدين كل حاجة هتتغير بعد الجواز، هو وعدني بكدا...

قالت والدة نجلاء بدهشة:

- إنتي شايفة إنه يسيبني أدفع تمن العصير اللي شربناه وإحنا في الخروجة، وأدفع كمان تذكرة دخول النادي اللي دخلناه كل دا مش بخل؟! وبعدين مش قادرة أفهم إزاي متخيلة إنه هيتغير!

- ماما لو سمحتي.. أنا مقتنعة باللي بعمله ومنيش صغيرة، ولازم أخد فرصتي عشان أختار.

- أنا عاوزة أقولّك كلمة تحطيها حلقة في ودنك... مفيش حد بيتغير، بالعكس هو بيظهر دلوقتي أحلى ما عنده، واضربي في عشرة بعد كدا، الطبع بيغلب التطبع يا نجلاء.. وبعد الجواز العيوب الحقيقية بتبتدي تظهر...

- اسكتي يا نادية، مفيش فايدة من الكلام مع بنتك.. إحنا عملنا اللي علينا ونصحناها وهي حرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجدت نجلاء تقف أمامي في شقة محمود وهي تبكي، وحكت لنا تفصيليا كل ما حدث وأردفت قائلة:

- أنا خلاص عرفت أنا غلطت في إيه...

.....

كانت التالية مدام هاجر، وبعدما استمعت إلى التعليمات اختارت أن تعود إلى الموقف الذي يسبق طلاقها مباشرة...

- الحقيني يا ماما.. هشام ضربني علقة موت ورماني برة الشقة.. وأنا دلوقتي عند جارتي وفاء بكلمك من تليفونها.

- حسبي اللـه ونعم الوكيل فيه، أنا هطلب أحمد أخوكي ومسافة السكة هنكون عندك...

ثم...

- عيب عليك يا هشام، مايصحش كدا يا ابني.. ترضى حد يعمل كدا في أختك؟

- أختي متربية، بنتكم قليلة الأدب يا طنط.

- مش عيب لما تكلم واحدة قد والدتك بالطريقة دي.

قال أحمد أخو هاجر بانفعال:

- أقسم باللـه لآخد أختي وأنزل أعمل فيك محضر أوديك في ستين داهية... أنا همسك أعصابي من إني أديك علقة عشان هاخد حقي بالقانون.

نظر إليه هشام بتحد، وقال وهو يشير باتجاه هاجر:

- خدها شوفها هترضى كدا تروح معاك؟ بس تعتبر نفسها طالق.

قالت والدة هاجر بانكسار:

- ومين بس يا ابني اللي جاب سيرة الطلاق؟!

وفي هذه اللحظة انفعل أحمد موجها كلامه لهاجر:

- إنتي هتقومي تروحي القسم، ولا أسيبك وأمشي ومش هتشوفي وشي تاني؟

لم تجب وأطرقت رأسها، وقالت وهي تبكي:

- أنا خايفة من الطلاق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجدت هاجر تقف أمامي، وبعدما حكت تفصيليا كل ما حدث أخذت تردد:

- الحمد للـه الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وجاء دور مدام رشا، التي استمعت الي التعليمات بدقة، واختارت الموقف بعد ولادة ابنها آسر بثلاث سنوات...

- وآخرتها يا رشا! أنا كل ما بزورك كل فترة بتخَضّ عليكي، إنتي استحاله تكوني صاحبتي اللي أعرفها، إنتي اتحولتي لواحدة تانية كئيبة.. فين أيام الجامعة ورشا اللي كانت زي الفراشة!

- هعمل إيه يا آيات؟! أنا اتدبست وخلفت آسر، ولازم يتربى وسط أبوه وأمه.

ثم قالت بمنتهى الحزن:

- واللي إنتي ماتعرفيهوش إني حامل.

- بتهزري! يا رشا حرام عليكي، إيه بس اللي خلاكي تحملي وإنتي في الظروف دي؟! يا بنتي ما إحنا كلنا عارفين إن جوازتك فاشلة، وكدا كدا هتتطلقي.. إنتي وجوزك مفيش بينكم اتفاق في أي حاجة.

- أنا قلت لما هجيب الطفل التاني هيعقل، وبعدين أنا الطلاق مش مطروح في بالي أصلا.

- أنا بجد مستغرباكي بعد كل اللي بيحصل معاكي دا، والطلاق مش مطروح.

- أنا هكمل عشان ولادي...

- لأ يا رشا، إنتي مش صريحة مع نفسك، إنتي هتكملي عشان إنتي عاوزة تكملي.

وبعدها مباشرة..

قال آسر:

- ماما أنا دلقت ميه في أرض...

قالت رشا بانفعال شديد لا يتناسب مع الموقف:

- حرام عليك بقى!

ثم ضربت الولد بشدة...

انفعلت آيات وأخذت حقيبتها، وقالت وهي تهم بالانصراف

- شوفيلي حجة تانية غير إنك مكملة عشان ولادك، لأنك محملة نفسيا بشكل غير طبيعي، لدرجة إنك مش قادرة تحتوي إبنك اللي عنده ٣ سنين... راجعي حساباتك يا رشا... سلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت رشا من رحلة الماضي، وحكت كل ما حدث مثلما فعلت هاجر، ومن قبلها نجلاء.

أما مدام نيفين، فاختارت فترة ما بعد زواجها بعشر سنوات... وبالتحديد يوم طلاقها.

- آه يا ماما أنا سايقة أهو العربية ورايحة أجيب ليّنة ومروان من التمرين، وبعدها هنروح البيت نتغدى، وبعدين هوديهم الدروس بتاعتهم ونرجع نذاكر وننام..

- حرام عليكي يا نيفين، أنا مابشوفكيش يا بنتي وخايفة عليكي من الضغط دا..

قالت بعصبية:

- هعمل إيه يعني يا ماما قوليلي يعني.. من فضلك يا ماما مع السلامة.. أنا عرفت مصيبة وعفاريت الدنيا بتنطط في وشي.

- إنتي بقيتي عصبية كدا على طول... مصيبة إيه يا بنتي كفى اللـه الشر..

- مش قادرة ولا عاوزة اتكلم.. سيبيني يا ماما أرجوكي.

- ربنا يهديلك الحال يا بنتي... مع السلامة.

وبعد عودة زوجها عمرو من العمل...

- مالك يا حبيبتي مكشرة كدا ليه...

قالت بانفعال شديد جدا:

- طبعا هو إنت دريان بيه ولا حاسس بأي حاجة! حرام عليك يا شيخ ارحمني يرحمك ربنا.

- وطي صوتك يا نيفين وخلي أسلوبنا في الحوار حضاري أكتر من كدا.

- لأ هعلي وهعلي، لأني قرفت منك ومن عيالك ومن ضغطك عليّ.. وفي الآخر أكتشف إنك متجوز عليا.

- هنتكلم وقت تاني لأني راجع من الشغل تعبان، وطالما عرفتي حوار جوازي لازم أوضحلك الصورة، وإنتي مش هتستوعبي ولا كلمة وإنتي بالانفعال دا.

- يا برودك يا شيخ، لا هنتكلم وقت تاني ولا تالت، أنا زهقت وقرفت من كتر الضغط والهم اللي أنا فيه، وفي الآخر تطلع شايف حياتك وبتتجوز.. كنت بفصّيلك الطريق عشان تشوف حالك.

- وهو حد كان ضغط عليكي وطلب منك تعملي؟!

- لا واللـه يعني، دي جزاتي؟ طلعت في الآخر غلطانة؟ بس لازم تفهم إنك انت اللي مابتحسش.

- إلزمي حدودك يا نيفين.

- مش هلزم وطلقني يا عمرو.

- إنتي طالق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توالت رحلات العضوات الواحدة تلو الأخرى.

وبعد أسبوعين...

قلت وأنا أتحدث بهاتفي المحمول:

- الحمد للـه يا ريهام، العضوات رجعوا من رحلة السفر للماضي، وقعدت معاهم كلهم، والنهارده معاد الاجتماع.. لازم تيجي...

- هحاول يا مها، بس للأسف الدنيا ملخبطة عندي ومشغولة أوي اليومين دول.

- عموما شوفي يمكن تقدري تيجي.

وفي الجمعية...

أدرت نظري بين كل الحاضرين.. شعرت أن رائحة الأمل تفوح في المكان، فالجميع يشعرون بالارتياح إلى حد كبير..

- شايفاكم مبسوطين ما شاء اللـه!

قالت مدام نرمين:

- الحمد للـه، تقدري تقولي حطينا إيدينا على الجرح...

- اسمحولي أبتدي...

لاحظت بعد ما قعدت معاكم كلكم، إن الأسباب الرئيسية أو الغلطات اللي عملناها خلتنا وقعنا في مشاكل كانت:

التمحور

حوالين فكرة معينة أو أشخاص أو حتى هدف...

اللي هو أنا بربط حياتي كلها بالحاجة دي...

بوهب عمري وأعصابي وتفكيري...

بربط لدرجة بتوصل لحد العمى، بتخليني مش شايفة ولا سامعة أي حد حواليا...

وإيه الغلط في دا؟

إنه من غير زعل درب من دروب الغباء ...

لو قلنا مثلا إن واحدة صاحبتك ممحورة حياتها حوالين إنها عاوزة تسافر باريس...

وعمالة ليل نهار تعيط عشان هتموت وتروح السفرية دي..

مش هتحسي إنها حاجة غريبة جدا، ما تعيش حياتها عادي يعني لحد ما ربنا يكرمها وتسافر!

أهو لو ضربنا مثال بحوار الجواز، وقلتلكم إنه متعة من متع الحياة، وليس المتعة الوحيدة، وإنتي بتوقّفي حياتك عليه، فدا كدا غلط...

قالت مدام نوال:

- الجواز سكن يا دكتورة.

- حلو، وعادي المال والبنون زينة الحياة الدنيا، متع الدنيا كتير، لكن الفكرة إن المحور اللي اتحط في دماغك أيا كان لازم يتغير.

لأنك من وجهة نظري بتكوني قاعدة قايمة نايمة بتدوري وبتلفي في فلك المحور ده، وهو العمود الأساسي في حياتك، اللي لو اتهدم تتهدم حياتك كلها.. لو اختل أو اتحرك من مكانه تبقي هتتجنني ومش شايفة أي حاجة تانية غيره، وفعلا تفكيرك يتشل ويقف وتبقي مش قادرة تتصرفي...

الحاجة الوحيدة اللي لازم تكون محور حياتك هي علاقتك بربنا سبحانه وتعالى، ثم الغاية العليا...

فيما عدا ذلك.. إنسي..

أيا كان الاهتمام بتاعك ماتخليهوش محور، خليه مجرد عامود..

عشان لو وقع هتلاقي عندك ١٠٠ عامود تاني.. إنما المحور الرئيسي لو وقع، كله بيقع... التمحور حوالين شيء أيا كان، يشبه إلى حد كبير من وجهة نظري شعور الأسر...

لو جينا نضرب أمثله...

تعلق الأم بولادها

تعلق الزوجة بزوجها

تعلق الشخص بشغله

تعلق الإنسان بالفلوس

أي تعلق من أي نوع.

سوء الاختيار

سواء اختيار أشخاص... أو غيره...

ودا ناتج لأنك ماعندكيش الخبرة الكافية لاتخاذ القرارت.

قالت مدام سالي:

- بس إنتي قلتيلنا المرة اللي فاتت لازم ندير قرارتنا.

- مظبوط قلت، بس ماينفعش أكون عميا وأسوق تريللا بمقطورة..

وماينفعش برضه أسيب غيري يسوقها... يبقي أتعلم وآخد خبرة الأول وأشتغل على نفسي دايما... عشان أكسب ثقة اللي حواليا، وأعرف أهندل حياتي صح.

1. سوء إدارة الأمور

من الآخر يعني إنك مابتعرفيش تحسبيها صح... فبالتالي بتخسري أو بتخلي اللي حواليكي يخسروا.

2. الوقوف عند المشاكل

إني اتحطيت في موقف إني لازم أسوق المقطورة.

وأنا مابعرفش.. ولو غيري ساقها هيروح طريق غير طريقي اللي أنا عاوزاه، ومش عارفة آخد قرار إني أتعلم.. أقوم أقف أعيط جنبها!

المفروض أنزل منها وأتعلم السواقة، وأغلط مرة واتنين وتلاتة، وبعدين هتعلم تماما... إنما إحنا نلاقي في لحظات معينة دماغنا بتجبس وتتشل، وماعندناش إستراتيجية التفكير برة الصندوق، وبننغمس في التفكير في المصيبة وإني أنكد على نفسي...

ماعرفش ليه لاحظت إن فيه قطاع كتير من الستات، مش الكل طبعا، بس كتير مننا عندنا حتة الأقورة في النكد...

لا مش بس كدا ده، فن الاستمتاع بالنكد والانغماس فيه، ويصل الأمر أحيانا لمرحلة الاستمتاع المطلق بدور الضحية...

وتيجي الناس تقولك تعالي نشوف حل... أبدا سيبوني!

هنا بيحضرني موقف محمد هنيدي في فيلم فول الصين العظيم.. كانوا راكبين عربية فيها قنبلة والباب مقفول عليهم، محمد هنيدي قاعد يندب ويقول هنموت منفجرين، ولما البنت الصينية نطت من العربية وجريت، لقيتُه قاعد في العربية.. رجعتله بتقولّه: مستني إيه يا موهيي،

قالّها: أما تنفجر.

ده بالظبط اللي بحسه مع أي واحدة عندها مشكلة... قاعدة مستنية القنبلة تنفجر... بدل ما تشوف حل تزيح بيه القنبلة، أو تجري بعيد عنها أو تفكر هعمل إيه لو انفجرت.

الـshift...

اتعلمي تعملي شيفت لأفكارك في الوقت المناسب...

بمعنى لما يحصلّك مشكلة أو طوبة كبيرة تتحط في طريق حياتك، ماتقعديش قدامها وتربعي وتعيطي وتبصي وتعيطي... وتفكري إن الطوبة قطعت طريقك..

غيرت مسارك..

الطوبة وقفت في طريق سعادتي..

الطوبة منعتني من الوصول للحلم اللي كنت ناوية أوصلّه آخر الطريق...

بصي يا حبيبتي، طالما ربنا قضى إن الطوبة دي تقع الوقت دا، يبقي تأكدي إنك لو كنتي كملتي في الطريق اللي كنتي ماشية فيه، كنتي هتقعي في بلاعة، آه واللـه زمبؤولّك كدا... طيب يبقى إيه الحل؟

الحل في الشيفت أو التحول، تحويل مسار فكرك أول ما تلاقي الطوبة فورا، اعملي الآتي...

1. فكري بسرعة وماتضيعيش وقت كتير.

2. بصي حواليكي، شوفي الطرق التانية، واختاري أسلم طريق يوصّلك.

3. خدي قرار حاسم إنك تنسي الطوبة، ولما تفتكريها اتبسطي إنها وقعت في الوقت المناسب، ومسيرك واللـه في يوم تعرفي هي وقعت ليه، صدقيني، وعن تجربة...

إجري يلا.... مفيش وقت!

4. عدم اتخاذ القرار الصح في الوقت الصح.. وعمل التغيير المناسب في الوقت المناسب...

بحس إن اللي بيصنع حياة الإنسان، بعد إرادة ربنا طبعا، هو اتخاذ القرار...

وربنا إدانا العقل وإدانا الاختيار، عشان كل واحد ياخد القرار اللي هو عاوزه، حتى فيما يخص عبادته لربنا...

السعادة قرار...

الحزن قرار...

الخوف قرار...

النجاح قرار...

الفشل قرار...

الأخلاق قرار...

قلة الذوق قرار...

وما إلى ذلك.

يبقى لازم كل يوم الصبح نراجع القرارات اللي أخدناها، ونشوف إيه منها قابل للتعديل.. وإيه القرارات اللي ناوين ناخدها.. وإن كانت صح ولا غلط.. وإيه القرارات اللي ممكن تغير مسار.. والقرارات اللي ممكن تعدل مسار.. والقرارات اللي لازم تحسم.. والقرارات اللي ممكن نأجلها...

إوعي تعيشي حياة «هِلِيهْلِيّة» من غير ما تكوني فيها صانعة قرار، ومش بس كدا، تكوني قادرة على تنفيذه، وقبل ما تاخديه تفكري فيه كويس، وتحسبي أبعاده، والأهم من دا كله لو فكرتي قبل ما تاخدي قرارا كويس جدا.. ماترجعيش فيه...

أما بقى بمناسبة التغيير...

من فترة كنت بقلب في جوجل، لقيت خبر قديم عن شركة نوكيا، وإنها اتباعت لميكروسوفت.. الحقيقة أنا عارفة الخبر من زمان، بس بحثت على الإنترنت عن الأسباب اللي خلت شركة زي نوكيا تفشل، رغم إن من حداشر إتناشر سنة كلنا كنا ماسكين تليفونات نوكيا... وافتكرت إنهم كانو بيعتمدوا على إن التليفون كل ما صغر أكتر، كنا إحنا بننبهر قوي إن حاجة صغيرة وفيها كل الإمكانيات دي..

المهم لما بحثت لقيت إن نوكيا اتعرض عليهم فكرة الشاشات الكبيرة، والتليفونات اللي إحنا بنمسك زيها دلوقتي، لكن المشروع ده اترفض عندهم، وقبلت بيه شركة سامسونج، وده لأنهم في نوكيا تخيلوا إن إحنا هنستمر في الانبهار بالتليفون الصغير، ولكن الحقيقة إحنا انبهرنا خلاص...

يلاإيه اللي بعده؟

وبالتالي لما الشركة رفضت التغيير انهارت في السوق، لأنها مالحقتش تتغير في الوقت المناسب، وقدامها سنين على ما تلحق باقي المنافسين في السوق، وممكن بالمناسبة تلحق بس هتاخد وقت ومجهود مضاعف شوية...

وعشان كده لازم دايما كلنا نعمل لنفسنا updating للأحسن...

لازم لما نقع في مشكلة أو مانِحسِنش التصرف في موقف، نتغير...

بنلاقي ناس عايشين بقالهم سنين بنفس العقلية، وبالتالي بيفضلوا محلك سر، مفيش أي تغيير لا في سلوكياتهم ولا على صعيد حياتهم الخاصة أو العملية...

طول ما إحنا ماشيين في الحياة، لازم على طول نظبط طريقة التفكير ونغير الأولويات ونخلي المعاني بتاعتنا إيجابية ناحية أي مشكلة أو أي موقف نتعرضله.. ماتخليش المعاني السلبية تسيطر عليكي وتضيعي أيام من عمرك بلا هدى، وماتخليش أي موقف يعدي عليكي اعتباطا من غير ما تخرجي منه بفوائد.

مالاحظتوش حاجة؟!

كل الحاجات الغلط تقريبا بتأدي لبعض... يبقى عشان نلخّص اللي فات كله، خليني أحطّله عنوان طريف اسمه:

إستراتيجيات الفشل!

عنوان غريب، مش صح؟!

العنوان دا فيه كل الغلطات اللي إحنا عملناها في الماضي، معاها شوية تصرفات لو عملناها كلها مع بعض هنفشل لا محالة..

ودا اللي خلاني سميته إستراتيجيات الفشل...

أيون، حتى الفشل له إستراتيجيات لو عملتيها أوعدك هتفشلي...

1. إنك تمشي بنفس الأسلوب في الحياة لفترات طويلة وإنتي مش ملاحظة إنك بتتقدمي، بل بالعكس بتتأخري.

2. إنك تكرري نفس التصرفات وتعالجي الأمور بنفس الطريقة، وتتوقعي نتايج مختلفة.

3. إنك لما تقعي في مشكلة، بدل ما تدوري على الحلول تقعدي تعيطي على المشكلة أيام وشهور وسنين.

4. إنك ماتطوريش من نفسك وتعدلي دايما من خططك ونظرتك للحياة، بما يتناسب مع تغير الدنيا حواليكي.

5. إنك ماتختاريش الناس اللي حواليكي صح.

6. إنك تحطي كل تركيزك وحياتك في حاجة واحدة بس، وتتمحوري حواليها، وتغضي الطرف عن كل حاجة تانية في الحياة.

7. إنك ماتشغّليش مخك وتفكيرك، وتبقي بس متلقّي، وتسيئي إدارة الأمور.

8. إن وقتك يبقى رخيص عندك، وماتستغليش كل دقيقة فيه في حاجة مفيدة.

9. إن مايكونش عندك أي أهداف وعايشة كدا وخلاص زي ما تيجي تيجي.

10. إنك تكوني بتخططي وكل حاجة، بس بتخططي غلط أو مابتنفذيش.

11. إنك ماتحطيش خطة زمنية لكل حاجة في حياتك.

12. إنك ماتقدريش تعملي shift في الوقت المناسب لقراراتك.

13. إن مايكونش عندك إرادة.

أتمنى أول حاجة تعملوها تاخدوا القرار إنكم تتخلصوا من الخوف...

زي الخوف من التغيير

الخوف من اللي جاي

الخوف من المغامرة

الخوف من المجهول

الخوف من اتخاذ قرار

لما البني آدم بيخاف بيضيع على نفسه حاجات حلوة كتير، ممكن فعلا تكون مستنياه... ماينفعش أبدا أقبل بوضع مش عاجبني لمجرد الخوف... أو أشتغل شغلانة أنا تعبان فيها لمجرد الخوف من المجهول.. أو أجبر نفسي إني أعيش مع بني آدمين لا يوافقوا طريقتي في التفكير عشان أنا خايفة من التغيير...

لما نلاقي الدنيا قفلت لازم مانخافش، ولازم نغير الطريق... بس الأول نستخير ربنا سبحانه وتعالى ونتوكل عليه.

العمر أقصر من تضييعه في الخوف.

بالمناسبة...

أنا عندي ليكو مفاجأة... أنا بإذن اللـه هسافر للماضي مع الباشمهندس محمود الأسعد، عشان أقابل قاسم أمين... عشان أسأله عمل إيه عشان يغير فكر المجتمع ونستفيد منه...

قام الجميع بالتصفيق فرحا لهذا الخبر.

قلت:

- بس فيه حاجات اسمحولي هطلبها منكم على ما أرجع...

لو أخدتم القرار إنكم تتغيروا، أرجوكم اعملولي خطة ممنهجة للي ناويين تحققوه خلال الخمس سنين الجايين.

هنسافر مرة تانية بس للمستقبل، عشان نشوف كل واحدة هتبقى فين.

إوعوا تكدبوا عليّ وتقولولي أخدنا القرار إننا نتغير.. لأن المستقبل وسفرنا له هيكشف كل واحد كانت من جواه نية حقيقية إنه يتغير ويحقق أهدافه ولا لأ!

قالت مدام هاجر باكية:

- مش قادرة يا دكتور.. أنا عملت كل اللي بتقولي عليه وبرضه مفيش فايدة، دماغي شغالة في اتجاه واحد إني عاوزة أتجوز...

- هوني على نفسك يا هاجر، التغيير مش زرار هندوس عليه، أنا قلتلكو كفاية دلوقتي ناخد القرار... استحالة خريطتك الذهنية وقناعاتك اللي اتبنت في سنين هنغيرها بين يوم وليلة.. عقلك زي الكمبيوتر لما بتدخليله معلومات جديدة، الأول بيرفضها وبعدين يعمل scan عشان يتعرف عليها، وبعدين يعملها save

كل ما تجيلك فكرة إنك مش متجوزة أو الناس تعمل «مسم» ربنا يعوض عليكي.. إدي فورا إشارة لمخك «لأ» عباس الضو قال لأ، واطردي الفكرة دي وقولي لنفسك:

هما عاوزين يمحوروني وأنا مش هتمحور

هما عاوزين يمحوروني وأنا مش هتمحور

أنا ناقصني مجرد متعة من متع الحياة، مش المحور الوحيد في الحياة.

أنا ناقصني متعة من متع الحياة، مش المحور الوحيد في الحياة.

أنا مش قصير وأزعة.. أنا طويل وأهبل هههههههههه..

اضحكوا وافرحوا، إحنا سعداء جدا بس مش واخدين بالنا..

وحطوا دايما في بالكم إن استحالة واحد يكون أخد القرار وصدق العزم وربنا مايدلّوش على السبيل... لما هنسافر للمستقبل ممكن نلاقي اللي رسمناه اتحقق كله أو جزء منه، أو أكتر من اللي كنتي بتتمنيه...

قالت مدام إيمان:

- إحنا فاقدين الثقة في نفسنا جدا، والمشكلة إن المجتمع فعلا نظراته بتوجع أوي...

قلت:

- بصوا هحكيلكو حاجة غريبة شوية...

أيام الكلية لما كنت بشيل مادة أنا عملت اللي عليا فيها، كنت بفرح أوي، ولما كنت بشيل مادة أنا قصرت فيها كنت بزعل أوي.

غريبة، صح؟ المفروض العكس... هقولكم ليه... لأن المادة اللي بكون عملت اللي عليا بحس إني راضيت نفسي قدام.

والدي ووالدتي

نفسي

أساتذتي في الكلية

وقبل أي حاجة قدام ربنا، لكن القدر إني أسقط لحكمة.

وكنت بروح أقولّهم في البيت وأنا مش زعلانة تماما، وبقول لوالدتي أنا عملت اللي عليّ وماقصرتش... إنما لما بسقط في مادة أنا قصرت فيها كنت بفقد ثقتي في نفسي، لأني بحس بالتقصير فعلا..

ومن هنا إنتي هتستردي ثقتك في نفسك من أدائك، وإنك عاملة

اللي عليكي عشان تخرجي من الأزمة فعلا... إنما طول ما إنتي قاعدة مستنية الفرج مش هتتقدمي خطوة.. لا في اتجاه الخروج من الأزمة، ولا في اتجاه تقديرك لنفسك..

بالذمة هتقدّري نفسك إزاي وإنتي ضارِبك السلك، وواقعة من فوق السطوح، وقاعدة ليل نهار تعيطي وتغني؟!

طفيت الشمع... طفيت الشمع...

ودا هيجرّك للنقطة اللي بعدها، وهي نقطة المجتمع..

لما استرديت جزء من ثقتي في نفسي بإني بدأت أسعى وأشتغل على إني أغير أسلوب تفكيري.

ولما بدأت أتصرف بشكل مظبوط، وأخدت خطوات فعلية ناحية الخروج من الأزمة، وصلت لمرحلة إني بقول: أنا مطلقة... حد له شوق في حاجة؟! وجتلي فترة فكرت أطبع كارنيه أحطّه وسام على صدري...

«مطلقة وأفتخر»

وكان هاين عليّ أقف في البلكونة أقول: يا أم نيازي صحي نيازي وقوليله إن أنا مطلقة.. ودا لأني ببساطة بدأت أنجح وعملت حاجة غير المعتاد، وهي إن أي مطلقة لازم تعيش عالة وحزينة ورزينة..

أنا كسرت القاعدة، ودا كان كفيل إني أسترد جزء كبير من ثقتي في نفسي.. وأدب إيدي في عين أتخن تخين في المجتمع..

ودا كان مخالف لإحساسي في البداية بإني فاشلة ولازم أستخبى...

لأني من جوايا عارفة أني مابعملش أي حاجة غير إني قاعدة بقرا كتاب حياتي يا عين، وساعتها لما كانت البوابة بتقوللي «مطلّجة» كانت بتلمسني، لأني عارفة إني لسه ماوقِفتش على رجلي، هتقوليلي: وهو أنا المفروض أقوم أجري تاني يوم طلاقي؟ دا على حسب قدراتك طبعا..

لكن أرجوكي ماتضيّعيش وقت طويل..

اعملي زفت ديليت، مش شيفت ديليت، لأ زفت ديليت بسرعة، عشان الساعة اللي بتخلص مابترجعش تاني...

وعدّلي فورا أفكارك إن الطلاق خير مش حاجة وحشة ولا نهاية العالم، لكن دا بداية لمرحلة جديدة من عمري.

وجدت على وجوههم علامات الرضا والارتياح...

ثم قالت مدام نجلاء:

- هتسافري إمتى يا دكتور عشان تقابلي قاسم أمين؟

قلت بحماسة:

- الأسبوع الجاي إن شاء اللـه...

هنجهّز أنا والباشمهندس محمود بس شوية حاجات... عاوزة أرجع ألاقيكم عملتم اللي طلبته منكم أرجوكم..

بالتوفيق إن شاء اللـه.

بدأت أنا ومحمود القيام بتجهيزات السفر لمقابلة قاسم أمين...

توجهنا إلى خان الخليلي، واشترينا بعض الملابس...

وجلسنا لأيام نقرأ في كتب التاريخ لمعرفة تفاصيل أكثر عن هذا الرجل وعصره..

وفي اليوم المحدد...

ارتديت الحبرة واليشمك (ملابس النساء في ذلك الوقت)

وارتدى محمود بدلة من الطراز القديم، ولم ينس وضع الطربوش...

وقف محمود أمام الآلة ونظر إليها بتركيز ثم ضغط على مجموعة من الأزرار، ودخلنا الآلة بعدها مباشرة، وأغلق الباب...

أغمضت عيني من فرط الخوف والقلق...

سمعت صوت محمود وهو يقول ضاحكا:

- خلاص وصلنا.

وجدت قدميّ تتحسان ببطء شوارع قاهرة المعز، التي كانت تلمع كالمرآة...

كانت عيناي منبهرتان لما أراه من هذه المعالم...

سارت بجوارنا عربة غريبة الشكل، بداخلها مجموعة من الرجال يرتدون الطرابيش الحمراء.

سألت محمود:

- إيه العربية دي؟

قال ضاحكا:

- دي عربية السوارس.. تقدري تقولي وسيلة نقل عام.

كنت لا أستطيع أن أتحكم في انفعالاتي من فرط الانبهار...

المباني بديعة وأنيقة
وواجهات المحلات التجارية متميزة
شعرت برائحة عبق الماضي في كل مكان...
أفقت من شرودي على صوت محمود وهو يشير إلى أحد سائقي الحنطور قائلا:
لو سمحت يا حضرت.. عاوزين نوصل سرايا قاسم بيه أمين في حي الحلمية.
قال الرجل:
- اتفضل يا أفندي.
نزلنا مباشرة أمام السراي.. وتوجهنا نحو الباب...
تقدم البواب نحونا مستفهما من خلف الباب الحديدي، ثم قال بتشكك:
- يلزم خدمة يا أفندي؟
قال محمود بتلعثم:
- عاوز أقابل قاسم بيه أمين.
قال الرجل وهو يقوم بفتح الباب الحديدي:
- اتفضلوا.
مشى الرجل أمامنا، ودق باب السراي، فردت الخادمة من الداخل:
- مين؟
قال الرجل:
- بلغي قاسم بيه إن فيه ضيوف عاوزينه.
فتحت الخادمة الباب...
قال محمود وهو مبتسم، في محاولة منه لأن يخفي انفعالاته:
- سعيدة.
- سعيدة مبارك.. أبلّغ قاسم بيه مين عاوزه يا أفندي؟
- قوليله محمود أفندي.
أشارت إلى الداخل نحو غرفة من الغرف:

- اتفضلوا في أوضة المسافرين.

وبعدها بدقائق دخل قاسم أمين.. ألقى التحية وجلس على أحد الكراسي.

فوجئ بعدما قمت بخلع الحبرة واليشمك، حين رآني مرتدية ملابس عصرنا الحالي...

قال وقد ظهرت على وجهه علامات الذهول والقلق:

- إنتم مين؟

اقترب منه محمود وحاول أن يتحدث بهدوء:

- قاسم بيه، الموضوع ممكن يكون صعب التصديق لكنه حقيقة.. إحنا جايين لحضرتك من المستقبل...

ارتفع حاجباه من الدهشة وحاول أن يتمالك أعصابه...

تدخلت فورا في الحوار وحكيت له مختصر ما حدث...

بعدما استمع إلى كلامي بمنتهى الإنصات انبسطت أساريره، وقال بعدما اعتدل في جلسته:

- أفهم من كدا يا هانم إنك قائدة إحدى الحركات النسوية؟!

قلت وأنا مبتسمة:

- تقريبا.

ضحك قائلا:

- أنا سعيد برؤياكي جدا، وسبب سعادتي إني شفت النموذج المتطور دا من المرأة.

ثم أردف قائلا:

- في كل الأحوال أهلا بيكم.. إيه الخدمة اللي ممكن أقدمهالكم؟

قلت وأنا انظر لعينيه مباشرة:

- تقوللي قدرت تأثر على مجتمع كامل وتغير تفكيره إزاي؟!

بص يا قاسم بيه إحنا مشينا خطوات كتير جدا، لكن للأسف لسه في مجتمعنا باقي شوية جاهلية في نظرة المجتمع للمرأة، إلى جانب نظرة المرأة أصلا لنفسها.

قال باهتمام بعد أن قطب جبينه:

- وضّحي أكتر يا هانم.

حكيت له كل ما يدور بزماننا..

وبعدما أنصت لكل كلامي هز رأسه باستغراب:

- شيء مؤسف إن كل شيء اتغير، ورغم كدا لسه في زمانكم درجة من درجات الرقّ.

قلت بتعجب:

- الرق؟!

- الحرية معناها أن يكونَ الشخصُ قادرًا على اتخاذ القرار، وقادرًا على التحكم في حياته... ومن درجات الرِّقّ يا هانم هو الرق الفكري..

وهو أن تعيشَ المرأةُ أسيرةَ فكرةٍ معينةٍ لا تريدُ تغييرَها..

ورغم ما وصلتم إليه، فما زال المجتمع يَكيلُ بمِكيالين في نظرتِه للرجلِ ونظرتِه للمرأة.. إذ يحكمون على المرأة دون الرجل تبعاً لوضعِها الاجتماعيِّ، سواءٌ كان زوجةً أو أرملةً أو مطلقةً أو بلا زوج..

دا معناه يا هانم إن لسه فيه قيود في العقول...

سكت برهة ثم قال:

- أيّ عادات أو تقاليد وراها اعتقاد مخطئ بأن المرأة أقل من الرجل لازم تتغير فورا...

- تفتكر فيه أمل؟

- لازم نحيا دايما بالأمل.. والدليل هو إنك بتثبتيلي إن أوضاع كتير اتغيرت.. في زماننا يا هانم وضع المرأة مايسُرّش... جاهلة بكلِ جوانب الحياة، والوضع يشمل من أول بنات العائلات ولحد بنات الفلاحين الأُجَرِيّة... مفيش بنت ليها كلمة على نفسها.

ثم شرح وضع المرأة في زمانه، بداية من حرمانها حق التعليم والميراث، ومنعها من الجلوس على نفس مائدة الطعام مع الرجل.

ثم أكمل حديثه قائلا:

- وبالرغم من سوء الوضع، إلا أنه الحمد للـه هيتغير في زمانكم زي ما حكيتيلي...

العادات هي جمع كلمة عادة، وهي ما تعودنا عليه..

أما التقاليد فهي جمع تقليد، وهو قيام أحدهم بعمل شيء فقلّده الآخرون...

وبالتالي فهي ليست ثوابت على الإطلاق

- فعلا مفيش أي ثوابت غير الدين.. بس أرجوك وضّحلي أكتر، أكسر العادات والتقاليد الغلط إزاي؟! وأغيّر فكر البنات إزاي؟!

- أولا أن يقررَ أحدُهم كسرَ العادةِ، وبالتالي خلقَ تقليدٍ جديدٍ يتّبعُه غيرُه من الناس..

ولكن لازم يكون مُراده رغبة مخلصة في تغيير حقيقي، لأن كراهيةَ

ما يحدثُ فقط موقفٌ سلبيٌّ.. ولازم يعرف إنه هيتقابل بالرفض في البداية..

يصبر ويواصل العمل في ظل التحديات المختلفة... وأهمها إن المجتمعات جُبِلَتْ على حب المعتاد.. وتربية الشعوب محتاجة وقت...

فقط ضعوا البذرةَ الصحيحة... ولازم تَعمَلوا وِفْقَ خُطة ممنهجة...

قلت بحماسة:

- إيه الخطة يا قاسم بيه؟

- لاحظت من كلامك يا هانم، إن العامل المشترك بين بنات عصرك وبنات عصري إنهم فعلاً ضحية.. مش ذنبهم إنهم اتربوا على كدا..

وبالتالي لازم نحرك المياه الراكدة في عقولهم، ومن ثم عقول مَن حولَهم...

في زماننا مثلا المرأة عاوزة زوجها طول اليوم يجلس بجانبها يلاعبها ويغازلها، ودا في نظري رجل فارغ.. كتبت عن المشكلة دي في كتاب أسباب ونتائج.. أعتقد دا بسبب إن مفيش أي حاجة بتعملها غير البيت..

انفجر محمود في الضحك، ثم قال:

- بحطّة إيدك يا قاسم بيه، لسه بيقولوا الاهتمام ما بيتطلبش.

قال الرجل بتعجب:

- مش فاهم مُرادك من الكلام!

ابتسم محمود:

- لا لا سيبك.

تنهدت وقلت بحزن:

- والمشكلة إن فيه منهم مبسوطين، وبيقولوا كل الناس بيفكروا كدا.

- ما همّ للأسف ترسخت في عقولهم أفكار معينة تغييرها مش هيكون بالأمر السهل...

وعشان كدا الخطة يا هانم هتنقسم إلى مرحلتين:

خطة عاجلة لتغيير الحاضر

وخطة طويلة المدى لتوجيه المستقبل توجيه صحيح...

هنبتدي بالخطة قصيرة المدى، ودي العبء فيها هيكون أكتر على أصحاب العمل الإصلاحي...

بعد ما يكسر أحدهم العادات والتقاليد يبدأوا في نشر أفكارهم... ومن بعدها توجيه إرادة نساء زمانك إلى تحسين أوضاعهم...

قلت في سري: «نغير الخرائط الذهنية».

أكمل كلامه قائلا:

- وعشان توصلوا لدا يا هانم هتشتغلوا على مجموعة محاور...

لازم يكون فيه نماذج ناجحة يتم الاستناد إليها، حتى يقتنع الآخرون بأن التغيير يتلوه النجاح.

اعملوا صالون أسبوعي لمناقشة خطة الإصلاح مع المهتمين بما يوافق زمانكم.

تواصلوا مع الجورنالجية وأرباب القلم والمثقفين والشعراء، وحتى المغنواتيه، وكل ما يوافق زمانكم، للوصول لطوائف مختلفة من الناس.

(يقصد دور الإعلام)

أما الدور الأهم فهو دور رجال الدين.. يجب أن يسدوا الفجوة بين كيف عامل الدين المرأة وكيف نعاملها نحن...

إذ يجب التشديد على أن العيبَ كلَّ العيبِ في عقول الناس وتمسكِهم بالموروث دون تفكير، وليس عيبا في الدين.

أنا مثلا ساندني معلمي وأستاذي الشيخ محمد عبده لتوصيل فكرتي، وتاكيد أن لها مرجعية دينية...

أما الخطة طويلة المدى فهي التربية.. يجب العمل على تربية امرأة جديدة بفكر جديد..

امرأة ليست ضد نفسها ولا ضد بني جنسها من النساء...

امرأة تثق بقدراتها وتعتز بكونها الأم والابنة والأخت...

ويمكن في المرحلة دي تتواصلوا مع نِظارة المعارف، لمساعدتكم بأي شكل...

ومن ثم..

فإن ذلك سيسهم بدوره في خلق رجل مصري جديد ومجتمع جديد بفكر مختلف... يتم فيه الاعتراف بحقوق المرأة النظرية، وتطبيقها من الناحية العملية...

- أنا مش عارفة أشكرك إزاي!

قال بابتسامة عريضة:

- لا أبدا، أنا ممنون جدا إنكم زرتوني وأتحتولي الفرصة العظيمة دي.

شيء أخير..

ممكن تتعرضوا للـهجوم من أصحاب المصالح في استمرار الوضع على ما هو عليه، وربما يتم فهم دعوتكم بشكل خاطئ.. وإنك بتشجعي على الطلاق أو بتشجعي البنات على العزوف عن الزواج..

احرصي يا هانم كل الحرص على تأكيد وجهة نظرك في أنك تَسعَيْن لتحقيقِ حياةٍ أفضلَ لنساء عصركِ قبل وأثناء الزواج وحتى بعد الطلاق... وأن نهضةَ المرأةِ تعقبُها مباشرةً نهضةُ الأمّة... أرجو إنك تقري كتبي..

أسباب ونتائج

وتحرير المرأة

والمرأة الجديدة..

ممكن تستنبطي منها أفكار توافق زمانك...

قال محمود وهو ينظر لساعته:

- دكتورة مها.. قدامنا دقيقتين.

قاطعنا قاسم أمين ذاهلا:

- إنتي طبيبة يا هانم؟

ثم نظر لمحمود قائلا:

- وإنت إيه وظيفتك يا محمود... أقولّك بيه ولا باشا؟!

قال محمود ضاحكا:

- لغوا البهوية والباشوية يا قاسم بيه...

وهنا بدأت صورته في التلاشي.. قال وهو يلوح بيده:

- بالتوفيق يا هانم.

وجدت نفسي أقف في شقة محمود في مصر الجديدة، والذي ألقى بجسده على أقرب كرسي، وقال وهو يتنهد بقوة:

- الموضوع كبير يا مها هانم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع: أهلا بمستقبل مشرق

«إذا أردت أن تعيش حياة سعيدة فاربطها بهدف وليس بأشخاص ولا أشياء»

ألبرت أينشتاين

- حمدالله على السلامة يا دكتور مها.

- الله يسلمك يا نجلاء.. عاملين إيه؟ معلش الأسبوع اللي فات كله ماكنتش باجي عشان حوار قاسم أمين، طمنيني عملتوا إيه وأنا مش موجودة، وإيه الأخبار؟

قالت وهي مبتسمة:

- قوليلي إنتي إيه الأخبار سبع ولا ضبع؟ عرفتي توصلي لكل اللي كنتي عاوزة توصليله؟!

قلت بسعادة:

- آه الحمد لله مبسوطة جدا.

- احكيلي طيب بسرعة إيه اللي حصل؟!

- لا، إنتي بسرعة تكتبي على صفحة الفيس بوست بإن فيه اجتماع بكرة الساعة عشرة الصبح، عشان أحكيلكم كلكم.

- ماشي تمام.. بالمناسبة فيه واحدة اسمها مدام فريدة الحسيني اتصلت كذا مرة، عاوزة تقابلك في أقرب فرصة.. أدّيها ميعاد النهارده؟!

- آه ماشي، نشوف عاوزاني في إيه.. خليها تيجي الساعة أربعة العصر كدا.

- اتفقنا...

وفي تمام الساعة الرابعة عصرا...

- أهلا أهلا يا مدام فريدة، آسفة لو اتأخرت عليكي في تحديد موعد، كنت مشغولة جدا الأسبوع اللي فات...

قالت وهي تصافحني:

- إطلاقا.. المهم إننا اتقابلنا.

قلت وأنا أشير للكرسي أمام المكتب:

- اتفضلي.

- أنا سمعت عنك وعن الجمعية اللي عملتوها، بجد شيء مشرّف جدا، أنا هحكيلك حكايتي...

وبدأت في سرد حكايتها...

كنت أستمع إليها بذهول، فكم هي امرأة قوية استطاعت أن تجتاز أزمة الطلاق بشكل لا يصدقه عقل...

كيف استطاعت أن تتجاوز كل هذه المشكلات؟!

كيف استطاعت أن تتخذ كل هذه القرارات؟ وكيف استطاعت تنفيذها؟

هي حقا النموذج الناجح الذي كنت أبحث عنه...

أفقت من شرودي على صوتها وهي تقول:

- أنا الحمد للـه دلوقتي سيدة أعمال ناجحة جدا.. وعندي كذا فرع للشركة بتاعتي على مستوى القاهرة...

وأملي بإذن اللـه يكون عندي فروع في الوطن العربي كله.

ثم أردفت قائلة:

- مش هكدب عليكي.. أنا سامعة عنكم من زمان جدا، بس خفت ليكون زي أغلب تجمعات المطلقات..

بيبثوا الطاقة السلبية وبيجتروا الأحزان، من غير ما يتقدموا خطوات أو يعملوا إنجازات حقيقية.

قلت وأنا أضحك:

- نظام نكدني تجدني وحزن الحزن.

ضحكت بدورها، ثم قالت:

- أنا مستعدة أساعد معاكم بأي طريقة إننا ننجح أكتر، ونساهم في نشر فكرتك، أنا الحمد للـه عندي علاقات كتير...

- تمام جدا يا مدام فريدة.. أنا بس مبدئيا هطلب منك طلب، إحنا بكرة عندنا اجتماع في الجمعية أتمنى تنورينا وتحكي للكل قصتك.

قالت بحماسة:

- ماعنديش أي مانع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعض العضوات كن يجلسن في ذهول، بعدما رأين مدام فريدة الحسيني تقف بجانبي، وبخاصة بعدما قلت الجملة التالية:

- هعرفكم بمدام فريدة الحسيني... دلوقتي هنسمع قصة امرأة لا تقبل الضعف والهزيمة.. نموذج قد يكون نادر جدا، ولكن أنا متأكدة، بالعزم والإرادة هيكون دا النموذج السائد، والوضع الطبيعي لأي واحدة ست بتتحط في أزمة.

رحبوا بمدام فريدة الحسيني، صاحبة مجموعة شركات «مارينا ديزاين».

قالت مدام سالي عبد الواحد:

- مش ممكن! حضرتك بجد صاحبة الشركة الناجحة دي؟ أنا عمري ما كنت أتخيل إن شركة بالنجاح دا صاحبتها واحدة ست، وبالظروف دي كمان!

قالت هاجر:

- لأ أنا عارفة طبعا مدام فريدة، وشفتها في الإعلام كتير، بس ماكنتش أتخيل إنها في نفس ظروفنا...

ابتسمت مدام فريدة ثم قالت:

- اسمحولي أحكيلكم قصتي...

أعرفكم بنفسي الأول، أنا فريدة الحسيني.. اتجوزت وأنا عندي عشرين سنة بإنسان يختلف عني جذريا في كل شيء...

اتجوزت صغيرة وأنا ماعنديش أي خبرة في الحياة نهائيا، ونظرا للتربية الفاشلة بتاعة إن الحياة فقط راجل، مع تربيتي المنغلقة، كنت حاسة إن الزواج هو الحل.

الخلاصة.. اتجوزت ودخلت في دايرة مغلقة لمدة سبع سنين من الإهانات والمرمطة والخوف من الطلاق، بسبب المجتمع..

للأسف توالت الأحداث من سيئ إلى أسوأ...

لحد ما في يوم بعد ما اتضربت ضرب مُبرّح، لقيت في نفسي قوة لم أعهدها من قبل...

أخدت شنطة هدومي وولادي... ونزلت الشارع ورحت لبيت بابا، ولأول مرة بمنتهى الإصرار قلت لبابا: طلقني من الراجل دا!

وسط ذهول من أهلي كلهم.. ويوم الطلاق خرجت قدام المأذون بخطى ثابتة، وقلت بمنتهى القوة لطليقي: طلقني!

عينه جحظت حرفيا، وما كان منه غير إنه رمى اليمين ومشي من بيتنا، بعد ما اتفق معانا على إنه هيدفع نفقة شهرية لأولادي ألف جنيه...

ما أخدتش منه لا شقة ولا عفش ولا أي شيء إلا مؤخر ٥ آلاف جنيه، رماهم على ترابيزة الصالون بمنتهى الإهانة وهو ماشي، رغم إن مؤخري كان أكتر من كدا بكتير..

ساعتها بصيت لولادي وشهّدت ربنا إن يا ربي ليس في الإمكان أكتر مما كان، إنت يا رب استحالة تضيعنا...

دخل عليّ خالي أوضتي.. قاللي إنتي زعلانة؟

قلتله لأ...

قاللي لأ إنتي زعلانة...

قرب مني وحضني جامد وحط إيده على كتفي، وقاللي وهو بيشاور بإيده على الفراغ... أنا شايفك بعد خمس سنين من النهارده فريدة الحسيني أشهر بيزنس وومن في مصر... حد له شأن كبير جدا... وهفكرك.

ضحكت وأنا عيني كلها دموع، وفي قلبي شيء واحد...

إن اللـه لن يضيعني..

عشان ماطوّلش عليكم، بعد سنين من الكفاح والسهر والمذاكرة..

وقبل كل شيء توفيق ربنا.. النهارده أنا سيدة أعمال ناجحة...

والحمد للـه أصبح ليّ صيت في الإعلام، وعندي أهداف كتير عاوزة أحققها.

صفق الجميع بحرارة...

ثم نهضت مدام شاهيناز، وقالت بإعجاب:

- ياه يا مدام فريدة، يا ريتني أبقى قوية زيك!

ابتسمت مدام فريدة، وأردفت قائلة:

- ياه، يا ريتني أبقى قوية زيك... الجملة دي بسمعها كتير..

أنا هحكيلكم عن حاجات كنت قفلت عليها الصندوق، وقررت إني مش هحكيها مهما حصل... لكن قررت أحكيها، لعل واحدة منكم حكايتي تديها دفعة للباقي من عمرها...

خلونا الأول نعرف الإمكانيات اللي كانت عندي بعد الطلاق...

طبعا أنا كنت خريجة كلية التجارة، والحمد للـه كان جايلي شغل بمرتب محترم أثناء فترة جوازي، لأن تقديري كان عالي... حلو؟

لأ مش حلو... لأن طليقي كان رافض تماما فكرة الشغل، عشان كان غرضه يقصقص ريشي، ومايبقاش عندي ولا مخرج أو أي نقطة قوة...

ومش هنسى طول حياتي صوت صديق والدي اللي اتصدم لما بلغته إني رفضت الوظيفة...

ساعتها قاللي: متأكدة يا بنتي؟

وأنا اللي جاي عليّ: آه متأكدة... جوزي عاوز كدا.

*****وراح الشغل*****

طبعا بسبب الهم اللي كنت فيه والضغط النفسي، جالي التهاب مزمن في المفاصل بسبب سوء حالتي النفسية، وكل ما كنت أروح لدكتور كان يقوللي دا نفسيا... وهو ماكانش بيقوللي غير يا عيانة يا مريضة... لدرجة يوم طلاقي اتّريق وقال لبابا هبقى أبعتلها فلوس العلاج..

لأني من كتر التعب كنت بمشي أتعكز زي العواجيز!

وراحت الصحة

حكيتلكم إنه طلقني وماخدتش منه لا شقة ولا عفش ولا أي حاجة، ورجعت بيت أهلي بولادي بخفي حنين.

****وراحت الفلوس****

قالت مدام هاجر:

- يبقى أكيد بعد الطلاق أهلك ساعدوكي يا مدام فريدة...

ردت قائلة:

- أقسم باللـه العلي العظيم أهلي لم يساعدوني في شيء، إلا إنهم وفرولي مكان أعيش فيه أنا وولادي، ورغم ارتفاع مستواهم المادي جدا جدا، كرامتي كانت تأبى إني آخد منهم شلن..

أومال مين سندني؟

السند بس هو اللـه... أقسم باللـه ربنا وبس... بعد طلاقي رفعت إيدي للسما ورحت قايلة توكالي عليك يا رب، إنت السند ومالیش غيرك... بدأت أدور على شغل تاني يوم طلاقي..

اشتغلتي إيه يا فريدة؟!

ورقة وقلم واكتبي ورايا يا ست الكل:

مدرسة في مدارس لغات

عملت جروب على الفيس بوك لبيع البيجامات

مدربة سواقة

مدرسة عربي في مركز تعليم لغير الناطقين باللغة العربية

سكرتيرة في مركز طبي في التجمع الأول

مدرسة في حضانات.

قالت مدام سالي باستغراب:

- وكان عندك صحة؟

ردت فريدة:

- آه، تصدقي خفيت خالص وعملت التحاليل لقيت إني بقيت زي الفل!

قالت مدام نوال بانبهار:

- طب وأهلك كانوا عارفين كدا؟

- لأ ماكانوش يعرفوا كل الشغلانات، لأن فيه منهم كنت بشتغله بالتوازي مع بعض، بس كنت مفهماهم إني بشتغل وبقبض كويس عشان مش عاوزة مساعدة، آخر شغلانة كانت المركز الطبي، واتضايقت من موقف عمله صاحب المركز، جه على كرامتي... سبت الشغل وأخدت مرتب نص شهر... وطبعا ماكفّانيش لآخر الشهر، جيت في يوم أقسم بربي في علاه ماكانش في بيتي إلا المَيّه بس...

والدتي كلمتني ساعتها لقت صوتي متغير، قعدت تسألني «مالك؟» واتهربت منها... ماكنتش قايلة لحد إني سبت الشغل... قعدت أدور على أي فلوس في البيت زي المجنونة، ولو حتى فضّية.. للأسف مالقتش.

ببص على ولادي لقيتهم ناموا، دخلت اتوضيت ولبست إسدالي واترميت ساجدة على الأرض...

قعدت أعيط وأقول يا رب... ونمت بالإسدال من كتر العياط...

وصحيت من النوم على صوت جرس الباب جارتي مطلّعالي فطار معتبر، وبتقولي: عازماكي.

ماكانتش تعرف ظروفي بالمناسبة، كنت بقول جوزي مسافر...

ومن بعدها بدأ الفتح المبين... اتصلت عليّ صديقتي المقربة، وقالتلي لقيتلك وظيفة محاسبة في شركة الأستاذ صلاح حمزاوي للملابس الجاهزة.

رحت اشتغلت هناك واتعلمت كل حاجة... وبعد فترة قصيرة بقيت أكفأ موظفة عنده... ودعمت خبرتي بدراسة الإدارة والماركتنج وغيرها..

ومن شغلي بقيت أدخل جمعيات، وبفضل توجيه وتشجيع أستاذي صلاح حمزاوي... فتحت مكتب صغير في وسط البلد، وكنت بعرض فيه منتجات شركة الأستاذ صلاح...

وبعد فترة المكتب بقى ليه زباينه... وشوية وعملت شغل خاص بيّا واستغليت موهبتي في تصميم الملابس، وعملت ماركتي الخاصة «مارينا ديزاين»، وأديني واقفة قدامكم أهو الحمد للـه...

خرجت من مشكلتي وأنا:

واثقه في نفسي

عرفت في نفسي مواطن قوة ماكنتش أعرفها

شفت واتعلمت وعرفت ناس بحبهم وبيحبوني

لقيت نفسي

علاقتي بربنا بقت أفضل كتير، واتعلمت إزاي أخلي الوصل دايم بيني وبينه.

صفق كل من في القاعة تصفيقا حارا، اختلط مع دموعهم التي كانت لا تقل حرارة عن تصفيقهم...

قلت وأنا أنظر إليهم بعينين دامعتين...

مدام فريدة مثال واضح ومتجسد لكل الكلام اللي قلناه في الجمعية خلال الفترة اللي فاتت... هي مثال حي للإرادة والإصرار واستخدام الإمكانيات المتاحة لأقصى الحدود... مع السعي والتوكل على اللـه وعدم التواكل على الآخرين...

قالت نجلاء:

- إحنا الفضول مخلينا هنموت ونعرف إيه اللي حصل في رحلتك لقاسم أمين...

حكيت لهم تفاصيل مقابلتي مع قاسم أمين، وصفق الجميع تصفيقا حارا، وتفاوتت انطباعاتهم ما بين دموع الفرح وابتسامات الأمل...

شعرت كأن القاعة تمتلئ عن آخرها بطاقات إيجابية تكفي لنهضة أمة بأكملها... شعرت أنهن جميعا يرِدن الخروج مما وقعن فيه، ولكن كن تائهات، وما كان ينقصهن فقط الإرشاد والتوجيه الصحيح.

ثم أردفت قائلة:

- كنت طلبت منكم قبل ما أسافر مع الباشمهندس محمود إنكم تحضروا خططكم للمستقبل.. يا ترى حد عمل حاجة منها؟!

قالت مدام أمنية:

- لا واللـه مش كلنا يا دكتورة.. بس بعد ما سمعنا قصة مدام فريدة اتشجعنا جدا.

قلت:

- ممتاز، اسمحولي بس هقولكم على شوية أسس وإنتي بتخططي للمستقبل... زي ما سبق واتفقنا، إنتي هتلمي الإمكانيات اللي حواليكي كلها.. كلها بمعنى كلها.

وهتعملوا التالي..

أولا: اختيار الهدف:

لازم تكون اختياراتك نابعة من جواكي لأحلام وأهداف إنتي عاوزة تحققيها... إوعي تعيشي حياة عاوزينها ناس تانيين.. الحياة أقصر من إنك تعيشيها زي ما الناس عاوزة، مش زي ما إنتي عاوزة..

يعني لو واحدة منكم دكتورة أو أيا كان ومش حابة المجال دا، خلي عندك الجرأة إنك تعملي كارير شفت، وتعملي الحاجة اللي بتحبيها...

ممكن مثلا مايكونش حالا، لكن تبتدي تجهزي لحلمك وإنتي شغالة على المحورين، بتجيبي فلوس من شغلك، وبتسعي لوضع أعمدة حلمك..

لو بتحبي التفصيل ابتدي هاتي مَكَنَة واصقلي موهبتك بالدراسة.

قالت مدام ناريمان:

- مش صعبة إني أبقى مثلا الدكتورة الترزية؟

قلت لها:

- ماتحسبيهاش كدا.. لو إنتي فعلا حابّة اللي هتعمليه اعمليه..

لو حابّة شغلك ومجالك ماشي.. وبعدين إحنا قلنا بقى مش دايما نظرة الناس في المجتمع صح.. كل واحد بيحكم وفق تربيته وأفكاره..

خلي بس هدفك إنك هتعملي شركة كبيرة للملابس...

مشوار الألف ميل بيبتدي بخطوة...

هما هيشوفوكي دلوقت الترزية...

إنتي شايفة نفسك بعد خمس سنين عندك شركة كبيرة..

ثانيا: الاستفادة من أخطاء الماضي وحل مشاكل الحاضر:

بصوا بقى من الآخر كدا.. وإنتي بتخططي للمستقبل حطي في اعتبارك إنك هتستفيدي من أخطاء الماضي.. وهتتغلبي على كل مشكلات الحاضر...

هتعملي بس اللي إنتي مقتنعة بيه، طالما في نطاق الدين...

والمجتمع آخر حاجة تحطيها في بالك.. عاوزين يا جماعة نفعل مبدأ...

ربك قبل الناس، والحرام قبل العيب... اعملي اللي إنتي مؤمنة بيه... وثقي إنك هتنجحي فيه.

ثالثا: التخطيط الجيد:

وإنتي بتخططي للمستقبل لازم تمسكي العصاية من النص... بمعني ماتحطيش هدف صعب جدا وتحطيله خطة زمنية قصيرة، فلما مايتحققش تتعقدي.. وماتحطيش هدف أهبل جدا وتحطيله خطة زمنية طويلة، تقومي تضيعي وقتك وتلاقي إن إنجازك كان قليل فتتعقدي... فايدة الخطة الزمنية إن الوقت مايسرحش منك... تقدروا تقولوا زي الجدول اللي كنا بنعمله لنفسنا أيام الامتحانات... لازم تختاري هدف أكبر من إمكانياتك شوية بس مش كتير، تحطيله خطة زمنية مناسبة.

تستعيني باللـه وتصدقي النية

تاخدي القرار

تنطلقي ناحيته.

قالت مدام رضوى:

- وليه أحط هدف أكبر من إمكانياتي شوية؟

قلت:

- دي قاعدة اتعلمتها من زمان من مُدرّسيني، كانوا دايما يقولولنا لو حطيت هدف تذاكر وحدتين هتذاكر وِحدة، إنما لو حطيت هدف تذاكر وحدة هتذاكر أربع صفحات، وبعدين إوعي تستقلي بنفسك، كل واحد فينا ربنا إداله ملكات وإمكانيات... شغلي بس دماغك واستغليها... وحطي في اعتبارك دايما إن مخازن ربنا واسعة.

وماتسمعيش لحد بيحكم على الموقف وفق قناعاته ونظرته للأمور، اللي أكيد مختلفة تماما عنك، إنه يحبطك...

رابعا: تجميع الأدوات اللازمة لتحقيق الهدف:

خدي بالك وإنتي بتحطي الهدف لازم تجمعي قدامك كل الأدوات اللي هتستخدميها لتحقيق الهدف دا... ولو لقيتي أداة من الأدوات مش موجودة هتبتدي تشتغلي عليها الأول عشان تبقى أدواتك كاملة...

هضربلكم مثال:

لو عندك كل الأدوات ما عدا الفلوس.. هتفكري الأول هتزودي دخلك إزاي.. أو ممكن هتعملي جمعية مع مين.. هتبيعي دهب شايلاه على جنب.. أيا كان... لو عندك كل الأدوات ما عدا الدراسة... شوفي هتدرسي إزاي وهتوفري فلوس الدراسة إزاي... نقدر نقول الأدوات وتجميعها هي الخطوات اللي بتاخديها لتحقيق الهدف..

اكتبي في الورقة الأدوات، وكل ما هو متوفر هتحطي جنبه علامة صح، واللي مش متوفر هتخططي توفريه إزاي، وفي أسرع وقت.

خامسا: الصبر والإرادة:

أهم حاجة لازم تحطيها في دماغك.. وإنتي ماشية في طريقك للنجاح حطي في اعتبارك إن النجاح مش بس بيتقاس بحجم الحاجات اللي عملتيها.. بيتقاس كمان بتأثيرها الإيجابي على الآخرين...

لازم ماتهدريش طاقتك، وتنظمي وقتك صح، وتكوني ماسكة كل الخيوط عشان على قد ما تقدري ماتقصريش في حاجة في سبيل حاجات تانية...

يعني ماتقصريش في حق أهلك وولادك وغيره... لازم ماتفقديش الأمل ويكون عندك الصبر.. والإرادة... لأنك أكيد هتقعي وتقومي وتقعي وهكذا...

طريق الكفاح والنجاح مش مفروش بالورود...

وإحنا في طريقنا لأحلامنا، أوقات كتير الصبر بيمِلّ مننا مش إحنا اللي بِنْملّ منه... أوقات كتير بنحس إننا مش قادرين نستحمل أكتر من كدا... وفي

لحظة ممكن نقرر إننا ننهار ونستسلم... بس ثواني! قبل ما تنهاري اسألي نفسك سؤال مهم جدا:

هو أنا استحملت الفترة اللي فاتت دي كلها ليه؟

والوقت اللي ضاع وأنا بعافر عشان أوصل ودلوقتي بفكر أنهار، ضاع كدا هباء؟!

إوعي تنهاري بعد ما بدأتي مشوارك، وممكن يكون بس ناقصلك كام خطوة...

عافري هتوصلي... حلمك يستاهل... وقبل ما تعملي الخطوات دي كلها، أرجوكي إعملي حلم نفسِك فيه عشان تحبيه... حبوا أحلامكم عشان تعرفوا تحققوها... أنا عارفة إنكم تعبانين ومش قادرين...

بس هنا بييجي دور الإرادة... ماتنسوش في الرحلة تاخدوا معاكم سلة فيها أخطاء الماضي.. ومشكلات الحاضر...

أخطاء الماضي مش هنكررها تاني.. ومشكلات الحاضر، عشان نفكر في السكة هنتغلب عليها إزاي..

وفي النهاية...

هستناكم تعملوا اللي قلتلكم عليه، وتبتدوا تسجلوا الأسماء مع ندى ومدام نجلاء، وبعدها هنرتب المواعيد... والمفاجأة إني هاجي مع كل واحدة فيكم في رحلتها.. عشان أشوف مدى التطور اللي وصلناله..

وبعد ما نخلص كلنا الرحلات، هبتدي أرتب للخطة اللي رسمهالي قاسم أمين... بالتوفيق ليكم جميعا.

انتهى الاجتماع الذي شعرت أنه كان أفضل اجتماعات الجمعية على الإطلاق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قلت وأنا أنظر لساعتي:

- ياه.. الوقت اتأخر جدا يا ندى، إنتم بلغتوهم بمواعيد سفر كل واحدة فيهم؟!

قالت ندى:

- آه يا دكتور.

- تمام.. هبتدي مع مين؟!

- أول واحدة مدام ناريمان.

- حلو.. على بركة اللـه... الساعة كام؟

- بكرة الساعة عشرة الصبح إن شاء اللـه.

أعطيت ورقة لندى...

نظرت ندى إلى الورقة باستفهام قائلة:

- إيه الورقة دي؟

قلت:

- دي مجموعة أسئلة هيجاوبوها قبل ما نعمل الرحلة...

صوّريها بعددهم عشان هيِمْلوها قبل السفر مباشرة.

نظرت ندى إلى الورقة التي كان محتواها:

أسئلة لا بد من الإجابة عنها قُبيل رحلتك إلى المستقبل

إنتي النهارده فين؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

بعد خمس سنين شايفة نفسك فين؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

إيه هي أخطاء الماضي؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

إيه هي مشكلات الحاضر؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

إيه أدواتك عشان الرحلة؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

قبل الرحلة... أخدتي قرار التغيير فعلا؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- ها إيه الأخبار؟ مليتي الورقة يا ناريمان؟

- آه تمام يا دكتور، بصي فيها كدا.

أخذت منها الورقة وقرأت ما فيها...

* إنتي فين النهارده؟

أنا في سجن بسبب حساسيتي الزايدة من كل اللي حواليا بعد الطلاق، وترجمة كل موقف منهم بشكل غلط، مع شوية سوء ظن وتعميم.

* بعد خمس سنين شايفة نفسك فين؟ (هدفك)

شايفة نفسي بنيت جسور ود مع كل اللي حواليا، وعلاقتي اتحسنت بيهم بشكل كبير... وشايفة نفسي كوتش للمطلقات، وأي حد اتحط في أزمة أساعده يقدر يخرج منها ويفكر بشكل صحيح.

* إيه أخطاء الماضي؟

التمحور حوالين فكرة إن الزواج هو الحل، اللي أدى بعد ما خسرته إلى إني فقدت سيطرتي على إدارة الأمور، وكمان وقفت قدام المشكلة وقت طويل خلّى تفكيري اتشل، واتعطلت وقت طويل.

* إيه مشكلات الحاضر؟

عدم توفر الفلوس بشكل كافي.

* إيه أدواتك عشان الرحلة؟

هشتغل عشان أزود دخلي.

هشغل مخي

عملت خطة زمنية وكمان حطيت خطة ممنهجة

هتحلى بالصبر والإرادة

* قبل الرحلة أخدتي فعلا قرار التغيير؟!

آه إن شاء اللـه، وعندي عزم ونية صادقة إني أتغير.

ابتسمت بعد أن قرأت الورقة وحضنتها بقوة...

وقلت بعينين دامعتين:

- إن شاء اللـه هتحققي كل اللي نفسك فيه...

أدرت نظري باتجاه محمود قائلة:

- مستعد يا باشمهندس محمود؟!

قال بثقة:

- أنا جاهز... بس فيه ملحوظة عاوز أقولّكم عليها...

إنتي يا دكتورة مها مش هتشاركيها في أحداث، إنتي هتراقبي من بعيد، وهي لاإراديا هتنغمس في أحداث المستقبل، اللي من خلالها إنتي هتفهمي هي وصلت فين.

قلنا:

- تمام يا باشمهندس.

دخلنا آلة الزمن، وأغلق محمود الآلة، وبعدها بثوان وجدت نفسي أقف في أحد الأحياء الراقية... مدام ناريمان تحاول أن تركن سيارة صغيرة تقودها باحتراف... أغلقت باب السيارة بثقة وتوجهت نحو إحدى البنايات.. عبرت الشارع بسرعة...

وجدتها تدخل هذه البناية بعد أن ألقت التحية على البواب...

أسرعت في خطواتي وتوجهت نحو البواب:

- مش دي مدام ناريمان؟ هي ساكنة هنا؟

قال البواب:

- لع يا مودام، هي صاحبة مكتب اللي بيجولوا عليه الكوتشي باين.

حاولت أن أكتم ضحكاتي، ودخلت البناية، وجدت أن الأسانسير توقف عند الدور الرابع..

صعدت الدور الرابع بعدها مباشرة، وجدت ناريمان تدخل مكتبا ليس فارها، ولكنه يجمع ما بين الرقي والبساطة... كان الباب زجاجيا فرأيتها وهي تلقي التحية على السكرتيرة... ودخلت إحدى الغرف وأغلقت الباب...

دخلت المكتب بعدها مباشرة وقلت للسكرتيرة:

- من فضلك عاوزة معاد مع مدام ناريمان...

قالت بعد أن نظرت لورقة أمامها:

- للأسف اليوم النهارده مشحون جدا.. ممكن تستريحي ثواني هراجع مدام ناريمان.

دخلت إلى الغرفة التي تجلس فيها ناريمان وتركت الباب مفتوحا... سمعت ناريمان وهي تتحدث إلى شخص ما في الهاتف...

- أيوه يا حبيبتي...

إهدي بس كل شيء هيتحل

أرجوكي أنا مابقدرش أشوفك زعلانة...

أختي حبيبتي اللي ماستغناش عنها ماحبش أبدا أشوفها كدا.. كل حاجة هتتحل...

هخلص شغلي وأتصل بيكي نتقابل، هعزمك على حاجة برة...

بعدها مباشرة وجدت سيدة تدخل إلى المكتب، وما إن رأتها السكرتيرة من الداخل حتى خرجت فورا وقالت:

- حضرتك أستاذة هدى؟ معاكي معاد دلوقتي.. اتفضلي يا فندم.

دخلت هدى إلى المكتب ولم تغلق السكرتيرة الباب...

جلست لأراقب الحديث...

وجهت كلامها لناريمان قائلة:

- ماتزعليش مني، أنا سمعت عنك كتير وعن قدرتك في حل المشاكل، بس سمعت برضه إنك مطلقة، إزاي شغاله في مجال زي دا؟

بعد كلمة مطلقة التي وجهتها السيدة لناريمان توقعت أن يسوء الوضع، نظرا لحساسيتها المفرطة..

ولكن فوجئت بأن ناريمان ابتسمت بثقة، ووجدتها تقول بعضا من كلمات رددناها في الجمعية..

قالت:

- البني آدم مش بيتقيم صغير ولا كبير، ولا ينفع يتقيم من خلال وضعه الاجتماعي.. إنما يتقيم من خلال تأثيره الإيجابي على الآخرين، ومن خلال قناعاته.

نظرت إليها السيدة بإعجاب.

قالت ناريمان بصوت عال:

- شيماء أرجوكي اقفلي الباب، أنا نبهتك كذا مرة للموضوع دا وبرضه بتنسي.

وفجأة...

وجدت نفسي أنا وناريمان نقف في شقة محمود في مصر الجديدة...

انخرطت ناريمان في بكاء شديد وهي تكرر:

- لو صدقت العزم لوجدت السبيل

لو صدقت العزم لوجدت السبيل

مش عارفة أشكرك إزاي يا دكتورة مها!

قلت وأنا أبكي بدموع الفرح:

- ماتشكرنيش أنا يا ناريمان.. اشكري ربنا وبعدين اشكري نفسك لأنك أخدتي القرار..

برافو عليكي..

انطلقي يا ناريمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جاءت مدام نجلاء قبل موعدها بساعة.. كانت مثل الفراشة تماما.. وقالت وهي في قمة الحماسة: - أنا مستعدة جدا للرحلة.

قدمت لها الورقة، وقلت:

- اقريها وجاوبي على الأسئلة بتركيز.

أعطتني الورقة التي كان محتواها:

* إنتي فين النهارده؟

أنا مترجمة صغيرة ساكنة في حتة أقل من طموحي... وزني زايد جدا عن زمان.

* بعد خمس سنين شايفة نفسك فين (الهدف)؟

شايفة نفسي صاحبة معهد للغات في القاهرة... هساعد كل المحتاجين لأني حاسة بيهم أوي.. ههتم بصحتي ومظهري أكتر من كدا بكتير.

* إيه أخطاء الماضي؟

التمحور حوالين فكرة الزواج، وحبي لعزت اللي خلى كل حاجة اتهدت لما فقدتها، ودا خلاني فقدت ثقتي في نفسي واتصرفت بشكل غلط، وماستغليتش كل الإمكانيات اللي عندي صح، وقعدت أقول «يا ريت» و«لو» كتير..

وماعملتش شيفت لتفكيري في الوقت المناسب..

وكان كل تفكيري مستنية الحل إن طليقي يصرف علينا، ومافكرتش برة الصندوق...

* إيه مشكلات الحاضر؟

عدم توفر دخل مادي مناسب.

* أدواتك عشان الرحلة؟

مخي

هشتغل ليل نهار عشان أزود دخلي

هاخد كورسات أطور من نفسي لأقصى درجة، سواء أونلاين أو في الجامعة الأمريكية.

* هل أخدتي فعلا قرار التغيير؟!

آه إن شاء اللـه، وكلي عزم إني أحقق أحلامي.

ربتُّ على كتفيها بحنان، وقلت:

- إحنا جاهزين يا باشمهندس محمود.

قال لنا محمود نفس التعليمات التي قالها مع ناريمان...

دخلنا الآلة... وبعدها بلحظات وجدت نفسي في مكان مزدحم جدا.. كان يبدو مثل سنتر تعليمي لكنه كبير ومتعدد الأدوار...

دخلت نجلاء التي كانت تبدو أصغر من سنها بكثير؛ كانت ترتدي فستانا غاية في الأناقة، لدرجة أنني للوهلة الأولى ظننت أنها امرأة أخرى.

قالت بابتسامة واثقة:

- من فضلكم يا جماعة، عاوزين شوية هدوء، وفضلا التزموا بالتعليمات المكتوبة هناك.

وأشارت نحو لافتة.

قالت إحدى السيدات:

- إحنا خايفين مانلحقش، حضرتك عارفة إن الموضوع بالحجز، وسمعة المكان هنا مخليانا متمسكين ندي لولادنا الكورسات هنا.

قالت نجلاء:

- متقلقوش يا جماعة، السنة دي استعنا بمدرسين أجانب من برة عشان نكثّر عدد الفصول...

اقتربت منها إحدى السيدات التي كان يبدو عليها ضيق الحال، وقالت بصوت أقرب للوشوشة:

- أنا جايالك في موضوع مش عارفة ابتديه إزاي.. أنا أرملة وولادي نفسهم يتعلموا هنا...

قاطعتها نجلاء في الكلام، وقالت فورا:

- من غير أي كلام، اعتبري ولادك معانا..

ثم نادت بصوت عال:

- أستاذ حسن، من فضلك سجل أسماء ولاد المدام فورا وتعالالي المكتب.

أخذت السيده تبكي وهي تردد:

- ربنا يكرمك، ويفتحها عليكي، ويوفقك...

قالت نجلاء وهي تنظر إليها بحنان:

- أنا تحت أمرك أي وقت يا حبيبتي، ولو احتجتي مني أي حاجة أي وقت أرجوكي ماترددیش،

وفجأة وجدت نفسي أقف مع نجلاء في شقة محمود، حيث ألقت بجسدها على أحد الكراسي بذهول..

وأخذت تكرر:

- الحمد للـه..

الحمد للـه...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجاء دور مدام هاجر...

نظرت إليها بعد أن جلست وقتا طويلا لتملأ الورقة، وقلت:

- لو مش مستعدة نأجلها.

- بالعكس، أنا بس خايفة.

قلت وأنا أغمز بعيني:

- أنا واثقة إنك قدها.

قالت وهي تعطيني الورقة:

طب بصي كدا...

كان الورقة محتواها:

* إنتي فين النهارده؟

أنا في سجن تحكمات أهلي المنطقية وغير المنطقية، وعايشة بتنفّس خوف وانعدام ثقة في نفسي...

* شايفة نفسك فين بعد خمس سنين؟ (الهدف)

شايفة نفسي صاحبة قرار.. محط ثقة للآخرين، بقدر أدافع عن وجهة نظري وأقنع الآخرين بيها.. وأبطل خوف...

ناوية أشتغل بشهادة المحاماة اللي ركنتها في البيت وماعملتش بيها أي حاجة.

* إيه أخطاء الماضي؟

التمحور حوالين فكرة الزواج، واتخاذ قرارت غلط كتير، خلت اللي حواليا فقدوا ثقتهم فيّا، وأنا كمان فقدت ثقتي في نفسي، وماعملتش أي شيفت أو تغيير في الوقت المناسب، ووقفت قدام المشكلة أبكي على اللبن المسكوب..

وكنت دايما برمي اللوم على الآخرين، ومافكرتش مرة في القصور اللي عندي.

* إيه مشكلات الحاضر؟

أتحرر من الخوف، لأني زهقت.

* إيه أدواتك عشان الرحلة؟

هشتغل على نفسي، وهتدرب في مكتب محاماة

الإرادة والإصرار

هبيع عربيتي عشان أجيب فلوس أحضر بيها ماجستير.

* هل أخدتي فعلا قرار التغيير؟

أخدت القرار ونيتي صادقة واللـه، بس ناقص أبتدي أنفذ.

قلت بابتسامة عريضة:

- هتنفذي وأنا واثقة في قدراتك إن شاء اللـه.

وبعد أن قال لنا محمود التعليمات دخلنا الآله، وبعدها بثوان وجدت نفسي أجلس في قاعة محكمة.

كانت هاجر ترتدي ثوب المحاماة، وتقف في المقدمة بثقة.

قال القاضي:

- حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم محمد السيد جابر.. رفعت الجلسة.

وتوالت الزغاريد من القاعة.. وأخذت سيدة كبيرة في السن، يبدو أنها والدة المتهم، تقول بصوت جهوري:

- ربنا يعمر بيتك يا أستاذة هاجر.. ربنا يجعلك دايما نصيرة للمظلومين يا رب.

وجدت شابا يقترب من هاجر بعينين دامعتين، وضمها إلى صدره بقوة..

أسرعت الخطى نحوهما لأسمع الحديث...

وجدته يقول:

- أنا فخور بيكي قوي يا هاجر، عمري ما كنت أتخيل إنك هتتغيري التغيير دا كله.

قالت وهي تنظر لعينيه:

- بشكرك يا أحمد يا أخويا على دعمك ليّ طول الفترة اللي فاتت.

وتقدم رجل كبير في السن يبدو أنه صاحب المكتب الذي تعمل به هاجر، إذ قال:

- بقالك سنة حرفيا مابتخسريش قضية، واللي بيميزك الأمانة والضمير، ومابتدافعيش إلا عن المظلومين بجد، ثقتي فيكي بقت بلا حدود.. عندي ليكي مفاجأة.. أنا مهاجر خلاص أمريكا، هقعد عند ابني وهسيبلك المكتب تماما.. لازم تعدي عليّ النهارده نتفق على المسائل المادية.

وفجأة وجدنا أننا في شقة محمود، حيث دخلت هاجر في نوبة من الضحك الهستيري المختلط بدموع الفرح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجاء دور مدام سالي عبد الواحد...

التي ملأت الورقة كالتالي...

* إنتي فين النهارده؟

أنا أم مهملة في ولادي بسبب انشغالي بمشاكلي، بعاني من سلبية رهيبة في التعامل مع الكل.

* شايفة نفسك فين بعد خمس سنين؟

شايفة نفسي عندي دار أيتام، بساعد الأولاد المحرومين من والدهم ووالدتهم، لأني أكتر حد هيحس بآلامهم.

شايفة نفسي بتحرك وفق قناعاتي، بغض النظر عن المجتمع، طالما ماتعديتش إطار الدين.

* إيه أخطاء الماضي؟

قصور التفكير والوقوف قدام المشكلة من غير البحث عن حل.

* إيه مشكلات الحاضر؟

قيود المجتمع اللي قررت أكسرها، لأني اللي ساهمت في إني أتقيد بيها.

* إيه أدوات الرحلة؟

دماغي

الفلوس اللي سابهالي جوزي ربنا يرحمه

ولادي اللي نويت إنهم يشاركوني وأشاركهم حياتهم.

* هل أخدتي فعلا قرار التغيير؟

آه أخدته، وعندي طاقة غير عادية لتنفيذه.

قلت بعد سماع تعليمات محمود لسالي:

- توكلنا على اللـه.

وبعدها بثوان وجدت أني في مكان واسع مليء بالأطفال، يبدو كما لو كان احتفالا بعيد ميلاد أحدهم..

كان يتوسط الغرفة طفل صغير لا يتجاوز عمره الست سنوات، تغمره السعادة، والجميع حوله يغنون أغاني أعياد الميلاد... وجدت سالي تنحني لتطفئ الشمع مع الصغير، وصفق جميع الحاضرين...

وأشارت سالي نحو إحدى السيدات قائلة:

- قطعي التورتة بسرعة.

وتوجه رجل وسيم نحو سالي، وأمسك يديها وقال وهو ينظر إلى عينيها مباشرة (يبدو أنه زميلها في الشغل اللي سبق وحكت لي عنه):

- أنا فخور بيكي جدا يا حبيبتي.. أدائك المتميز وحنيتك على الأطفال خلت سمعة دار الأيتام بتاعتك في كل حتة، ماتنسيش النهارده هنحتفل بعيد جوازنا.

قالت:

- عندي هدف إن كلهم يكونوا أفراد صالحين يفيدوا المجتمع.

ثم ضحكت قائلة:

- مش ناسية طبعا، ومحضرالك مفاجأة كمان.

تقدم مراهق وقال موجها حديثه للرجل:

- هتوديني الدرس النهارده يا أونكل علي؟

- طبعا يا حبيبي، مش اتفقنا نبقى أصحاب، وأي طلب عاوز تطلبه قوللي على طول!

قالت سالي:

- أختك فين؟ لازم نقعد نتكلم شوية زي كل يوم.

قالت والدة سالي:

- هناك بتلعب مع باقي الأطفال.. ربنا يسعدك يا بنتي ويوفقك دايما يارب.

وفجأة عدنا إلى شقة محمود، وما إن وصلنا حتى ظلت سالي واقفة في مكانها لخمس دقائق كاملة دون أن تنطق بكلمة واحدة؛ غير مصدقة لما

رأيناه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجاء دور هيام...

كان يبدو عليها الارتباك، وكانت تتصبب عرقا، وزاد ارتباكها بعدما ناولتها الورقة.

سألتها:

- فيه حاجة يا هيام؟ تحبي تأجلي؟!

قالت بتسرع:

- لا لا مش هأجل، كل اللي سافروا مبسوطين جدا، وبدأوا يخططوا للمستقبل، لازم أبتدي أنا كمان...

قلت:

- طيب خلاص إملي الورقة وهاتيهالي.

جلست لساعة كاملة وبعدها ناولتني الورقة:

* إنتي فين النهارده؟

أنا إنسانة فاشلة محطمة نفسيا، وماعنديش أمل في الحياة.

* شايفة نفسك فين بعد خمس سنين؟ (الهدف)

شايفة نفسي عندي أسرة ناجحة.

* إيه أخطاء الماضي؟

غلطتي إني وثقت في الناس بسرعة، واخترت غلط.

* إيه مشكلات الحاضر؟

كل الظروف ضدي، مش عارفه أعمل إيه.

* هل أخدتي فعلا قرار التغيير؟

آه.. أخدته..

نظرت للورقة في ذهول وقلت:

- إنتي راضية عن اللي كتبتيه دا؟

قالت:

- دي قناعاتي، وإنتي اتفقتي معانا مانكدبش.

فتحت فمي من هول الصدمة، وما لبثت أن قلت بحزن:

- حاضر يا هيام.. من فضلك يلا يا محمود.

دخلنا الآلة، وبعدها بثوان وجدت أني أجلس في أحد الكازينوهات على النيل، وهيام تجلس في الطاولة المقابلة بالجهة الأخرى، كانت تنظر لساعتها بتوتر، وما هي إلا دقائق حتى جاء رجل في أوائل الأربعينات، وقد ارتسمت على وجهه علامات الغضب، اقترب من طاولة هيام وسحب كرسيا وجلس وقال وهو ينظر إليها شزرا:

- عاوزة إيه؟

قالت بخنوع:

- إنت مبتردش عليّ ليه؟ مش المفروض كنت تقابل ماما، وأخدت مني الفلوس اللي هتجيب بها الشبكة وتأجر بيها الشقة عشان ماما توافق؟

قال بغضب:

- أنا مش عاوز أكمل.

قالت بذهول:

- يعني إيه؟ إنت بتهزر؟! بعد ما سامحتك وعرفت إنك كنت بتكدب عليّ وقلتلي مطلق وطلعت متجوز ومعاك بنات؟ وقلت ماشي عشان بحبك.. وإديتك الفلوس عشان قلتلي مامعايش.

قال بعد أن قام من مكانه:

- آسف.. موضوعنا انتهى.

وضعت رأسها على الطاولة وانهارت في بكاء شديد... وبعدها بلحظات وجدت نفسي وإياها في شقة محمود...

كانت تقف تنظر إلى الأرض لا تستطيع أن تضع عينيها في عيني..

هززت رأسي في أسى وقلت:

- لا تعليق... مفيش فايدة فيكي...

ناوية الماضي والحاضر والمستقبل يكونوا كوبي بيست من بعض...

إنتي للأسف مش قادرة تفهمي ولا عاوزة تفهمي..

لأنك ماشية بقلبك بس..

الإنسان اللي بيمشي بعقله بس بيدوس على الناس، والناس بتكرهه، واللي بيمشي بقلبه بس بيكون غبي والناس بتدوس عليه، الإنسان اللي بيمشي بنفس الدماغ لسنين طويلة هيعيش ويموت مكانه..

هيام.. ماتجيش الجمعية تاني لحد ما تراجعي حساباتك..

مع السلامة يا هيام.

انصرفت دون أن تنطق بكلمة واحدة...

ونظرت لمحمود الذي لم يحرك ساكنا من فرط الذهول.

تعليقي:

ممكن مايكونش عندنا آلة زمن حقيقية، لكن آلة الزمن بتاعتنا ممكن تبقى في دماغنا..

ربنا إدالنا كمبيوتر جبار، منحة ربانية مابنستعملش للأسف إلا جزء ضئيل جدا منه...

ممكن ترجعي بالزمن لورا وتعرفي غلطاتك..

وممكن تسرحي بخيالك لقدام وتحلمي أحلام تحبيها وتصدقيها، هتلاقي نفسك حققتيها..

العامل المشترك بيننا وبينهم إننا هنستعمل نفس طريقة التفكير...

في نظرتنا للماضي وأحلامنا في المستقبل...

جاوبي على الخمس أسئلة وحطيهم في ورقة في درج عندك..

وكل سنة شوفي حققتي كام هدف..

أو حتى أنجزتي كام حاجة للوصول لتحقيق أول هدف...

وكل حاجة هتوصليلها اعملي عليها صح، هتحسي بالإنجاز، وإن حياتك بقالها طعم ومعنى...

هيام الوحيدة اللي لا عرفت تستفيد من ماضيها، ولا اشتغلت على حاضرها، ولا أسست لمستقبلها...

تفتكروا هتتغير؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل العاشر: مشوار تغيير المجتمع دايما بيبدأ بخطوة

«الجميع يفكر في تغيير العالم.. لكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه».

ليو تولستوي

«جه في مرة وقال هسيبك معلش أنا اخترت البعاد

كان فاكرني خلاص هسلم ما يضغط ع الزناد

هي طلقة ولا أكتر ورزقي على رب العباد

كان عاوزني أطب ساكتة أو أعيش عيشة سواد

أصلي محتاجة لجنابه لأ وهحتاس بالولاد

ولا يمكن هضيع بدونه بسّ انا اخترت العناد

أقسمت لأجري في طريقي وأروي جرحي بالاجتهاد

بعد فترة جه بيسأل مستني يشوفني في حداد

سهرانة أعد في نجومه عيني باظت من السهاد

اتفاجئ لما قالوله اسكت فرح عينها زاد»

صفق الجميع بحرارة، بعد أن ألقت مدام نشوى قصيدتها الرائعة.

قلت:

- برافو عليكي يا نشوى.. شاعرة الجمعية المتميزة...

مبسوطة إننا بدأنا لقاء النهارده بالشعر الرائع اللي قالته مدام نشوى دا...

قالت نشوى في خجل:

- شكرا يا دكتورة.

قلت:

- اسمحولي أبتدي في سبب اجتماعنا النهارده...

مدام نجلاء:

- إحنا بس عاوزين نسأل هيام فين؟ بنكلمها موبايلها مقفول، واختفت تماما!

- إدوها فرصة تقعد مع نفسها تراجع حساباتها...

نرجع لموضوعنا...

دلوقتي بعد ما رحلاتنا كلنا للمستقبل إدتنا الأمل والطاقة الإيجابية الكافية، عاوزين نبتدي فورا ومن دلوقتي نشتغل على ٣ محاور...

المحور الأول: هنشتغل على نفسنا عشان يبقي فيه مننا نماذج ناجحة.

المحور التاني: هننشر فكرتنا في المجتمع كله.

المحور التالت: هقوله في الآخر..

يعني من الآخر، هننفذ كلام قاسم أمين...

أرجوكم يا جماعة اللي ليه أي اتصالات بأي حد في الإعلام يوصّلنا ليه فورا، عشان نعرض أفكارنا، وأنا كمان هعمل اتصالاتي... اللي تعرف حد يوصّلنا بمشيخة الأزهر والأوقاف يا ريت بأقصى سرعة...

قالت مدام عبير:

- أنا خالي إمام وخطيب مسجد مشهور، ممكن يساعدنا؟

- طبعا.. أرجوكي رتبيلي معاه ميعاد في أقرب وقت، وماتنسيش طبعا تديله فكرة عننا، ولو يحب يشرفنا يا ريت عشان يقتنع بفكرتنا على أرض الواقع...

فيه حاجة مهمة جدا عاوزة أفاتحكم فيها... بما إننا كلنا عرفنا هواياتنا ومواضع قوتنا عاوزين نساعد بعض..

يعني مثلا مدام ولاء طباخة بريمو وماهرة في الحلو والحادق، شيف درجة أولى، هنسوّقلها ونشتري منها..

مدام هدير فنانة في الكوروشيه، هنعمل معاها نفس الكلام...

عاوزين نعمل مجتمع صغير خاص بينا..

نبيع ونشتري من بعض، لحد ما فكرتنا تطلع برة الباب دا... (وأشرت نحو باب الجمعية).

صفق الجميع بحرارة، فلقد حازت الفكرة على إعجابهم.

قلت:

- يلا بسرعة ماعندناش وقت نضيعه، كل واحدة تنطلق... عاوزين نشد إيد بعض... نشجع بعض.. اللي يقع نقوّمه وهو يساعدنا إننا نقوّمه...

فيه حاجة مهمة جدا جدا جدا عاوزين نبتدي نشتغل عليها...

عارفين إيه هي؟

هز الجميع روؤسهم باستفهام.

قلت:

- المحور التالت، أهم محور عشان فكرتنا تفضل عايشة...

ولادنا يا جماعة...

يوم الجمعة والسبت من كل أسبوع هنختار يوم نعمله للتربية..

واليوم التاني هنعمله للترفيه..

هيساعدنا في الموضوع دا الباشمهندس محمود الأسعد..

واتصلت بالدكتورة نهى الطنب، دكتورة نفسية، هتيجي يوم التربية تدينا مجموعة كورسات مكونة من مجموعة مستويات..

نشتغل بيهم على النواحي الدينية والإنسانية والأخلاقية للأطفال..

ونزرع فيهم الأفكار الجديدة اللي كان نفسنا إنها تتزرع فينا...

وبكدا نبقى حطينا بذرة التغيير طويل المدى..

اللي لازم نهتم بيها ونرويها...

يلا على بركة اللـه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- إزيك يا رانيا.

- أهلا يا هانم، لسة فاكرة تتصلي بيّ دلوقتي من ساعة ما كلمتيني من كام شهر!

- معلش يا بنتي هحكيلك أهو.. مش أنا قلتلك إني عملت جمعية نسائية؟

- آه مشغولة وعاملالي فيها الولية في قلب الجمعية..

ضحكت:

- إنتي بتجيبي الكلام دا منين؟!

- المهم، الكلام في التليفون مش هينفع، إحنا بقالنا خمسين سنة بنرتب معاد عشان نتقابل...

- مش هنتقابل قبل يوم القيامة بقى.

- ما انتي بتقلشي إنتي كمان أهو... ماشي يا ستي حددي ميعاد.

- بصي، هتجيلي الجمعية إن شاء اللـه الأسبوع الجاي ضروري، عشان محتاجالك في موضوع مهم جدا...

- وهو كذلك.

- معلش يا رانيا اقفلي، فيه رقم غريب جاي ويتِنج.

- طب يلا سلام.

قلت بعدما أنهيت مكالمتي مع رانيا:

- ألو.

- معايا الدكتورة مها سامي؟

- اتفضل يا فندم.

- معاكي يا بنتي الشيخ عبد الواحد التميمي، خال مدام عبير، هي قالتلي إنك طلبتي تكلميني.

- أهلا وسهلا، أنا بعتذر لو كنت سببت لحضرتك أي قلق.

- إطلاقا يا بنتي.. عبير حكتلي عنك، وأنا تحمست لأفكاركم جدا، وعاوز أعرف أقدر أساعد بإيه...

تنهد بحرقه وأردف قائلا:

- مش هخبي عليكي، اللي حصل لعبير تسبب في جرح غائر لصدورنا..

- أولا مكالمة حضرتك شرف كبير، لكن هيزيدنا شرف لو حضرتك نورتنا في الجمعية الأسبوع الجاي.

- وماله يا بنتي... حددي الميعاد وبلغي عبير... في رعاية اللـه.

- ربنا يكرم حضرتك.. مع السلامة.

أغلقت الهاتف وجلست أفكر في كل من حولي.. حاولت مراجعة كل علاقاتي.. لعلّي أتذكر أي شخص يساعدني في الوصول للإعلام.

وتذكرت ريهام صديقتي، التي أخبرتني ذات مرة أن زوجها تربطه علاقة صداقة مع سيناريست مشهور...

شردت بذهني.. كيف يعوض اللـه الإنسان الذي تم وضعه في اختبار بالكثير، ولكنه لا يرى إلا ما ينقصه فقط...

فصداقتي بريهام ومشاعرها المخلصة نحوي، مع حرصها على دفعي للأمام دون انتظار أي مقابل، هي بالتأكيد من منن اللـه التي تستحق الشكر..

اتصلت بريهام وطلبت منها أن تخبر زوجها برغبتي في التواصل مع ذلك السيناريست المشهور، فوعدتني أن تحضر لي الرقم في أقرب وقت ممكن...

وبعدها...

- ألو.. أستاذ مدحت الفضل؟

- أيوه.. مين؟

- أنا مها سامي من طرف الباشمهندس إيهاب.

- أهلا أهلا بيكي.. الحقيقة إيهاب حكالي عنك، وأنا أعجبت جدا بالفكرة المجنونة اللي عملتيها.

- ينفع تساعدني نعملها مسلسل أو فيلم؟

بعدما انفجر في الضحك:

- وش كدا؟ وماله! بس الأول أقتنع بيها.

- بص يا أستاذ مدحت... مش شرط نعملها زي ما هي، لكن أنا عاوزة أشيل من دماغ الناس إن الست المطلقة أو الأرملة أو اللي من غير زوج منحرفة... فاشلة... متدمرة نفسيا... حقودة!

- بس ماتنسيش يا مها إن الفن بينقل الواقع.

- وساعات بيخلق الواقع.

- ماشي.. خليني أفكر، بس هقولّك حاجة...

قاطعته بأدب:

- أرجوك يا أستاذ مدحت قبل ما تاخد قرار، ممكن الأول تنورني في الجمعية بتاعتي الأسبوع الجاي؟

قال دون تردد:

- ماعنديش أي مانع.

- أنا بشكر حضرتك جدا جدا بجد.. انتظر مني مكالمة خلال اليومين الجايين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في بداية اجتماعنا أحب أشكر ضيوفنا الكرام على تشريفهم لينا...

الشيخ عبد الواحد التميمي

الأستاذ مدحت الفضل

الصحفيه رانيا سعد الدين

امتلأت القاعة بالتصفيق الحار...

قلت:

- زي ما إنتم عارفين إحنا عزمناهم في الجمعية عشان نبتدي نطلع فكرتنا للنور، يا ريت لو كل واحدة من العضوات الكريمات تعرفنا بنفسها.

وغمزت بعيني...

قامت الواحدة منهن تلو الأخرى تحكي حكايتها باختصار، قبل وبعد الانضمام للجمعية، وتتحدث عن هواياتها وأحلامها وأهدافها المستقبلية...

وكيف بدأت خطة التغيير...

كنت أنظر إليهن بعينين دامعتين، كالأم التي ترى نجاح بناتها...

فكلامهن كان واثقا وأداؤهن كان مشرفا...

نظرت إلى ضيوفي، كان الانبهار يبدو واضحا في أعين ثلاثتهم...

وبعد انتهاء جميع العضوات من الإدلاء بدلو أفكارهن الجديدة...

نظرت إلى ضيوفي قائلة:

- إيه رأيكم؟!

وقف الشيخ عبد الواحد وبدأ في التصفيق بحرارة، وأعقبه مدحت الفضل ورانيا سعد الدين... ومن بعدها كانت تضج القاعة بتصفيق حار، ليعلن كسر أولى حلقات القيد الذي تقيدنا به لسنوات... إنه قيد الوصمة...

وصمة العار غير المبررة التي تلاحق كل من هي بلا زوج، لتضعها مرغمة في إطار لا يليق بها.

قالت رانيا وهي تمسح دموعها بتأثر:

- نساعدكم إزاي يا مها؟

قلت وأنا انظر لثلاثتهم:

- تساعدونا إن فكرتنا توصل لكل الناس...

تساعدنا يا أستاذ مدحت إننا نبطل نحصر المطلقة والأرملة في أدوار الانحراف والفساد الأخلاقي والفشل..

سلطوا الضوء على النماذج الناجحة، ونبطل نتخيل إن الطلاق نهاية العالم... تساعدنا إننا نوصّل لأهالينا وكل الناس إن الحب والارتباط إحدى متع الحياة، مش المتعة الوحيدة ولا المحور الأساسي، تساعدنا إننا نخلق فكر جديد لراجل جنتل قبل الجواز وأثناؤه وبعد الطلاق، راجل عارف معنى الرجولة الحقيقية... راجل مش بيلعب على عواطف البنات...

راجل عارف يوازن بين علاقته بأهله وعلاقته بمراته، ابعدونا عن جو الحموات الفاتنات، وانقلولنا نماذج كويسة لحموات بيخافوا من ربنا في مراتات ولادهم قبل وبعد الطلاق، وبنات بيحترموا حمواتهم...

سلطولنا الضوء على نماذج ناجحة عملوا طلاق ناجح نتفرج عليها، وتوجه فكر الناس للاتجاه الصحيح...

تساعدنا يا شيخ عبد الواحد نرجع للدين.. عرفنا اللي بيحصل معانا، ونظرة المجتمع للمطلقات والأرامل وإشعارهم بالدونية دا من الدين؟

أكل حقوقهم بالباطل دا من الدين؟

النظرة للست بشكل عام، وتقييمها من خلال الشكل الاجتماعي دا من الدين؟

تقييد حريتها ومنعها من الدخول في تجربة جواز تانية دا من الدين؟

إن الطلاق يبقى فزاعة يخلي ستات تخاف منه، لدرجة إنها ممكن تهرب بالانتحار، أو الاستمرار في علاقة بتتجرع فيها كل اليوم الإهانات النفسية والجسدية دا من الدين؟

ضياع الأولاد بسبب استهتار الأب أو الأم أو الاتنين وعِندهم مع بعض دا من الدين؟

وإن يبقي قدامها خيارين كلاهما مر، يا علاقة فاشلة يا مجتمع ظالم، دا من الدين؟!

تصرفات قطاع كبير من الرجالة مع الستات دا من الدين؟

إن الست تشيل شيلة مش بتاعتها، عشان تصرف على ولادها بدون أي مشاركة من والدهم دا من الدين؟

هز الشيخ عبد الواحد رأسه في أسف، ثم قال:

- لا واللـه يا بنتي.

نظرت لرانيا وأمسكت يديها..

- وإنتي يا رانيا.. الصحافة نبض المجتمع..

عرفي الناس إن نسب الطلاق زادت.. عرفيهم إننا محتاجين نعمل توعية للشباب والبنات قبل الجواز.. عرفيهم إننا مش هنتقدم إلا لو الأسر اتبنت على أساس سليم.. عرفيهم بينا وبالجمعية بتاعتنا، وإن اللي عاوز ينجح بعد مشكلة بينجح... انقلي أفكارنا لكل الأمهات المعيلة عشان يقفوا على رجليهم..

اتكلمي يا رانيا عن التجربة الماليزية، وإزاي قدروا يقللوا نسب الطلاق بشكل رهيب في فترة قليلة، واعملي حملات صحفية بتنادي إننا لازم نطبق التجربة دي في مصر، والزواج مايتمّش إلا بعد ما الطرفين ياخدوا الرخصة، لأن مش من المنطقي إن يبقى راجل معتوه رب أسرة، أو حتى ست عديمة المسؤولية أو ماتعرفش حاجة عن الجواز...

انقلي صوتنا عشان القانون يتغير.. القانون اللي بيحكم بنفقة ٢٠٠ جنيه للطفل في ظل الظروف دي...

قالت مدام نرمين:

- اسمحيلي يا دكتورة أحكي حاجة بمناسبة القانون...

- اتفضلي طبعا.

- اتحكملي بـ٢٠ جنيه بدل فرش وغطا... أنا عمّالة أضحك من ساعتها... آخد حكم بـ٢٠ جنيه؟ طيب دي ماتجيبش كيس مخدة، دا تمَن البطانية بقى ألف جنيه دلوقتي، ولما اتطلقت هو أخد الفرش وكل حاجة... أنا خايفة أروح آخدها أصرف ال- ٢٠ جنيه مواصلات... ولو رحت وماصرفتش الـ٢٠ جنيه كلها، الباقي أشتري بيه بطانية ولا باكو مناديل للبرد؟!

قالت مدام شاهيناز ضاحكة:

- احمدي ربنا، أنا اتحكملي بخمسة جنيه.

وهنا انفجر كل الحضور في الضحك.

ودارت بين الضيوف وعضوات الجمعية العديد من النقاشات...

وفي هذه الأثناء دخلت هيام القاعة وجلست في نهايتها..

قلت وأنا مبتسمة:

- نورتينا مرة تانية يا هيام..

أدار كل من كانوا بالقاعة روؤسهم في ذهول... قلت لأسيطر على الموقف:

- خلاص إحنا كدا اتفقنا مع ضيوفنا الكرام.

رد الشيخ عبد الواحد:

- أنا باذن اللـه هبذل كل ما في وسعي.

فقال مدحت الفضل:

- وأنا كمان إن شاء اللـه.

قالت رانيا:

- أنا من غير ما أتكلم هتشوفي بإذن اللـه أنا هعمل إيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وجدت أحدهم يطرق طرقات خفيفة على باب مكتبي...

توقعت على الفور مَن الطارق...

قلت:

- اتفضل.

دخلت عليّ المكتب، ولكن كانت هذه المرة غير المرات السابقات... العينان تنبعث منهما طاقة إيجابية ونور جعلني أهب واقفة.

خطوت مسرعة نحوها... واحتضنتها بقوة...

أخذت تبكي بشدة:

- أنا آسفة أوي يا دكتور مها... تعبتك معايا وأخدت وقت على ما فهمت.

قلت وأنا أبكي:

- أنا عمري ما زعلت منك، أنا دايما كنت زعلانة عليكي... وكنت متأكدة إنك لازم هتفهمي وهتعرفي وهتوصلي يا هيام...

قالت وهي تمسح دموعها:

- ممكن تعملي اجتماع ضروري بكرة، عشان فيه كلام كتير قوي عاوزة أقولهولهم...

قلت من دون تردد:

- طبعا.

ثم ناديت على ندى بصوت عال:

- ندى...

جاءت إلى المكتب مسرعة...

قلت:

- نظمي اجتماع عاجل بكرة، بلغيهم على صفحة الجمعية وجروب الواتس، وأكّدي عليهم كلهم الحضور...

قالت وهي تنظر لهيام بشرود:

- حاضر يا دكتور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي الاجتماع...

- خرجت من عند دكتور مها بعد رحلتي للمستقبل، وأنا حرفيا حاسة إن الدنيا سودا في عيني... لا عارفة أظبط ماضي ولا حاضر ولا مستقبل..

وقفت في الشارع وبصيت للسما وقلت دلني السبيل يا رب...

لأول مرة كنت أحس إن المشكلة والخناقة مش بيني وبين حد، المشكلة بيني وبين نفسي... لأول مرة كنت أحس إن مشكلتي الحقيقية إن نفسي اللي بتمشيني مش أنا اللي بمشي نفسي... وفي اللحظة دي أخدت القرار...

قرار التغيير...

روحت البيت لقيت جوزي بيجهز شنطة هدومه، أول ما شافني جه ناحيتي ولسه هيمد إيده عشان يضربني.. وبنتي بدأت تصرخ، قلتله أرجوك كفاية، أنا عرفت غلطتي ومش ههين نفسي تاني... أنا عارفة إنت عاوز إيه... ثانية واحدة... رحت جبتله الوصولات اللي كان ماضيها وكنت مخبياها منه... وروحت مدياهاله وقلتله: طلقني.

أخد الورق زي المجنون وقاللي بسرعة البرق: إنتي طالق.

لأول مرة كنت أحس إني مش خايفة منه ولا من الطلاق، فتحت باب الشقة وقلتله بثقة: أعتقد مالكش حاجة هنا.

مشي فورا وخد معاه الخوف والضعف اللي كنت عايشة فيه... خدت مريم في حضني ورميت نفسي على السرير.. لأول مرة كنت أحس بحب مريم، قعدت تتطبطب عليّ بإيديها الصغيرة.. حسيت ساعتها إني عمري ما دقت حضن مريم قبل كدا، رغم إني كنت بحضنها كتير..

سرحت وافتكرت كل اللي حصل وقد إيه كنت غبية...

طلعت ورقة وكتبت فيها الأسئلة اللي كانت مديهاني الدكتورة مها قبل الرحلة... عملت زي اللي عرف الإجابة بعد ما خرج من الامتحان...

*شايفة نفسك فين النهارده؟

شايفة نفسي إنسانة ماعندهاش مخ، وعاجبها الوضع ومش عاوزة أو خايفة تغيره...

إنسانة محتاجة الارتباط احتياج مرضي.. خلاني مش شايفة أي حاجة تانية

ماعنديش سلام نفسي

ولا عارفه أسلم لأقدار اللـه

ولا عارفة أستغل المنح والمواهب اللي ربنا إداهالي

* شايفة نفسك فين بعد خمس سنين؟ (الهدف)

شايفة نفسي اتحررت وأصبح عندي استغناء..

مش بتسول مشاعر من أي حد

بالعكس هيكون عندي طاقة حب هديها للناس اللي تستاهل..

شايفه نفسي سلمت لأقدار ربنا ورضيت، فحياتي بقت حلوة لأني قررت أحليها بطريقتي...

شايفة نفسي رسامة عندي معرض كبير للوحاتي في إسكندرية...

ساعتها لما هكون قوية مش هرضى لنفسي بأي جوازة ولا أي وضع..

لأني هكون واثقة في نفسي وفي قدراتي..

مرة كنت بتكلم مع دكتورة مها وقالتلي: «ينفع أستاذ دكتور في الجامعة يرضى يشتغل شيال؟ مع احترامنا لكل المهن؟ أكيد هو هيبقي حاسس إن قدراته لازِم يستغلها صح ويحطها في المكان المناسب»..

وبالتالي أنا ساعتها هفكر بنفس الأسلوب...

* إيه أخطاء الماضي؟

يووووه.. إنتم عارفين.

* إيه مشكلات الحاضر؟

فكري المغلوط اللي بيتحكم في إدارتي للأمور.

* إيه أدوات الرحلة؟

الإرادة والصبر

الرضا بالمقسوم

التخطيط الصح

طاقة حبي لمريم وحبها ليّا.

* هل أخدتي فعلا قرار التغيير؟

الحمد للـه أخدته، وبلا رجعة إن شاء اللـه...

ثم التفتت إليّ وقالت:

- أنا جاهزة يا دكتور مها لرحلة المستقبل.

هب الجميع من على كراسيهم وتوجهوا نحوها في فرح ليشدوا من أزرها.. كانت تعليقاتهم المختلطة بدموعهم:

- برافو يا هيام!

- إنتي قدها!

- كنت عارفة واللـه إن دا هيحصل!

- حاسة إن رحلتك للمستقبل هتبقى أنجح رحلة فينا!

قلت لندى بصوت تملؤه السعادة:

- اطلبيلي الباشمهندس محمود بسرعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمسكت هيام بيدي ودخلنا الآلة، وما إن أغلق محمود الباب حتى سمعتها تقول بصوت تملؤه السكينة:

- توكلت على اللـه..

وبعد ثوان...

وجدت نفسي في أحد أحياء إحدى الدول الأوروبية.. كانت اللافتات حولي كلها مكتوبة بلغة لا أفهمها... لم أستطع تخمين أين أنا إلا حينما ربتت إحدى السيدات على كتفي قائلة:

- إنتي غريبة هون، أول مرة تيجي ع إيطاليا؟

قلت بتلعثم:

- آه.. فعلا.. أول مرة آجي هنا.

- تقبريني، إنتي مصرية... حسيت واللـه.. كنك تايهة.. أقدر أساعدك بشي؟

ابتسمت، فإذا بي ألمح خلفها لافتة كبيرة جدا عليها صورة هيام تقف بثقة، وقد ازدادت جمالا فوق جمالها...

قلت وأنا أشير باتجاه اللافتة:

- عاوزة أروح العنوان اللي على اليافطة هناك دا.

قالت بسعادة:

- آه، إنتي جاية لهون للمعرض لحبيبتي هيام.

- إنتي تعرفيها؟

- وهو في حدا ما بيعرفها لهيام.. تعا فوتي معي.

مشيت بجوار السيدة حتى وصلنا إحدى البنايات الفخمة... دخلنا إلى قاعة كبيرة الحجم، على جدرانها مجموعة من اللوحات الباهرة... مزدحمة بأشخاص كثيرين من مختلف الجنسيات... وما هي إلا لحظات حتى دخلت هيام القاعة، وبجوارها شاب أجنبي وسيم..

صفق الجميع بحرارة...

وقالت السيده بفخر:

- كل هيدي اللوحات رسمتها لهيام، تقبرني حياة قلبي، شو فنانة حسها عالي...

قلت للسيدة، بعد أن كان مختلطا داخلي مزيج من الفرحة والانبهار والذهول:

- مين اللي ماشي جنبها دا؟

- هيدا خطيبها.. شايفة كيف حلوين.

وبعدها بثوان وجدت نفسي أقف في شقة محمود وأمامي هيام، التي أجهشت في البكاء وهي تقول:

- واللـه العظيم مش قادرة أصدق...

واللـه العظيم مش قادرة أصدق...

قلت وأنا أمسك كتفيها بيدي:

- النهارده أسعد يوم في حياتي...

- مش عارفة أشكرك إزاي!

- للـه الفضل من قبل ومن بعد... إنتي إنسانة متميزة، وأنا قريت دا فيكي من أول يوم..

كل الحكاية إن طاقة الحب والمشاعر جواكي كانت محتاجة تتوجه صح.

أخذت تردد:

- الحمد للـه.. الحمد للـه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي الأوقاف..

- أرجوك يا شيخ صبري، لازم الخطبة اللي أنا كاتبها دي تتحط في الخطة.

نظر الرجل إليه بتشكك:

- المشكلة إن الموضوع اللي إنت كاتبه دا يا شيخ عبد الواحد شائك، وليه كذا زاوية.. أنا عاوز أعرف إيه بس سر الاستعجال.. إديني فرصة نناقش باقي الزملاء.

- نناقشهم، بس حاول تقنعهم يا شيخنا.

قال الشيخ صبري باستسلام:

- هحاول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قال الشيخ صبري في قاعة الاجتماعات:

- جمعتكم النهارده بناء على طلب الشيخ عبد الواحد، عاوز يعرض عليكم موضوع نتناوله الفترة الجاية، يتم وضعه في الخطة، ويتم تسليط الضوء عليه.

قرأ الشيخ عبد الواحد خطبته أمام المشايخ...

وامتلأت قاعة الاجتماع عن آخرها بهمهمات التأييد والاعتراض.

قال الشيخ جودت أبو الحق:

- أنا معترض، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وأخشى إنه يتم فهم دعوتك بشكل خطأ، أو يتم توظيفها لخراب بيوت المسلمين وتقليب النساء على أزواجهن.. وتسهيل الطلاق للحد الذي يزيد الطين بلة يا شيخنا.

رد عليه الشيخ عبد الواحد بعدما اعتدل في جلسته:

- مفيش كلمة واحدة في الخطبة مش من صميم الدين.. أخرجلي مواطن الضعف أو الخلل في الخطبة ونسعى لتغييرها.. أما رفض الخطبة من بابها فجانبك الصواب فيه يا شيخ جودت.

فقال الشيخ عبد اللـه البنهاوي:

- أنا مؤيد لكلام الشيخ عبد الواحد...المفاسد الحقيقية في ترك الوضع على ما هو عليه.

قال الشيخ عبد الرازق:

- أنا معاكم... هذا دورنا الحقيقي.. أنت تعرف جيدا أن ديننا الإسلامي الحنيف أوصانا بالنساء.. فلقد حرر الإسلام المرأة.. وأعطاها جميع الحقوق.. فإذا شعرنا بجزء من الجاهلية يجتاح أمة الإسلام يجب أن نتصدى له.. فصلاح أمور أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا هو صلاح لأحوالنا يا شيخ جودت.

قال الشيخ إبراهيم:

- أنا معارض.

وهنا تحدث الشيخ صبري قائلا:

- الاختلاف لا يفسد للود قضية، فليتحرك كل منكم وفق قناعاته، واللـه الموفق والمستعان.

قال الشيخ عبد الواحد:

- وياريت كمان يا شيخنا أساتذتنا وزمايلنا من الأزهر نعرض عليهم الأمر، والمهتمين منهم يسعوا لنشر الفكر دا في الفضائيات وصفحاتهم، وطبعا ماننساش نتواصل مع القضاء ومحكمة الأسرة، ونحاول بمنتهى الجد عرض مشروع تحديث القوانين بما يتوافق مع الدين الإسلامي، مثل أحكام النفقة في الشريعة وحقوق المطلقات وعلاقة الأبناء بالأبوين، بما لا يضر مصلحة أي طرف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي مكتب رئيس تحرير جريدة «اليوم السابع»

- أنا سعيد بموضوعك اللي كتبتيه دا جدا.

- كله بفضل توجيهات حضرتك.. أنا عملت زيارة بنفسي وشفت بعيني كل حاجة.

- موضوعك هينزل بكرة إن شاء اللـه.

- مش عارفة أشكر حضرتك إزاي.

- أنا اللي مش عارف أشكرك إزاي على السبق الصحفي دا.. بالتوفيق يا رانيا.

وفي صباح اليوم التالي..

فتحت ملك باب المكتب دون استئذان.. وقالت بسعادة:

- إلحقي يا دكتورة مها.. كاتبين عنك وعن الجمعية في الجرنان.. بصي كدا.

ناولتني الجريدة.. جلست أقرأ ما فيها... وجدت مقالا بعنوان...

«سيدات خارج الصندوق»

في الآونة الأخيرة ارتفعت معدلات الطلاق حسب تقرير معلومات مجلس الوزراء، إذ احتلت مصر المرتبة الأولى عالميا، بعد أن زادت النسبة من ٧٪ إلى٤٠٪ خلال الخمسين عاما الأخيرة..

ووصل عدد المطلقات إلى ٣ ملايين مطلقة...

فكان من المنطقي أن يعلو صوت النساء مجددا، مطالبات بحقوقهن، ولكن هذه المرة ليست الحقوق لشغل مناصب رفيعة..

وإنما مناهضات لما يتعرضن له بعد الطلاق أو فقدان الزوج من ظلم مجتمعي، نظرا لوضعهن الاجتماعي، إلى جانب عدم وجود قوانين تنصر المظلومات منهن بشكل كاف ضد بعض الأزواج المستهترين.

ورغم أنه في السنين الماضية شهدت حرية المرأة تصاعدا ملحوظا، ما زالت تحكمنا بعض المعتقدات الخاطئة..

ورغم سجل الكفاح الضخم ما زال الطريق طويلا...

وبما أن الحركات النسائية هي مكون أساسي مُدرَج في كل مشروعات التمدن المصرية، منذ القرن الماضي...

قررت مها سامي - مطلقة مصرية صيدلانية مواليد الثمانينات - كسر حاجز الخوف، وانطلقت في محاولة لتغيير الواقع، عن طريق القيام بعمل جمعية نسائية ليس الغرض منها النقد والحنق على الأوضاع.. وإنما تجربة فريدة من نوعها تنوي من خلالها تغييرا حقيقيا للنهوض بالمرأة المصرية.

فقد أكدت مها سامي أن الجمعية كانت فرصة سانحة للوصول لأكبر عدد ممكن من النساء اللاتي تجمعهن نفس الظروف.

ومن ثم العمل على تطوير إيجابيتهن وتنميتها...

وبالفعل تحققت إنجازات متوالية مع كل المنضمات، بسبب رغبتهن الحقيقية في كسر الإطار الذي لا يليق بهن... ولكن من خلال خطوات عملية...

فلقد رأينا قصص نجاح متعددة داخل الجمعية، لسيدات كسرن حاجز الخوف من المجهول أو عدم التأييد والخجل، وانطلقن للعمل والإبداع، غير آبهات بظروفهن الاجتماعية، أملا في تغيير الأوضاع حولهن...

ينظرن إلى إحلامهن بعين الإمكانية.. قمن بعمل مجتمع صغير يتم فيه بث الطاقة الإيجابية بينهن...

ورأيت أنه من واجبي أن أدعمهن بنقل تجربتهن الفريدة.. ومن ثم يجب أن نقوم جميعا بدعمهن بكل الوسائل الممكنة لإنجاح عملية التغيير، التي ستسهم في تطوير المجتمع بأكمله، لتحقيق أهداف جديدة والارتقاء إلى مراقٍ جديدة...

يجب أن ينظر السادة المسؤولون إلى هذه المشكلة الضخمة بعين الاعتبار، وهي مشكلة الطلاق، لحلها من جذورها، وتفعيل التجربة الماليزية للتأهيل قبل الزواج.

لقد أوجدت ماليزيا حلا عمليا للطلاق.. استطاعت بتطبيقه خفض نسب الطلاق من ٣٢٪ إلى ٨٪، خلال العشر سنوات الأخيرة، وذلك بتفعيل مشروع (رخصة الزواج) الذي هو بمثابة شهادة يحصل عليها الشباب المقبلون على الزواج، وبموجبها يلتزم هؤلاء الشباب بحضور دورات تدريبية في مراكز متخصصة يحصل بعدها المؤهَّلُ منهم على تلك الرخصة..

إذ يدرس مواد شرعية حول الحياة الاجتماعية قبل وبعد الزواج، ويتلقى دروسا حول الحياة الصحية والنفسية والروحية للزوجين.

كما ترمي الخطة المذكورة إلى تدريس هذه الثقافة في المدارس، إضافة إلى التوجه نحو الإعلام المفتوح...

أما نحن فيجب علينا، إضافة إلى ما سبق، أن نتوجه لمساعدة المرأة على استكمال حياتها بشكل لائق بعد الطلاق، وذلك بتعديل القوانين بما يوافق الظروف الحالية، دون الإضرار بمصالح أي طرف من الطرفين.

تقول مها سامي: (جميع نساء الجمعية تحلين بالجرأة والشجاعة، ونظرن لأنفسهن بإجلال واحترام، ولم يرفضن فقط تلك العلاقات المليئة بالآلم والإهانة، وإنما رفضن أيضا أن يهدرن أوقاتهن فيما لا يفيد).

وأضافت قائلة:

(أملنا أن يتم تأييد دعوتنا لتغيير نظرة المجتمع للمطلقات، وتقييمهن بعيدا عن الحالة الاجتماعية، ومساندتنا من قبل جميع الجهات المعنية.. وأملنا أن يساهم الرجل المصري المثقف في مساندة دعوتنا، بحيث يكون شريكا للمرأة في قضيتها).

وقالت نرمين إحدى العضوات: (عملنا بمنتهى الجد على تغيير أنفسنا حتى تتغير النظرة لنا ولمن هن في مثل ظروفنا، وذلك أملا في تغيير الأوضاع بشكل عام).

بينما قالت مدام نجلاء المتحدث الرسمي باسم الجمعية: (أوجه حديثي لأخواتي المطلقات والأرامل.. إن أمام كل واحدة منكن اختيارين لا ثالث لهما.

إما أن تصدري قرارك وتمضي قدما، وإما أن تقرري البقاء حيث أنت، والانزواء لبقية عمرك تتحسرين على آمال لم تتحقق ومواهب لم تقدر.. أحرِقي زوارقكِ القديمة وانوي تغييرا حقيقيا).

كان هذا أول تحقيقاتي بخصوص هؤلاء السيدات... انتظروا مزيدا من التحقيقات والأخبار حول هذا الموضوع خلال الفترة المقبلة.

رانيا سعد الدين

طويت الجريدة في فرح، وقلت:

- اللـه يا رانيا، ربنا يفرح قلبك زي ما فرحتينا وبتحاولي تساعدينا.

ثم نظرت إلى ملك قائلة:

- خلي ندى تنزّل بوست على صفحة الجمعية على الفيس بالخبر الحلو دا.

وبعد ساعتين، رن هاتفي المحمول...

- أيوه يا رانيا... لسة كنت هتصل بيكي.

- طبعا إنتي دريانة بحاجة! من الصبح وأنا بتشتم بسبب المقالة اللي نزلتها عنكم.

قلت باستغراب:

- ليه كدا؟ هو إنتي كتبتي حاجة غلط؟

- لأ يا بنتي مش الفكرة، أنا متوقعة أصلا... الكل بيتهمني إني بشجع الستات على الطلاق، والمجتمع مش ناقص خراب وكلام كدا... بس بالمناسبة كذا حد من زمايلي الصحفيين كلموني وسألوني عنكم، وهتلاقيهم الفترة الجاية بيتواصلوا معاكي...

عموما ماتقلقيش.. إنتي صح، وربنا بإذن اللـه هيوفقك.

وفي يوم الجمعة...

صعد الشيخ عبد الواحد المنبر، بعدما استجمع قوته، ثم بدأ كلامه قائلا:

الحمد للـه رب العالمين... الحمد للـه الحق المبين الذي خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء...

إن الحمد للـه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللـه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له...

دلنا على ما يرضيه، وشرع لنا من الأحكام ما يرتضيه، وأشهد أن محمدا عبد اللـه ورسوله، ثم أما بعد...

يقول ربنا جل وعلا في كتابه الكريم: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللـه ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرةُ من أمرهم».

فلقد أمرنا اللـه باجتناب الهوى، والتزام شرعه، والبعد عن نواهيه...

إخوتي في اللـه..

كما شرع اللـه لنا الزواج فقد شرع لنا الطلاق...

فالغرض من شرع اللـه سعادة البشر، وحينما يتعكر صفو الحياة الزوجية بمشكلات لا يمكن حلها، فإن استمرار الحياة الزوجية على هذه الحال سيُحيل بيوت المسلمين إلى جحيم لا تطاق... وهو ما لا يرضاه اللـه عز وجل...

إذ كيف يوثق الإنسان نفسه برباط لا فكاك منه؟

وكيف نحرم على بناتنا ممن يذقن صنوف العذاب في بيوتهن الطلاق؟

كيف نحرم ما أحل اللـه بشكل مباشر أو غير مباشر بمعاقبتهن، بعد أخذ قرار الطلاق، بظلم اجتماعي، بنظرة لا أساس لها في الشرع والدين، وظلم مادي من طليقها انتقاما منها على استعمال حق مشروع كفله لها اللـه، إذا كانت تستحيل العشرة بينهما؟

حينما شرع اللـه الطلاق لم يشرعه كعقوبة للمرأة، كما هو في عصرنا الحالي..

ولم يشرعه اللـه لترك المطلقة لهمومها وأحزانها، وأكل أموالها وحقوقها بالباطل..

بل على العكس تماما، فلقد شرع اللـه لها حقوقا لتطييب خاطرها... وهي حقوق على طليقها،

وحقوق على أهلها، وحقوق على جماعة المسلمين...

وفي مسجد النور بالعباسية، كان الشيخ عبد الرازق يلقي الخطبة قائلا:

- فأما حقها عند طليقها فبيّنته الكثير من آيات الذكر الحكيم، وهي حقوق واجبة الأداء، وليست سلاحا للابتزاز أو مجالا للتفاوض لسلب حقوق بناتنا... فلقد حذرنا اللـه وشدد على هذه الأمور، لدرجة تسمية سورة في القرآن بسورة «الطلاق» التي فيها تحذير واضح بقوله تعالى: «ومَن يتعدَّ حدودَ اللـهِ فقد ظلم نفسه».

وكذلك بعض من آيات سورة البقرة، التي تم فيها ذكر بعض من أحكام الفراق بين الزوجين، وحلول مشكلات الأولاد، مرورا بحضانتهم وإرضاعهم والإنفاق عليهم...

فالويل كل الويل لمن يأكل حقوق طليقته بالباطل، ويجرها جرًّا لساحات المحاكم، فاللـه عليم بالنوايا وذات الصدور، وعليم بمن يتحايل ليكيد لمطلقته...

بل لقد حرص ديننا الإسلامي على امتداد أواصر الود حتى بعد الطلاق..

فقال اللـه تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم»... ويشمل ذلك البعد عما تنطق الألسن من الغيبة والنميمة، لما له من أثر سيئ على الأولاد..

أما حق المطلقة على أهلها أن يشدّوا من أزرها... فلا يلقوا عليها اللوم ليجعلوا كربها كربين، ولا يعيّروا زواجها مرة أخرى نظرا للخوف من أصنام مجتمعية، مثل نظرة الناس وغيره، فلا مانع من أن تستفيد من أخطائها وتتزوج مرة ثانية وثالثة.

أما حق المطلقة على جماعة المسلمين، فكما قال نبينا الكريم: «المسلمُ للمسلمِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا».

فالمطلقة هي الأم والأخت والابنة، و«لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»، فلا داعيَ لوصمهن بالفشل، والانتقاص والشك في أنهن لا يصلحن زوجات، والتقليل من شأنهن دون الرجال الذين مروا بنفس الظروف...

وإنكار زواج كل واحدة منهن دون إنكاره على طليقها...

كما يجب علينا المساهمة في رفع الظلم عن المطلقات، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقرابة المطلِّق الظالم يجب عليهم أن يعظوه، وينكروا عليه تصرفاته لو كانت ضد الشرع والدين...

كما يجب على جماعة المسلمين أن يسعوا لمعرفة الأسباب الحقيقية للطلاق، للحد منه، وفي نفس الوقت مساعدة المطلقات في الحصول على حقوقهن، وتذليل العقبات أمامهن.

أما في مسجد الرحمة:

- وأخيرا، فإنه يجب على المطلقات أن يبدأن بأنفسهن، بعمل تغيير حقيقي..

ومن ثم يقمن بنسيان الماضي ويتفاءلن بمستقبل مشرق، ولا يتوجسن خيفة من الزواج مرة أخرى...

فلقد كانت زوجة النبي الأولى السيدة خديجة رضي اللـه عنها وأرضاها ثيّبًا، تزوجت قبل النبي الكريم مرتين... ولم ينتقص ذلك من قدرها نهائيا...

بل على العكس، كانت أحب زوجاته إليه، وكان دائم القول إن اللـه لم يبدله خيرا منها...

بل وصل إحسانه إليها، حتى بعد وفاتها، إلى قيامه بتكريم صديقاتها اشتياقا إليها، وإحياء لذكراها...

وغيرها من الصحابيات اللاتي تزوجن مرتين وربما ثلاث مرات، وأشهرهن السيدة أسماء بنت عُمَيْس..

التي تزوجت بسيدنا جعفر بن أبي طالب، وسيدنا أبي بكر الصديق، وسيدنا علي بن أبي طالب...

فاصبري يا ابنتي، وتأكدي أن اللـه لا ينسى عباده، وانشغلي بحياتك حتى يعوضك اللـه من حيث لا تدرين ولا تحتسبين.

وأخيرا، فإن دعوتنا ليست لتشجيع بناتنا على الطلاق.. حاشا للـه.. ولكن هي دعوة لهن في استخدام حق مشروع في حالة استحالة العشرة...

مع تقبلنا الكامل لاختياراتهن ما دامت في نطاق الدين، ويجب أن نغلب ديننا على أهوائنا ونتقبل شرع اللـه، ونبتعد كل البعد عن تقاليدَ وأعرافٍ بالية، أصبحت أصناما تخالف كلامَ اللـه وهَدْيَ نبيِّه وتجرُّنا إلى الكثير من المفاسد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الحادي عشر: هنخلي الحلم حقيقة

«الأشخاص الذين يدّعون أن بعض الأهداف مستحيلة التحقيق يجب ألا يتدخلوا في محاولات غيرهم لتحقيقها»

جورج برنارد شو

قالت وهي تتحدث بتوتر:

- مش ممكن يا دكتور بعد ما صفحة الجمعية اتعرفت على الفيس بوك.. مش قادرة أقولك كمية التعليقات السلبية عاملة أزاي...

بصي مثلا، عندك كريم عبد الغفور، الكاتب الصحفي المشهور، كاتب إيه على صفحته...

«قامت إحداهن بعمل جمعية نسائية تصور للنساء أن الطلاق رحلة رائعة الجمال مليئة بالمغامرات.. لأ ومش بس كدا، دي كمان عاوزانا كلنا نساعدها ونقف جنبها ونسقفلها ونؤيد دعوتها... وعادي الست تطلق وتتجوز مرة واتنين مفيش مشكلة... وغيرها من الأفكار المستفزة، إلى متى سنسمح بانتشار مثل هذه التقاليع التي تضر بالمصلحة العامة، إلى متى سنسمح بكسر عاداتنا وتقاليدنا، لدرجة لن تجعل بيننا وبين المجتمعات الغربية أي فارق..

خوف المرأة من الطلاق يجعلها تسعى بكل الطرق والوسائل للحفاظ على بيتها... أما تيسير الأمر وكأنه رحلة إلى جزر المالديف سيجعل خراب البيوت أسهل مما سبق، وستزداد نسب الطلاق، والمصيبة في تأييد بعض شيوخ الأزهر ليهم.. وبعض المثقفين

#فضلا_أوقفوا_مثل_هؤلاء

#رايحين_بينا_على_فين»...

وبصي الست دي كمان اسمها شيري عبد السلام، من مشاهير الفيس بوك، وعندها فولورز كتير:

«بصراحة الموضوع استفزني جدا، ماكنتش ناوية أعلق ولقيت الوول كله عندي بيتكلموا في الموضوع دا، الست إياها اللي عاملة فيها مناضلة وعاملالي جمعية، يعني إنتي عشان مطلقة وست طالعلك شنب، عاوزة كل الستات يطلعلهم شنبات زيك؟ نفسي المطلقات يهدوا علينا بس شوية،

ما هو إنتي أكيد يعني ماتطلقتيش من فراغ... وتلاقيهم أكتر ناس بيشجعوا على دعاوى تعدد الزوجات، عددوا عليهم بدري

#ارحمونا_يرحمكم_ربنا

#أميتوا_دعوتهم».

قلت وأنا مبتسمة:

- وماله يا نجلاء.. ما براحتهم يعترضوا.. دا مش هيأخر في طريقنا ناحية أهدافنا ولا خطوة... دا رأيهم.. هُمّ حرين.

قالت بخيبة أمل:

- مش هكدب عليكي، كلنا في الجمعية محبطين لأن الهجوم شديد جدا... ودا خلانا حسينا إن تغيير المجتمع بقى من سابع المستحيلات.

- حددي طيب اجتماع يوم الاتنين الجاي، وأكدي عليهم كلهم ييجوا.

وفي الاجتماع...

- وحشتوني جدا.. بقالنا فترة ماعملناش اجتماعات... بصوا بقى، أنا النهارده اجتمعت بيكم عشان موضوعين، واحد مهم والتاني مش مهم...

وجدت علامات الدهشة على وجوههن.

تابعت حديثي قائلة:

- هبتدي بالموضوع اللي مش مهم...

حوار الناس اللي بتهاجمنا وبتهاجم طريقتنا في التفكير...

عاوزين بس نتفق على حاجة تحطوها قاعدة لازم تمشوا بيها في حياتكم... إذا كان العباد ماتفقوش على رب العباد، هيتفقوا كلهم علينا مثلا؟!

قالت هاجر بحزن:

- بس دا معناه إن ممكن فكرتنا تموت قبل ما تتولد أصلا!

قلت وأنا أضحك:

- إزاي بس! كل ما هنالك، أي حاجة جديدة في أولها لازم الناس تستغربها..

زي مثلا إنتي على سبيل المثال، ممكن تاخدي قرار استحالة هتلاقي كل اللي حواليكي متفقين عليه... دا مايحبطكيش أبدا، طالما درستي أبعاد قراراتك زي ما قلنا قبل كدا...

بصوا، الأول هفكركم بحوار يضحك كدا...

مين فينا فاكر الكيس البلاستيك اللي كانوا أمهاتنا بيحطولنا فيه السندوتشات وإحنا رايحين المدرسة؟ ونروح المدرسة نفتح الشنطة نلاقي الساندوتش بيلفظ أنفاسه الأخيرة.. لأنه بيكون داس عليه القطر رايح جاي عشر مرات، أثناء رحلة نقله من البيت للمدرسة!

ضحك جميع الحاضرين...

قلت وأنا مبتسمة:

- وجيلنا كله عاش واتربى على الكيس البلاستيك.. من كام سنة كدا... واحدة من الأمهات قطعت الكيس البلاستيك وقررت استخدام اللانش بوكس... قوم كلنا قلدناها... وشوية وبدأ ينتشر على صفحات الفيس بوك إزاي نحط ما لذ وطاب في اللانش بوكس... تخيلوا كدا لو طفل مننا زمان خد اللانش بوكس دا.. كان كل العيال هيستغربوه، واحتمال الميس تطرده أصلا برة الفصل.. خوفًا على باقي الأطفال من «ذلك الصندوق المغلق».

وعندنا أمثلة كتير لحاجات اتغيرت، إذا كان إحنا نفسنا بنتغير كل سنة عن اللي قبلها...

دوام الحال من المحال يا جماعة... دوام الحال من المحال، دي كلمة بتعدي علينا كدا مابنقفش عليها كتير، لكن هي فعلا حقيقية... بقولها لنفسي دايما، وبقولها لأي بنت بتقع في أي مشكلة... لو تفكري في حالك مثلا آخر خمس سنين من عمرك، هتلاقي إن كان فيه حاجات بتهمك مابقتش بتهمك... كان فيه حاجات مابتهمكيش بقت تهمك... أكل كنتي بتحبيه وبقيتي بتكرهيه والعكس... مشاكل كتير اتحلت... حاجات ماكانتش مشكلة وبقت مشكلة... ناس كنتي بتحبيهم ودلوقتي مابتطيقيش سيرتهم والعكس... نظرتك لأمور كتير ووجهة نظرك فيها اتغيرت...

هتفتكري أكيد موقف موّتي نفسك فيه من العياط، ودلوقتي أكيد اتحل أو لما تفتكريه بتضحكي أو أوحش الافتراضات نسيتيه... وغيرها وغيرها...

الشاهد من كلامي اللي فات، إنك ماتزعّليش نفسك وماتديش الأمور أكبر من حجمها، طالما أخدتي بالأسباب انتهينا، مفيش في إيدك حاجة تانية تعمليها، ارمي حمولك على ربنا... لازم تفهموا إن تغييرك إنتي أو رغبتنا في تغيير المجتمع حوالينا محتاجة صبر مننا.. ودا هينقلني للنقطة التانية... إن إحنا ماينفعش نختار نعيش في بؤس ونقعد نصوت زي مسعود في مسرحية وجهة نظر...

مفيش فايدة...

وللأسف أغلب مجتمعات المطلقات بتبخ البؤس والتنافس فيه.. ومش عاوزين إحنا نعمل كدا...

تلاقي مثلا جروب الفيس من دول اسمه من بابه حزن «طلاقي نهاية حياتي»... وتلاقي البوست المثبت... «شكري وتحياتي لمن دمر حياتي»...

شوية وتلاقي واحدة داخلة: «أنا طليقي دمرني وحدف عليه قنبلتين وجري»..

تقوم التانية ترد «أنا حدف عليه تلاتة والنبي يا أختي»...

دعونا نلطم في صمت...

من غير البحث أو تقديم أي حلول منطقية... ودا بالظبط اللي إحنا عملناه دلوقتي... كلنا اتأثرنا بالنقد تأثير سلبي..

قعدنا نندب مع بعض... كلنا جالنا إحباط... عاوزين فورا نبطل دا، وناخد رد فعل من اتنين:

يا ندور على حلول منطقية، يا ندور على معاني إيجابية.. إيه رأيكم؟

قالوا جميعهم في نفس واحد:

- تمام جدا.

قلت:

- اسمحولي أتكلم في الموضوع المهم.. إحنا من أول الجمعة والسبت الجايين هنجيب الأولاد معانا... يوم الجمعة يوم التربية... ويوم السبت يوم الترفيه.

هنجيب الأولاد والبنات طبعا، والأعمار مفتوحة، هنقسم المحاضرات وفقا لكل شريحة عمرية.

قالت مدام دعاء بحزن:

- طيب واللي ماعندوش ولاد.

قلت بعدما ابتسمت ابتسامة عريضة:

- تيجي برضه تساعدنا في تربية ولاد إخواتها، صح ولا إيه؟!

قالت بسعادة:

- صح.

قلت وأنا أوجه كلامي لجميع الحاضرين:

- شفتم مدام دعاء زعلانة إن ماعندهاش ولاد... في حين إن كل واحدة فينا اتطلقت بأولاد، كانت تتمنى إنها تخرج من غير ولاد يتظلموا وتشيل مسؤوليتهم.. ياترى أي وضع أفضل؟! الوضع الأفضل هو الوضع اللي إنتي فيه، لأن ربنا عالم بيكي وبقدراتك وبالرسالة اللي المفروض تعمليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبعد أن عدت لمنزلي في المساء، استقبلني أبنائي الثلاثة بحرارة وانصرفوا لغرفة الألعاب... ساقاني الفضول لأتابع الأمر عن بعد دون أن يروني، فوجدت الحوار التالي بين ولديّ حمزة وصهيب...

قال حمزة وهو يمسك دبابته الصغيرة:

- تعرف يا صهيب أنا بحمد ربنا إني ماطلعتش أم.

رد صهيب ببراءة:

- ليه؟

- عشان الأمهات بيتعبوا أوي عشان ولادهم... أنا لما أكبر هبقي راجل وهريح نفسي، هروح الشغل بس وهرجع أنام براحتي.

رد صهيب بعد أن لمعت عيناه:

- أنا كمان الحمد للـه إني ماطلعتش أم.

ثم قال بنظرة شريرة:

- فاطمة (شقيقتهما) هتطلع أم وهتتعذب.

وتوالت ضحكاتهما الصغيرة الممتزجة بشر طفولي.

ضحكت في سري:

- أهلا بالذكور الصغننة.

طرقت الباب عليهما، فقال حمزة من الداخل:

- ادخل.

دخلت وجلست بجوارهما على الأرض، وشاركتهما اللعب، ثم قلت فجأة:

- مين فيكم راجل.

نظر حمزة بزهو إلى عضلاته:

- أنا.

فقلده صهيب على الفور:

- وأنا كمان.

- إنتم عارفين طبعا إني أم وتعبانة.

قال حمزه بأسى:

- آه فعلا إحنا عارفين.

قلت بخبث:

- مين فيكم هييجي معايا الجمعية يوم الجمعة؟ كل الأمهات تعبانين زيي، وعاوزين الرجالة الأقوياء يساعدونا إننا نعمل شوية حاجات هناك وهنروقها.

هب حمزة واقفا بزهو:

- أنا طبعا.

فقال صهيب بتشكك:

- تيتة بتقول الترويق بتاع البنات بس يا ماما.

- طيب ممكن بس تيجوا معايا إنتم وفاطمة ونشوف هنعمل إيه؟

قالا ببراءة:

- ماشي.

وفي يوم الجمعة...

كان من أسعد أيام حياتي... توافد الأطفال مع أمهاتهم... كانت تمتلئ أعينهم الصغيرة بمزيج من الفضول والسعادة لوجود هذا الكم من الأطفال... شعرت أن الأمل الحقيقي في هؤلاء الصغار.

بدأت الدكتورة نهى الطنب اللقاء بحدوتة تربوية للأطفال صغار السن...

لشرح الطلاق بأسلوب مبسط...

«كان فيه مرة قطتين إخوات اسمهم ميشو ومشمش...

كانوا عايشين فرحانين وسعداء وكلهم بيحبوا بعض

ماما بتحب ميشو ومشمش

وبابا بيحب ميشو ومشمش

وميشو بيحب مشمش

وفي يوم من الأيام باباهم قالّهم أنا لازم أروح أعيش في بيت لوحدي...

ميشو ومشمش قعدوا يعيطوا ويقولوا: ليه يا بابا؟ هو انت خلاص مابقتش تحبنا ولا بتحب ماما؟

قالّهم: أكيد بحبكم وبحب ماما عشان هي مامتكم.

قالوا له: طيب ومين هيجيبلنا لعبنا وحاجتنا؟

قالّهم: أنا طبعا.

قالوا له: إنت ليه هتمشي يا بابا؟ هو إنت وماما زعلتم مننا في حاجة؟

قالّهم: لأ خالص مازعلتش منكم، بس لازم أروح بيت تاني أنام فيه... وهنفضل نتقابل ونخرج كلنا أنا وانتو وماما.

راحت مامتهم قايلة: علاقتي بيكم وعلاقة بابا بيكم حاجة دايمة، إحنا الاتنين هنفضل باباكم ومامتكم وهنفضل نحبكم.

لكن علاقتكي أنا وبابا ببعض مش دايمة... عادي ممكن بابا يتجوز واحدة تانية وأنا كمان..

بس المهم في دا كله إننا هنفضل نحبكم ونبص على مصلحتكم قبل أي حاجة.

ومن بعدها قام الباشمهندس محمود الأسعد بإعطاء المراهقين محاضرة بعنوان: «الحيطان ليها ودان ولا الملايكة عندها أقلام؟»..

كان الهدف منها التأكيد على الخوف من اللـه وليس من كلام الناس..

ومن ثم أعلنت مدام نجلاء عن وقت البريك..

قلت وأنا أنظر إليهم:

- يا ترى مين هيساعدنا في تحضير الغَدا؟

قامت كل بنت في القاعة من مكانها، ولم يتحرك ولد واحد من مكانه.

ضحكت قائلة:

- مين من الشباب هيساعدنا؟!

قال أحد الأطفال:

- إحنا مانعرفش نطبخ يا طنط، وبعدين الطبيخ دا مهنة البنات.

توجهت ناحيته وقلت وأنا أداعبه:

- أومال الشيفات الرجالة اللي بيطلعوا في التليفزيون دول إيه؟ وكمان بيطبخوا أحسن من الستات.. بصوا بقى.. مين فيكم راجل؟

قال الجميع بأصوات عالية:

- أنا.. أنا.. أنا..

- حلو أوي.. وتفتكروا مين أقوى؟ الراجل ولا الست؟

قال الأطفال دون تردد:

- الرجالة طبعا.

قلت:

- حلو أوي، عاوزين الرجالة الأقويا يساعدوا إخواتهم البنات وأمهاتهم في كل حاجة في البيت...

لأنه أقوى منهم، وكمان بيحبهم وهيبقى عاوز يساعدهم عشان يريحهم..

مين قوي وهيساعدنا؟

وجدت جميع الأطفال هبوا من كراسيهم، وتدافعوا نحوي في حماسة..

قلت بسعادة:

- إنتم عارفين إنكم كدا هتعملوا زي الرسول بالظبط؟ لأنه كان راجل قوي، فكان بيساعد أهل بيته في شغل البيت، وبيكنس، وبيعمل حاجته لنفسه كمان، مش بس بيساعدهم.

وبعد الانتهاء من إعداد الطعام، قاموا بمساعدتنا بغسل الأطباق وإعادة الوضع كما كان عليه...

وفي نهاية اليوم قلت وأنا أودعهم:

- بكرة بإذن اللـه هنخرج كلنا هنروح الأزهر بارك، هنفرح وهنلعب عشان كلكم كنتم شاطرين النهارده، احترمتم بعض، وكل واحد فينا ساعد باللي قدر عليه، فلازم نعملّكم خروجة حلوة وهندّيكم هدايا كمان...

وبالنسبة للأمهات عندنا اجتماع مهم جدا يوم الحَدّ... في انتظاركم بكرة بإذن اللـه قدام الحديقة الساعة عشرة صباحا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عارفين يعني إيه ابني راجل؟!

قالت مدام شاهيناز ضاحكة:

- آه طبعا، يعني الكلمة اللي بتقولها الأمهات اللي عندها ولاد بمنتهى الفخر والاعتزاز: أنا عندي راجل وسيد الرجالة كمان!

قلت ضاحكة:

- آه بس دا مش المعنى اللي أقصده...

«ابني راجل» مش معناها إني خلفت راجل، لأ... معناها إنتي قومي ببناء رجل، بحس أكبر تحدي ممكن أواجهه في الدنيا إني أطلّع ابني راجل بمعنى الكلمة..

راجل عند كلمته، ومايخافش، وبالتالي مايكدبش، راجل يشيل مسؤولية نفسه وإخواته، راجل يعرف إن الرجولة تكليف مش تشريف... راجل عنده دين ويقف عند حدود اللـه ويخاف يتعداها... راجل يحترم الست سواء أمه أو أخته أو مراته... راجل يراقب اللـه في كل تصرفاته...

راجل قوي، وصاحب قرار، وعنده شخصية وحكمة...عارف يقول إيه إمتى وإزاي...

كل واحدة عندها ولد تسعى بكل قوتها إنها تزرع فيه معاني الرجولة الحقيقية، اللي للأسف بقت نادرة جدا...

وفي نفس الوقت... ابني امرأة

امرأة قوية مستقلة بذاتها واثقة في نفسها... غرّقيها مشاعر عشان ماتروحش تدوّر عليها برة... علميها العطاء، بس العطاء المتبادل بينها وبين اللي حواليها، ماتعيشّي تضغط على نفسها... علميها فضل الزوج والزواج، ولكن ماتعظميش الأمر في دماغها فيوصل للتمحور زي ما جرالنا..

علميهم الاتنين يختاروا شركاءهم في الرحلة الصح بناء على أسس..

أثناء تربيتكم ليهم ماتفرّقوش بين ولد وبنت أبدا مهما حصل...

إوعوا تكرروا نفس التصرفات الجاهلية اللي حصلت معانا...

قالت مدام نجلاء:

- يا ريت توضحي أكتر.

قلت بحزن:

- كام واحدة فينا كانت بتخدم إخواتها الولاد وهمّا شايلين إيدهم تماما من كل حاجة؟

كام واحدة فينا كان بيتضغط عليها عشان تشيل مسؤولية نفسها وإخواتها؟ في حين أخوها موجود ولا عارف يشيل مسؤولية اللي حواليه، ولا حتى مسؤولية

الشراب اللي بيرميه في الأرض...

كام واحدة فينا أهلها كانوا بيتعاملوا مع أخوها بمبدأ إنه هو اللي لازم يأمر وينهي ويشكم، حتى لو كان أصغر منها... وكانت بتوصل أحيانا لمد الإيد بدون أي رد فعل من الأهل؟

كام واحدة فينا لقت أخوها مصاحب خمستلاف بنت، يخرج وقت

ما هو عاوز ويرجع وقت ما هو عاوز من غير ما يتقال له حرام، في حين هي بيتم منعها من حاجات عاديه جدا تحت مسمي العيب؟

كام واحدة حست إن أهلها مهتمين بتعليم إخواتها الولاد عنها، أو بيتعلموا السواقة وهي لأ عشان بس همّ (رجالة) من غير إبداء أي أسباب مقنعة تانية؟

كام واحدة فينا حست قد إيه حماتها بتفرق في التعامل بينها وبين جوز بنتها، لأنك ببساطة واحدة ست لازم تاخدي على دماغك وتتحكم في كل حاجة تخصك، إنما هو راجل وبنتها في إيده؟

كم واحدة حست إن حماتها بترضالها اللي مابترضاهوش لبنتها مثلا؟

وغيرها وغيرها من التصرفات، اللي خلتنا حسينا إن فيه انعدام مسؤولية بين قطاع كبير من الرجالة، وبقت فيه فجوة كبيرة خلت إن فيه عدد لا بأس به من البنات تقول أنا حاسة إني أرجل من جوزي...

كل دا أدى إلى إن البنات كبر عندهم الشعور بالدونية لمجرد إنهم بنات، والولاد اندعم عندهم الشعور بالغرور لمجرد إنك راجل..

مابقيناش بنتقيّم مين أكفأ في إيه

بقينا نتقيّم راجل وست

ودا جرّنا لإننا بقينا نتقيّم على أساس وضع اجتماعي للست غير الراجل..

ربنا لما قال «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة»، الدرجة دي درجة مسؤولية... تكليف أقسم باللـه مش تشريف...

علمي ولادك البنات والولاد الإنسانية...

علميهم نفس القيم والمبادئ، بغض النظر مين فيهم ولد ومين فيهم بنت... الإنسانية كلمة ماكنتش بركز في معناها أوي، لحد ما الواحد شاف كتير أوي في الدنيا فعلا، ولقيت إن الإنسانية شعور مش موجود عند ناس كتير... عشان كدا لما حد بيشتم حد بيقولّه يا حيوان...

لأن الحيوان ماعندوش إنسانية رغم إن عنده شعور..

يعني الكلب عنده وفاء شديد

والحصان بيحس وبيبكي

الإنسانية من وجهة نظري هي إنك تعلميهم:

يحسوا بالناس

يعاملوا زي ما بيحبوا يتعاملوا

يحطوا نفسهم مكان اللي قدامهم ألف مرة قبل ما يصدروا أحكام

يرحموا الأضعف منهم مش يستقووا عليهم

يقفوا جنب الناس اللي محتاجينلهم

إن اللي حواليهم يحسوا بحبهم وتقديرهم ليهم، بكلمات ومواقف ولو بسيطة

إنهم مايظلموش حد

إنهم يعذروا الناس

مايكونش عندهم أنانية

إنهم يحترموا الأصغر منهم

إنهم مايكونش عندهم كبر عن الحق وتمسك بالباطل

عندهم شجاعة الاعتراف بأخطاءهم

من الآخر يكونوا صالحين بمعني الكلمة...

أوقات كتير بحس إن أسباب انتشار الظلم في مجتمعنا، بجانب طبعا عدم الخوف من اللـه، هو انعدام الإنسانية في كل العلاقات بين الناس

الآباء والأبناء

الناس مع بعض في الشغل

الراجل ومراته والعكس

الأصدقاء

والأدهي إن ناس كتير للأسف فقدوا الإنسانية والشعور، فبقوا في درجة أقل من الحيوانات...

لو بصينا على الصفات اللي كتبتها، هنلاقي إن دي صفات الرسول عليه الصلاة والسلام،

علّمي الولاد يقتدوا بسنته.. وعلّمي البنات إزاي يكونوا أمّهات في المستقبل...

من الآخر ربّي ولادك بمنتهى العدل والإنصاف... لو كل واحد فينا عمل كدا مع ولاده، هنلاقي جيل كامل من الأفراد المختلفين في طريقة التفكير...

هنراجع إيه؟ أخطاء الماضي، ونشوف مشكلات الحاضر...

كفاية بس دلوقتي ناخد القرار مبدئيا بصدق..

ونخطط للمستقبل بالمشاركة مع ولادنا في اللي هيناسبهم..

بس لازم نخطط تخطيط صح، وكمان نسيبهم ياخدوا القرارات المصيرية اللي تخص حياتهم، هنخطط معاهم إزاي، ونعلمهم إزاي، دا موضوع كبير هنعمّله قصة لوحده على جنب.

فرح الجميع لهذا الخبر، وبدأت الأحاديث الجانبية فيما بينهم، تعبيرا عن رضاهم عن الفكرة...

وفجأة رن جرس الباب...

ذهبت ندى لتفتح، وبعد ثوان:

- دكتور مها، دسوقي البواب عاوزك ضروري.

خرجت لأعرف ما الذي يريده، وجدته يقول بارتباك:

- فيه ستات كاتير جووووي تحت يا ضاكتوره، مصممين يطلعولك هنا، ولما سألتهم بخصوص إيه جالولي بلّغها وبس...

قلت بعد أن قطبت جبيني:

- غريبة، خليهم يتفضلوا...

وماهي إلا دقيقة حتى وجدت جمعا من السيدات، نحو عشرين سيدة تتراوح أعمارهن ما بين الثلاثين والأربعين...

نظر إليهن جميع العضوات بقلق، وقلت باستغراب:

- أهلا وسهلا، نقدر نساعدكم بإيه.

قالت واحدة منهن:

- الصراحة، سمعنا عن الجمعية بتاعتكم، إحنا مش مطلقات، بس كلنا بنفكر جديا في الطلاق.

قلت بعدما تنهدت بارتياح:

- هههههه.. مش تقولوا طيب! اتفضلوا.

رحبت عضوات جمعيتنا بهن، وقامت ملك وندى بجلب كراسي إضافية... عدت ووقفت في مكاني وقلت:

- أنا ماعنديش مانع إنكم تنضموا للجمعية طبعا تنورونا، لكن المانع اللي عندي إنكم تكونوا بتتطلقوا لمجرد اقتناعكم بدعوتي...

قالت إحداهن:

- بصراحة إحنا اتخنقنا من معاملة اجوازنا وإهمالهم لينا...

قلت:

- أرجوكم إدوني فرصة أسألكم شوية أسئلة مش عاوزة إجابتها بشكل علني...

اكتبوا الأسئلة ورايا في ورقة، وكل واحدة منكم تقعد تبص لها بعمق مرة واتنين وتلاتة...

وهديكم فرصة بعد ما تجاوبوا على أسئلتي إجابات منصفة بينكم وبين نفسكم، إنكم تاخدوا القرار الأسلم لحياتكم... اللي هيكون نابع عن اقتناع مش انفعال لحظي...

ثم ابتسمت:

- خلونا الأول نتعرف على كل واحدة فيكم، وتدينا نبذة مختصرة عن مشكلتها...

وبعد أن استمعنا إليهن جميعا قلت:

- أكيد مهما سمعنا الكلام اللي قلتوه عمره ما هيكون كافي إننا نحكم.

قالت إحداهن (تدعى مدام جيجي):

- أومال ليه حضرتك خلتينا نحكي؟

ابتسمت بغموض:

- لحظة واحدة وهتعرفي..

مدام نجلاء.. إيه رأيك مدام جيجي تطلق ولا لأ؟

- ياه، اللي حكيتيه ولا حاجة جنب اللي شفته، أنا لو منك عمري ما هتطلق.

أدرت بصري باتجاه أمنية:

- وإنتي يا أمنية إيه رأيك؟

قالت بسرعة:

- لأ طبعا ماقدرش أستحمل اللي هي حكِته دا ولا يوم واحد.

ارتفع حاجبا السيدة من الدهشة..

وجهت كلامي لهاجر:

- وإنتي يا هاجر؟

- أنا شايفة إنها تستحمل كمان شوية، ولو ماتظبطش تتطلق.

ابتسمت ابتسامة عريضة، وقلت موجهة كلامي لجيجي:

- ها.. تحبي أجيبلك رأي رابع وخامس؟!

لم تنطق السيدة بكلمة واحدة، وقالت وهي دامعة العينين:

- طب والحل؟!

توجهت بنظري نحو جمع السيدات، وبعد أن تنهدت:

- الطلاق مش سهل، وإدارة بيت وتحمل مسؤوليته مش سهلة..

إنك تربي ولادك بين أب وأم مش متفاهمين مش سهل، وإنك تربي ولادك من غير أب خالص برضه مش سهل...

عاوزين تعرفوا الحل؟!

الحل عندك إنتي وبس...

العلاقه الزوجية شيء في منتهى التعقيد، ما يعلم اللي ما بين الزوجين إلا اللـه.. إوعي تروحي تحكي لحد.. إلا المشاكل اللي محتاجة فيها ضهر وسند يُقفلك... غير كدا الحوارات العامة إوعي.. ماحدش هيديكي رأي يناسبك...

لأنه ببساطة هيقولّك كلام وفق قناعاته وتجاربه...

قالت مدام جيجي بنفاد صبر:

- آه، إيه الحل بقى؟!

- فيه حاجتين...

أولا: إنك تكوني صريحة مع نفسك لأقصى درجة في الأسئلة اللي هقولكم عليها...

وثانيا: يوم ما تقرري تخرجي من العلاقة هيكون عشان دا فعلا الحل الأسلم... وهتخرجي وإنتي بتنفضي إيدك وبتقولي «ليس في الإمكان أكثر مما كان»...

خليني الأول أقولّك الأسئلة:

«أسئلة مها لمن تفكر في الطلاق»

حاولتي محاولات بجد عشان العلاقة تتصلح؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

حاولتي كام مرة؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

هل سجدتي ودعيتي ربك بصدق وإخلاص يدلك على السبيل؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....

كنتي صريحة مع نفسك في عيوبك اللي إنتي أكيد عارفاها كويس، وحاولتي تصلحيها من غير جلد لذاتك ولا إلقاء لوم على الآخرين؟!

حاول تي تقعدي معاه قعدة صدق عشان تقربوا بينكم وجهات النظر؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وصل الأمر لشقاق فظيع، والدنيا مش نافعة، قمتي جبتي حكم من أهلك وحكم من أهله من الناس اللي عاوزة الإصلاح عشان يشوف مين غلطان؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

عملتي كل اللي ما يعمل، والموضوع واصل لمرحلة لا تطاق بتضر نفسيتك ونفسية أولادك؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....

حاولتي بذكاء المرأة تتحايلي على الوضع، وعملتي الممكن واللاممكن عشان تعيشي؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

قرأتي عن سيكولوجية الرجالة وسمعتي من متخصصين؛ إذ ربما بتعملي حاجة غلط وإنتي مش عارفة؟!

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

بس اقفي هنا بقى...

فيه ناس رأيها إنه مفيش داعي نضيع وقتنا في علاقات فاشلة، وإننا نمشي بدري بدري والكلام ده...

الحقيقة أنا مع الكلام ده، بس بصراحة مش أوي.. بحس الاستعجال في إنهاء علاقة بيخلي الواحد يندم بعدين..

وممكن يأنب نفسه

ويحس إنه قصّر في حاجات

وخاصة إن العقل بعد انتهاء أي علاقة بيسترجع بس اللحظات الجميلة..

واللحظات الوحشة لو مش كتير بتتنسي للأسف.. من خلال خبرتي المتواضعة في الحياة... بحس إن أي علاقة يتحطلها جدول زمني معين..

خلال الوقت ده الواحد يبذل كل ما أوتي من قوة لإنجاح العلاقة

ويعدّي

ويفوّت

ويشتري

ويتنازل حبتين

لو لقى عدم تقدير من الطرف الآخر، فورا بعدها مايستمرش في العلاقة دي ولا ثانية زيادة... هيبقي عندك مخزون من المواقف يكفيكي لحد ما تموتي، وكل ما تفتكريها عمرك ما هتشعري بالندم..

وطوحي بطول دراعك بلا رجعة، واخرجي من العلاقة وإنتي بتنفضي إيدك وبتقولي

«ليس في الإمكان أكثر مما كان»..

في اللحظة دي بيبقى الواحد عنده ثقة عمياء لمياء... إن فعلا العلاقة مش نافعة - مين لمياء؟ ماعرفش ما علينا - وساعتها هقولّك إنك عمرك

ما هتبصي وراكي تاني أبدا...

إوعي تخافي تاخدي قرار الطلاق، وإنتي في علاقة فاشلة على كل المستويات بشهادة الجميع!

وإوعي تقرري الطلاق نتيجة تسرع وانفعال لحظي، بدون دراسة حقيقية وسعي حقيقي لإصلاح العلاقة..

إوعي تستمري في علاقة فاشلة وتدمري ولادك خوفا من المجتمع!

وإوعي ماتستمريش في علاقة قد تبدو ليكي فاشلة، في حين إنها مش فاشلة ولا حاجة، وإنتي بس محتاجة تصارحي نفسك، وبرضه تدمري ولادك!

لازم تفهموا إن لا الطلاق فسحة ولا الجواز فسحة..

ولا ينفع كلنا نعيش زي بعض... أو نحط نفسنا جوة قوالب جامدة ونبقى نسخ من بعض..

ولا ينفع آخد رأي اللي حواليّا في قرارات مصيرية... آخد مشورة وأسمع آه.. آخد رأي وأنفذ لأ.. كل واحد فينا ليه رسالته في الحياة يختار الطريق اللي يناسبه بمنتهى التعقل، ومن غير ما يضر اللي حواليه.

لازم يكون القرار في صالح كل الأطراف، إنتي، وولادك، وحتى هو.

انتهى الاجتماع بعد أن وعدتني كل واحدة منهن بأن تصارح نفسها، وتعود عما قريب لتخبرنا بقرارها النهائي...

واتفقنا على أن يُعقد الاجتماع التالي بعد أسبوع..

واتفقنا على تثبيت يوم الاثنين لعمل مناقشات لمتابعة خط سير كل واحدة منهن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بصي يا مها... بيقولّك في الأخبار: عضو مجلس شعب مقدم مذكرة فيها مقترحات لتعديل قوانين محكمة الأسرة...

نسب الطلاق زادت بشكل رهيب، وللأسف فيه رجالة مابتصرفش على ولادها، وستات بيمنعوا طليقهم من رؤية الولاد... لازم فعلا قوانين تحط حد للمهازل دي...

قلت بعد أن تنهدت بحرارة:

- يا رب يا ماما... إنتي عارفة إن المشكلة الحقيقية إننا هنا في مصر مابناخدش قرار الطلاق عن قناعة تامة من الطرفين بإن الحياة مستحيلة.. بيبقى غالبا تحت ضغوط الشعور بالكرامة أو تدخل الأهل أو عدم صراحة كل واحد مع نفسه، فتلاقيه هو بعد الطلاق بينتقم وهي تنتقم، والموضوع بيقلب خناقة..

نفسي أشوف حالة طلاق محترمة بمعنى الكلمة...

- ليه؟ هو أنا ماحكيتلكيش على ابن طنط حنان؟

- يانهار أبيض، هو ابن طنط حنان طلق مراته؟

- آه... بس ما شاء اللـه ربنا يحميهم، مامته بتقوللي خرج من البيت بشنطة هدومه وشنطة أوراقه.. وسابلها كل حاجة بمعنى الكلمة..

طنط حنان قالتلي وهما قدام المأذون قالها إنتي طالق يا ليلى، بس مع احترامي...

والبنت قالت له وأنا عمري ما هنسى الأيام الحلوة اللي قضيناها مع بعض، ودول ولادك مهما حصل.

قلت باهتمام:

- كملي يا ماما.

- المهم يا ستي بيديلهم مصروف شهري زي اللي كان بيصرفه عليهم وهو معاهم بالظبط... لدرجة طنط حنان قالت له: حرام عليك نفسك يا وائل هتتجوز إزاي؟!

راح قايلّها: من فضلك يا ماما هو إنتي اللي هتتحاسبي ولا أنا؟ من فضلك ماتتكلميش معايا في أي حد من حدود ربنا...

ومثبّتين يوم في الأسبوع بيخرجوا كلهم مع بعض... هو وهي والأولاد، وبيكلمهم وبيكلموه... وبياخدهم يباتوا معاه يوم أو يومين في نهاية الأسبوع، حسب الظروف...

- ما شاء اللـه... يا رب دا يبقى الوضع الطبيعي.

وخلال الأسبوع الذي سبق الاجتماع، كانت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تتحدث عن جمعيتنا، وارتفاع معدلات الطلاق، وتعديل القانون.. ما بين مؤيد ومعارض... وتوافد العديد من الصحفيين والمحطات الفضائية على الجمعية للاطلاع على الأمر عن قرب...

كنت أدعو اللـه أن يهدينا لما فيه صلاح أحوالنا.

وفي الاجتماع...

- النهارده بإذن اللـه هنسميه يوم سؤال وجواب... كل واحدة عندها استفسار يا ريت تقوله ونجاوبه مع بعض... أي واحدة عندها مشكلة تعرضها علينا ونفكر فيها سوا... أي حد فيه حاجة شاغلة باله يقولها، ونحاول نلاقي أسلم طريق...

خلوني بس الأول أرحب بعضواتنا الجداد المتزوجات..

ضحك الجميع...

قالت مدام جيجي:

- أنا جاوبت على الأسئلة اللي قولتيلنا عليها المرة اللي فاتت.

- وبعدين؟

- زي ما وضّحتلكم المرة اللي فاتت، إني سايبة البيت بقالي خمس شهور تقريبا، وبعد ما مشيت من هنا وقعدت مع نفسي قعدة صراحة زي ما طلبتي مننا، لقيت إن كان ممكن نتقابل في نقط كتير، بس أنا حكّمت رأيي في شوية أمور... ورفعت قضية طلاق زي ما حكيتلكم.

نظرت إليها بسعادة:

- برافو يا جيجي، وبعدين؟

- اتصلت بيه واتقابلنا وأقنعته يقعد هو كمان مع نفسه ويعترف بأخطاؤه، ووعدته إن أسلوب إدارتي للأمور هيتغير معاه... اتبسط جدا ووعدني إنه هيكلمني بعد ما يقعد مع نفسه قعدة صدق، ومن غير ما يحكي لأي حد، عشان مايشوشّي تفكيره.. واتفقنا مع بعض إن أي قرار هنوصلّه سواء كملنا أو ماكملناش، هنكون متفاهمين فيه لأبعد الحدود...

ولو كملنا جوازنا هيكون جواز محترم..

ولو اتطلقنا برده هيكون طلاقنا محترم..

أدرت نظري بين الحاضرين:

- ياه.. بجد نفسي فعلا دا النموذج اللي نوصلّه...

إحنا مش في حرب صراع الجبابرة وتحدي الأقوياء، ونظرية الغاب والبقاء للأقوى...

إحنا داخلين شراكة بأهداف، لقينا الشركة بتقع هندور مع بعض على الحلول عشان المركب ماتغرقش..

مالقيناش حلول عشان الشركة تكمل، يبقى هنلاقي أكيد حلول إننا مانخسرش... ونخرج من الشركة وكل واحد فينا مَرْضي ومبسوط.

قالت مدام إيمان، إحدى عضوات الجمعية القدامى:

- أنا فيه موقف بايخ حصلّي الأسبوع اللي فات، وغصب عني أعصابي انهارت...

قلت بقلق:

- خير يا إيمو؟

أكملت حديثها قائلة:

- واحد راجل كبير في السن عنده ٥٧ سنة، لقيته عمال يحوم حواليا، ويقوللي عندي ليكي عريس، وفي الآخر صارحني إنه عاوز يتجوزني...

قالت مدام هاجر:

- أومال أنا أعمل إيه اللي زميلي في المكتب طلب مني يتجوزني عرفي؟

- طب وإيه اللي يزعلكم في كدا؟

قلن في ذهول:

- إزاي يعني؟ إنتي مش شايفاها حاجة تزعل؟!

قلت بابتسامه عريضة:

- خلّوني أفكركم بحاجة، مش إحنا قلنا إن كل واحد بيحكم من خلال قناعاته وتفكيره وتربيته؟ حلو جدا.. يبقي نظرته ليكي من خلال دماغه، مش من خلال واقع حقيقي...

هضربلكم مثال...

لو واحد يا عيني ذكاؤه محدود ودماغه على قده، ومقتنع من خلال تربيته إن مثلا أساتذة الجامعة دول حاجة فاشلة...

هو قناعاته كدا، قناعاته إنه راجل كسّيب وبيكسب أكتر من أستاذ الجامعة ألف مرة...

حظ واحد أستاذ الجامعة إنه سكن في نفس عمارة الراجل اللي دماغه على قده...

جُم في مرة طالعين على السلم، قام الراجل العيان في دماغه شاتم أستاذ الجامعة، وقالّه يا فاشل يا زبال...

تفتكروا أستاذ الجامعة هينهار ويخش يرمي نفسه على السرير زي فاتن حمامة ويقعد يعيط،

ولا هيضحك ويقول جواه لا حول ولا قوة إلا باللـه ربنا يهدي؟

ضحك الجميع...

قالت إحداهن:

- نوقفهم عند حدهم إزاي؟ أنا اتنقلت مرة من شغلي بسبب الحوارات دي مع زمايلي في المكتب.

- خدي بالك إن العين مراية الروح.. أوتوماتيك، لما إنتي تعملي كل حاجة باتجاه ثقتك في نفسك، بداية من احترامك لنفسك وتقديرك ليها، وإنك تمشي صح في اتجاه تخطيطك لمستقبلك، هتلاقي الأذكياء منهم هيخافوا يقربوا..

واللي ذكاءهم محدود هيجربوا يرموا السنارة يمكن تغمز، ودا مش عشان عيب فيكي لأ... عشان هو دماغه إن المطلقة أو المتأخرة في الجواز واقعة من على السطوح... إنتي هتكوني أول نمودج يكسر عنده القاعدة...

اللي هيرمي السنارة هتصُديه بابتسامة سمجة، وتعقبها كلمة: «لأ آسفة.. إنت ماتناسبنيش بالمرة».. وبمنتهى الثقة ومن غير ما ترغي كتير ولا تدافعي عن نفسك...

هيروح يجري يعيط زي فاتن حمامة.. وهيبقى عبرة لكل من تسول له نفسه ولمن لا يعتبر...

إنما تقعدي تهربي وتنقلي شغلك، والناس تعرف ويعملوا اللي عملوه الأولانيين، وتنقلي شغلك تاني، مش هنخلص...

فيه حاجة كدا بيقولوها الأجانب عن الشخص اللي بيتأثر بأي حاجة.. بيقولوا عليه...

He has thin skin

يعني بلغتنا بيتأثر بكل حاجة...

إحنا اتفقنا بقى.. ريموتك في إيدك.

قالت مدام رشا:

- طيب أنا عندي مشكلة، بس أرجوكي تفهمي موقفي.

نظرت إليها بحنان:

- هتفهّم واللـه، قولي بس.

- أنا لما بشوف ماما وإخواتي البنات ناجحين في بيوتهم، بيدب جوايا الحنين إن نفسي يبقالي بيت وزوج وولاد...

- كنتي عاوزة تتجوزي وتخلفي ليه؟

- أنا عارفة كل اللي حضرتك هتقوليه، وفاكرة رحلاتنا للماضي، أنا بتكلم عن شعوري بالحنين لكدا، اللي أعتقد إنه شعور فطري.

- فاهماكي، وأرجوكي ردي على سؤالي.

- كان نفسي أخلف ولاد ويطلعوا أحسن مني وأنجح معاهم...

- طيب مامتك طلّعتك أحسن منها على فكرة، إنتي وإخواتك، وعايشة لابسة الجلابية الفسكوز وبتعمل كل يوم صينية بطاطس باللحمة تحفة...

وأختك الكبيرة هي كمان ورثت الجلابية الفسكوز بس بموديل مختلف، وبدل البطاطس باللحمة بتعمل بيكانا بالمشروم، ودخّلت ولادها مدارس لغات، رغم إنها أكيد زي كتير مننا كانت مدارس حكومة...

قوليلي يا روشا، إيه الفرق بين البقال اللي تحت البيت عندكم، والبقال اللي في الشارع اللي وراكم؟!

قالت بتلعثم:

- مش فاهمة السؤال..

- أقصد كل واحد فيهم بيفتح الصبح يرش ميه قصاد المحل، يلم الفلوس، ويصرف على ولاده وربنا يكرمه، وبعدين؟!

تفتكري إيه الفرق بينهم وبين كارفور مثلا؟

تفتكري إيه الفكرة في إننا كلنا نعيش نلبس جلاليب فسكوز، ونخلف عيال ونربيهم ونطلعهم أحسن مننا، ونموت...

همّ لا ننكر أبدا عليهم اللي بيعملوه، بس إنتي هتعملي حاجة مختلفة...

هتنجحي جدا فمش هتتجوزي إلا واحد ناجح جدا إن شاء اللـه، وهتعملي حاجة مميزة جدا...

ليه آخد الطريق التقليدي، لما ربنا إداني فرصة آخد طريق أصعب بس مبهر أكتر؟

لو عندك طاقة حب ناحية الأطفال، انزلي أقرب دار أيتام واختاري طفل منهم تعتبريه زي إبنك، عدي عليه كل يوم وامسحي على شعره..

وقوليله تعالى نحط هدف سوا، وربيه تربية صح، وادعي ربنا إن الخير اللي بتعمليه معاه يكون حاجة تقربك لربنا، وربنا يقبلها ويوفقك في الطريق اللي إنتي راسماه...

قالت مدام إيناس:

- أنا بقى مش عارفة أبتدي لحد دلوقتي، كل ما آخد القرار ألاقي حاجة بتشدني...

- كنتي مقررة هتبتدي منين؟

- كنت هقرأ كتب في علم النفس عشان أثقف نفسي.

- بتهرجي يا إيناس! إنتي من ساعتها وإنتي قاعدة؟! عارفة فكرتيني بينا أيام المدرسة، لما كانت نفسنا تبقى مسدودة من مادة وكل ما نيجي نذاكرها نفتح الدرس الأول نذاكره ونقفل الكتاب...

ونلاقي السنة خلصت وإحنا ماذاكرناش غير الدرس الأول بس...

بالمناسبة دا دليل على إنك مختارة بداية إنتي مش مستعدة ليها نفسيا..

فورا غيري البداية، وماتضيّعيش وقت أكتر من كدا...

ابتسمت قائلة:

- عندك حق، هغير البداية...

قالت مدام هبة إحدى العضوات الجديدات:

- طيب أنا كتبت كل الأسئلة اللي قلتيلنا عليها المرة اللي فاتت، ولقيت نفسي فعلا استنفدت كل السبل، بس أهلي مش موافقين...

- طبعا، ولا هيوافقوا...

- حطوا في اعتباركم أي أهل بيرفضوا إن بنتهم تطلق بيكون لسببين:

خوف من شيل مسؤوليتها المادية..

خوف من شيل مسؤوليتها المعنوية...

يوم ما تحسي الدنيا قفلت في وشك، وطليقك إنتي عارفة إنه هيشيل إيده، لازم تعملي خطة للـهروب للعظيم...

الأول اعرضي عليه إن طلاقكم يكون محترم..

ماكانش...

تبتدي الأول تشتغلي على نفسك، وتمسكي الخيوط وتحضري قوارب النجاة...

لو قلتيلي: مش سامحلي وقافل الدنيا عليّ خالص...

هقولك ساعتها بس إرمي حمولك على ربنا، ونطي في البحر.. طالما مش سايبلك شباك مفتوح هتفضلي طول عمرك محلك سر...

لازم وإنتي بتعرضي موضوع الطلاق على أهلك يحسوا إنك فعلا قدها، ومش هتحمليهم فوق طاقتهم ماديا ومعنويا...

قالت مدام رضوى: أنا عندي سؤال محرج جدا مش عارفه أقوله ازاي!

سألتها: إيه السؤال؟ قولي يا حبيبتي براحتك.

أومأت رأسها بخجل: احنا عندنا احتياجات ربنا خلقنا بيها، ازاي نقدر عادي نتعايش من غيرها، ودي زيها زي الأكل والشرب..

- فهمت قصدك.. أولا اسمحيلي أعقب على نقطة إن احتياجاتنا اللي تقصديها زي الأكل والشرب.. لأن الأكل والشرب من غيرهم نموت، إنما احتياجاتنا لاء، عادي ممكن نعيش من غيرها مع شوية صبر وانشغال...

هقولكوا ليه الانشغال؟

مين فينا لما بيبقى سهران بالليل وماوراهوش حاجة يروح يفتح التلاجة عشر مرات؟ إنما لو انتي في الشغل مثلا والدنيا مقلوبه ووراكي حاجات كتير، بتلاقيكي حرفيا عدى اليوم وانتي ماكلتيش ولا حاجة (بالرغم من إننا من غير الأكل بيحصلنا مضاعفات كتير) إلا إننا ما بنحسش بيها، على عكس واحنا فاضيين، لأن الفراغ بيخلي الواحد يبتدي يفكر في شهواته.

يبقى حلك فعلا إنك تشغلي نفسك حتى الثمالة، ما يبقاش عندك وقت لأي حاجة، يومك كله مشغول.

انجحي وافرحي بإنجازاتك، وحطي في اعتبارك زي ما قلنا إنها مجرد متعة من متع الحياة، إنما مش محورها، ولا من غيرها تقف الحياة..

ثم التفتُ إلى باقي العضوات قائلة:

إن شاء اللـه عاوزين الفترة الجاية ننشر فكرتنا على قد ما نقدر، بإننا نعمل ندوات وننزّل بوستات على صفحاتنا على الفيس بوك...

نتكلم مع قرايبنا وكل اللي حوالينا...

عاوزين نركز بجد مع ولادنا، ومانفوتش ولا يوم من أيام التربية، عشان نستفيد من آراء المتخصصين...

الخاتمة

«إياك أن تقول لا أستطيع، ولكن قل لا أريد، لأنك لو أردت فعلا أن تحقق أمرا فستحققه، فكلنا نستطيع ولكن لسنا كلنا نريد»

د. إبراهيم الفقي

وبعد ٣٠ سنة...

في منزل مدام نجلاء...

- إيه اللي حصل بس يا زياد يا ابني بينك وبين مراتك رقية؟

- خلاص يا ماما الموضوع وصل بيننا لطريق مسدود، ولو كملنا أكتر من كدا مع بعض هنخسر وقت، وأنا مايرضينيش لا هي تخسر ولا أنا أخسر...

- طيب وولادك؟

- هاخد شقة جنبهم، واتفقنا نقسم المهام بيننا فيما يخص الأولاد، زي ما كنا متجوزين بالظبط، وطبعا ماديا أنا هشيل كل حاجة...

- طيب مراتك مَرْضيّة يا ابني؟!

- آه واللـه يا ماما مفيش أي مشكلة، واتفقنا كل واحد فينا بعد الطلاق حر تماما في اختياراته، حتى لو حب يخوض تجربة تانية عادي، وهنشوف ساعتها مصلحة الأولاد هتكون مع مين فينا... هنقعد ونتكلم ونتشاور.

أما سالي...

- حبيبي، وصّل أختك للدكتور عشان تعبانة أوي.

- يا نهار أبيض، ليه بس يا ماما ماتقوليليش إنها تعبانة؟!

- واللـه تعبت فجأة بالليل.

- خلاص يا ماما هوديها للدكتور حاضر، وهروح معاها البيت أظبطلها الشقة وأروقها لها، عشان جوزها في الجيش أنا عارف وهي تعبانة...

وبعدين هي عمرها ما قصرت معايا ولا مع مراتي، لسه مراتي كانت تعبانة الأسبوع اللي فات وجت ساعدتنا في شغل البيت واللـه، وظبطت معانا الدنيا... عارفة لولاش مراتي لسه تعبانة هي كمان كانت جت معايا.

- ربنا يخليكم لبعض يا حبيبي.

أما مريم ابنة هيام...

- ماما أنا مش بفكر في الجواز دلوقتي خالص...

- يا حبيبتي براحتك، ابن طنط هاجر راجل محترم، قلت أما أعرض عليكي الموضوع... أنا مِدّياكي فرصة الاختيار ومش عاوزاكي تتمحوري حوالين دراستك وشغلك.. وكلّمتك في الموضوع دا قبل كدا...

- قالت مريم بعد تفكير عميق... خلاص يا ماما موافقة، هقابله وهشوف يمكن فعلا يكون طموحنا مشترك...

- طيب تمام، هحدد معاد وربنا يكتب اللي فيه الخير.

وفي منزل مدام ناريمان...

- ماقلتليش رأيك يا ماما.

نظرت إليه بتعجب:

- رأيي في إيه يا واد؟ مش لما تكملّي مواصفات العروسة وأسباب اقتناعك بيها!

- ما أنا بقولّك أهو، هي حد محترم وناجح بشكل لا تتخيليه، أكتر واحدة ناجحة في الشركة، وجميلة جدا، ومعاها ولد زي العسل...

- اللي يهمني إنت متفق معاها نفسيا وحاسس إن فيه بينكم أراضي مشتركة وأحلام وأهداف هتحققوها مع بعض وتفاهم؟

- آه يا ست الكل، مش ناقص غير بس رضاكي عني، وإنك تيجي معايا.

- ماشي يا حبيبي، حدد معاد مع أهلها وربنا يتمملكم على خير يا رب.

وفي منزلي...

خلاص يا طنط مها مش قادرة أستحمل، أنا وحمزة وصلنا لطريق مسدود...

- هدي نفسك بس يا حبيبتي، وكل حاجة هنلاقيلها حل.. أنا عاوزة أعرف إيه اللي مزعلك...

- اتفق معايا يساعدني في رسالة الدكتوراه بتاعتي، وبقاله أسبوعين مش في دماغه، واتعطلت فعلا...

- إممم.. طيب وحاولتي تتكلمي معاه وتفهمي منه السبب...

- ماعندوش وقت، أصله مشغول هو كمان في الرسالة بتاعته، بس أنا بساعده رغم اللي ورايا...

- طب حاولتم تشتركوا في وضع جدول إنتم الاتنين تقسموا فيه الوقت...

- تصدقي يا طنط ماعرضتش عليه الفكرة دي... أو بمعنى أصح ماجتش في بالي أصلا...

ثم قالت وهي تنظر في خجل:

- أصلي عكيت الدنيا واتخانقت معاه امبارح.

ضحكت بشدة..

- نكدتم على بعض.

ابتسمت بخجل:

- لأ أنا اللي نكدت.

نظرت في الساعة:

- عموما هو اتصل بيا زمانه جاي في الطريق... ماتقلقيش هصالحكم على بعض.

قالت وهي تنظر حولها:

- أومال فاطمة فين؟!

- فاطمة يا ستي سافرت مؤتمر في إسبانيا تبع الشغل.

- جوزها سافر معاها؟

- آه... دا هو اللي ساعدها في ترتيب كل حاجة، كانت محتاسة على الآخر.

- يلا ترجع بالسلامة إن شاء اللـه يا طنط مها.

وبعدها بدقائق.. دخل حمزة...

- مالك داخل واخد في وشك ومكشر ليه؟

نظر لزوجته جودي ثم قال:

- مافيش يا ماما.

- يلا يا جودي عشان نلحق نروح مشوار كدا.

- استنوا هنا إنتم مش هتتغدوا معايا؟!

- لأ ما أنا عازم جودي برة على الغدا، عشان عملت جدول كدا هعرضه عليها.

غمزت لها بعيني...

- أنا مش فاهمة طبعا جدول إيه بس ماشي.. طيب لما تفضوا إبقوا عدّوا عليا نتغدى سوا أي يوم...

- ما تيجي معانا يا ماما بجد...

- لأ يا حبيبي أنا هاخد الدوا وهريح شوية، عشان أخوك صهيب هيطلبني من أمريكا هيطمّني على مراته، بتولد النهارده.

قال حمزة في فرح:

- ياه، ربنا يطمّنا عليها.

لملمت جودي أشياء ابنهما سريعا.. انحنى حمزه وحمل الحقائب، ومن ثم حمل ابنه وقال وهو يغلق الباب:

- سلام يا ماما.

دخلت إلى سريري وتناولت المسكن ونمت في سبات عميق...

فلم أشعر بكل هذا الارتياح من قبل...

لما اتطلقت حطيت مجموعة أهداف... أولها إني أنجح.. وبعدين إننا نساعد بعض كلنا إننا ننجح...

الكتاب إهداء لبنات جيلي من المطلقات والأرامل، وحتى المتزوجات وغير المتزوجات...

إهداء لجيل المستقبل اللي أتمنى نربيهم صح عشان مايعانوش من اللي عانينا منه...

الجواز مش خناقة.. الجواز شركة قابلة للنجاح وقابلة للفشل...

كانت معكم مها سامي القاطنة بعمارة طنط جولفدان...

شكرًا...

الشكر دا بقى، اسمحولي هقف عنده شوية، وكل كلمة فيه مش أفورة مني واللـه ولا حاجة، ولكن لازم تعرفو القصه من أولها..

أولا صديقتي ريهام حسن..

أنا جتلي فكرة الكتاب من سنتين ونص وقلت لريهام، ونسيت الموضوع أصلا.. لكن الغريب إن هي مانسيتش، بقت أجاركم اللـه بمعدل كل كام يوم تسألني فين الكتاب؟

لدرجة فكرت أعملها بلوك عشان أخلص منها، ولكن قلبي رهيف وبيحبها، فاستحملت مطاردتها زي الديانة وأمري إلى اللـه..

لحد ما في يوم قالتلي هتكتبي الكتاب ومفيش رجعة، وكانت كل ما أكتب حتة عشان تحل عن سمايه؛ ألاقيها تبعتلي بالليل فين الباقي!

وياريت بس على كده، كانت بترخم عليا رخامة السنين والتنين، وتحفّل عليا في أي حاجة ماتعجبهاش!!

هقولكوا سر: كانت أرخم قارئ موجود في الوجود!

لكن بصراحة، استحملت اللي مفيش حد يستحمله، وخصوصا اتصالي الساعه تلاتة الفجر لما تطق في دماغي أي فكرة.. باموت فيها، حد مبيتكررش كتير.

الشكر اللي بعده لا يقل أهمية عن الشكر اللي قبله، وهو شكري لأستاذي الكاتب الساخر والاستشاري الأسري إيهاب معوض، اللي وقف معايا في كل خطوات الكتاب، من قبل حتى ما يتكتب، وكان دايما بيوجهني صح، وأحلى

حاجة المقدمة التحفة اللي كتبهالي وبعتهالي مفاجأة، وكانت شهادة منه أعتز بيها بجد، ومت طبعا من الضحك لأني اديته ألف جنيه مش خمسمية، بس هو أنكر الباقي، هههههههه (بهزر طبعا).

الشكر الأكبر لأستاذي الفاضل أحمد عبد المجيد، إيديتور كتابي، اللي كان فعلا كل نقده بناء وآراؤه كانت كلها سديدة، أنا فعلا بشكره وبشدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link - لينك الانضمام الى الجروب

Link - لينك القنـــــاة

رس المحتويات

عن الكتاب..

إهداءٌ ..

تقديم..

المقدمة

البـدايـة

الفصل الأول: وشوشة أم أحمد

الفصل الثاني: المشكله الأولى: المجتمع

الفصل الثالث: المشكلة الثانية: الدعم المادي

الفصل الرابع: المشكلة التالتة: البحث عن السند والأمان والدعم العاطفي هيييييح

الفصل الخامس: المشكلة الرابعة: الأبناء بعد الانفصال...

الفصل السادس: ياما في الجمعية مظاليم

الفصل السابع: بداية الحلول العملية في الجمعية

الفصل الثامن: بين الماضي والحاضر..

الفصل التاسع: أهلا بمستقبل مشرق

الفصل العاشر: مشوار تغيير المجتمع دايما يبدأ بخطوة

الفصل الحادي عشر: هنخلي الحلم حقيقة